

هَبْتِ السَّلَامَةَ

شَرْحُ

بُلُوغُ الْمَرَامِ مِنْ أَدِلَّةِ الْأَحْكَامِ

المجلد العاشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَقُوقُ الطَّبِيعِ مَحْفُوظَةٌ

مكتبة الصحابة بالغيضة

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

هَيْبَةُ السُّلْطَانِ الْأَمِيرِ

شَرْحُ

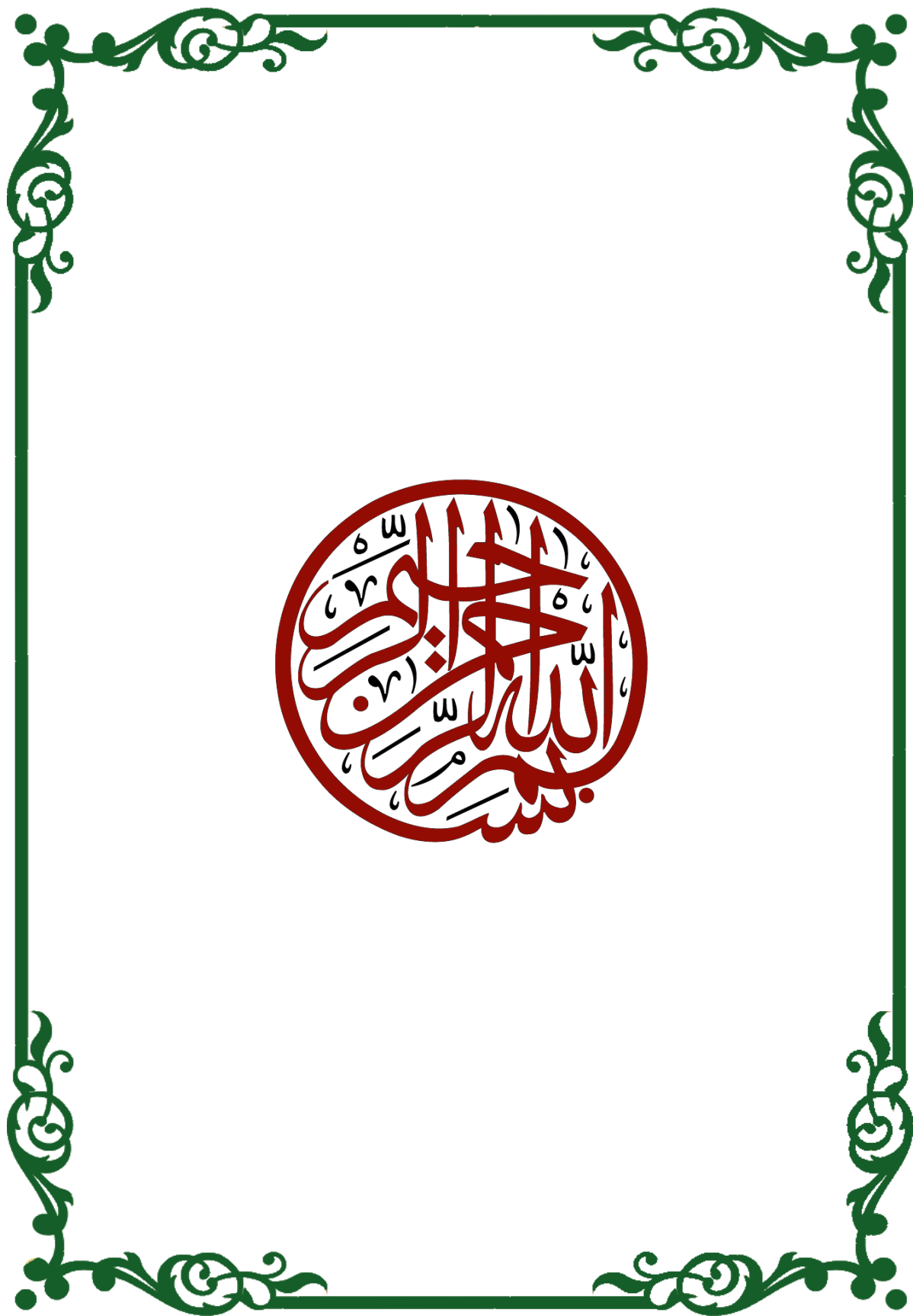
بُلُوغِ الْمَرَامِ مِنْ أَدِلَّةِ الْأَحْكَامِ

تَأَلَّفَ

الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْخَلَّيْقِيُّ
كَلْبَتَرِ الْبَغْدَادِيِّ فِي الدَّرَجَةِ وَاللَّعْنَةِ

المجلد العاشر

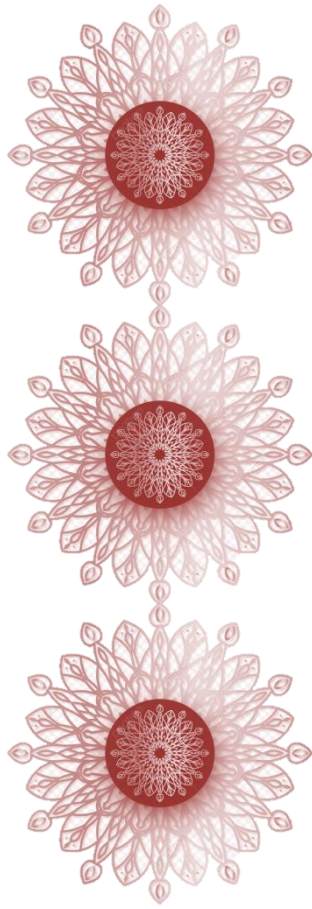
كتاب الجامع





كتاب

الجماع



كتاب الجامع - باب الأدب

[بَابُ الْأَدَبِ]

شرح الشرح:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فهذا كتاب الجامع من بلوغ المرام، وسمي بذلك لأنه **الْجَامِعُ لِأَبْوَابِ سِتَّةٍ**: الْأَدَبِ، الْبِرِّ، وَالصَّلَاةِ، وَالزُّهْدِ، وَالْوَرَعِ، وَالتَّرْهِيْبِ مِنْ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، وَالتَّرْغِيْبِ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالدُّكْرِ، وَالدُّعَاءِ. اهـ

ويأتي العلماء بهذا الكتاب في مصنفاتهم لتتمة المصنف، فإن أبواب العلم كثيرة، فإذا أراد المصنف أن يكتب في كل باب؛ طال الكتاب، وخرج المصنف عن المقصود، ووقع في الاسهاب والاطناب ولكنه في الغالب يذكر جملاً تشير إلى ما سواها، يستفيدها المبتدي، ولا يستغني عنها المنتهي.

وهذا الذي ينبغي لكل عالم، أو طالب علم، أن يحرص على دلالة الناس على جوامع العلوم فإن النبي ﷺ قال: **«أُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ»** أخرجه مسلم^(١) عن أبي هريرة.

«وجوامع الكلم»: الكلمات اليسيرات التي يدخل تحتها معاني بليغات، والأحاديث القصيرات التي تدل على علوم كثيرات، فالسداد هو المطلوب .

(١) أخرجه مسلم (٥٢٣).

وكما قيل:

إنما العلم كبحر زاخر

فاتخذ من كل شيء أحسنه

ما حوى العلم جميعاً أحد

لا ولو مارسه ألف سنة

باب الآداب: ذكر هذا الباب في بعض نسخ بلوغ المرام، وترتيب الأحاديث يدل

على ذلك .

وقل أن يترك الكلام في هذا الباب سواء في الكتب الجوامع:

كصحيح الإمام البخاري رحمه الله، وصحيح الإمام مسلم رحمه الله، وما في بابها من كتب

الأمهات.

أو الكتب المفردة: ككتاب الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله، وهو من أنفسها

وأجمعها، وإن لم يكن هو الوحيد في بابها.

ومن أنفسها أيضا رياض الصالحين للنووي رحمه الله فقد جاء بخير كثير في كل باب من

أبواب الأدب، سواء كان مع الله ﷻ، أو ما يكون بين المكلفين

والله الموفق.



بيان بعض حقوق المسلم على أخيه المسلم

١٤٥٢ - (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّئْهُ^(١) وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»^(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان بعض حقوق المسلم على أخيه المسلم. والحديث في الصحيحين: عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»^(٣).

ثم إن أحسن ما يتأدب به، ما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(٤).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَبْعَثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَيَّ هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعُ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ اتَّبِعْنِي، فَانطَلَقَ الْأَخْ

(١) «التسميت» بالسين المهملة، وأيضا بالمعجمة لغتان مشهورتان، وهو أن يقول للعاطس: يرحمك

الله. يعني: بعد قول العاطس: الحمد لله.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٦٢)، واتفقا عليه، بلفظ "خمس" أخرجه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم

(٢١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢).

(٤) أخرجه أحمد (٨٩٥٢)، وحسنه الإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (١٣٧٤).

حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشَّعْرِ،...»^(١).

وقد زكاه الله ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من طريق سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَسَأَلَهَا، فَقَالَتْ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنْتِ سِنِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: «أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»^(٣).

وفي الصحيحين: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطَيْمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ» نَغَرَ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَيَقُومُ خَلْفَهُ فَيَصَلِّي بِنَا»^(٤).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أَنَسِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمَرَ عَلِيٌّ صَبِيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَبِضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أَنَسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ»^(٥).

فما من خير إلا ودلنا عليه، وما من شر إلا وحذرنا منه.

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣١٠).

ففي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوْلِيَّهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكَرُ وَنَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيَرَفُّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَزْخَرَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيَطْعُهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخِرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُقُقَ الْآخِرِ " ^(١).

قوله: «حَقٌّ»: تشمل الواجبات والمستحبات.

فما دلت الأدلة على الوجوب، وجب تأديته إلى الغير.

وما دلت على الاستحباب فعلى ما جاء.

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ

تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾

وفي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث أبي أمامة رضي الله عنه -، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلَا وَصِيَّةَ لِرِوَارِثٍ» ^(٢).

وفي صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه: من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه، قَالَ: "آخَى النَّبِيُّ

صلى الله عليه وسلم بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه

مُتَبَدِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ

أَبُو الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨٧٠)، وابن ماجه (٢٧١٣)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في الإرواء (١٦٥٥).

بيان بعض حقوق المسلم على أخيه المسلم

تَأْكُلْ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ - رضي الله عنه - قُمْ الْآنَ، فَصَلِّ يَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ - رضي الله عنه -: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِلَيْهِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَآتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «صَدَقَ سَلْمَانُ»^(١).

📖 قال الإمام الصنعاني رضي الله عنه في السبل (٢/ ٦١١-٦١٤): وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ حُقُوقُ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ.

وَالْمُرَادُ بِالْحَقِّ: مَا لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ، وَيَكُونُ فِعْلُهُ إِمَّا وَاجِبًا، أَوْ مَنْدُوبًا نَدْبًا مُؤَكَّدًا؛ شَبِيهَا بِالْوَجِبِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ.

وَيَكُونُ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْمَعْنَيْنِ مِنْ بَابِ اسْتِعْمَالِ الْمُشْتَرَكِ فِي مَعْنِيهِ فَإِنَّ الْحَقَّ يُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَى الْوَجِبِ كَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ. اهـ

قوله: «الْمُسْلِمِ» المسلم: هو المستسلم لله صلى الله عليه وسلم بالتوحيد، والمنقاد له بالطاعة، والمتبرئ من الشرك، وأهله.

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٢٠٨).

قوله: «عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»: لا يُرَادُ بِهِ الْحَصْرُ لِلْحَقُوقِ، وَإِنَّمَا نَبِهَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَلَى أَهَمِّ وَأَشْهَرِ هَذِهِ الْحَقُوقِ.

قوله: «إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ»: فِي الطَّرِيقِ وَنَحْوِهِ، فَلْيَبَادِرْ بِقَوْلِهِ السَّلَامَ عَلَيْكَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٨).

﴿ بيان حكم الابتداء بالسلام عند اللقاء بين المسلم وأخيه المسلم:

وهذا اللفظ يدل على وجوب الابتداء بالسلام.

والذي ذهب إليه جمهور العلماء أن الابتداء بالسلام مستحب، وليس بواجب

بينما الرد على المسلم واجب.

لقول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ .

﴿ بيان أفضل صيغة للسلام:

أن يقول المسلم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ففي سنن الإمام أبي داود ﷺ: من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: «جَاءَ

رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«عَشْرٌ» ثُمَّ جَاءَ آخَرَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ:

«عِشْرُونَ» ثُمَّ جَاءَ آخَرَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ،

فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ»^(١).

وأخرج البخاري في الأدب المفرد: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: «أَنَّ رَجُلًا مَرَّ

عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ: «عَشْرٌ حَسَنَاتٍ»،

فَمَرَّ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ حَسَنَةً»، فَمَرَّ رَجُلٌ

آخَرَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ حَسَنَةً»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ

الْمَجْلِسِ وَلَمْ يُسَلِّمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَوْشَكَ مَا نَسِيَ صَاحِبُكُمْ، إِذَا جَاءَ

(١) أخرجه أبو داود (٥١٩٥)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح أبي داود وغيره. وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي ﷺ (١٠٢٤).

أَحَدُكُمْ الْمَجْلِسَ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ، وَإِذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ، مَا الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ»^(١).

﴿ بيان حكم زيادة: "ومغفرته"، على لفظ السلام:

وزيادة: "ومغفرته"، لم تثبت عن النبي ﷺ، فلا يؤتى بها .

واستدل بعض أهل العلم على زيادتها بقوله تعالى: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾.

وأخرج الإمام البخاري رحمه الله في التاريخ الكبير: عن زيد بن أرقم -رضي الله عنه- قال: «كنا إذا

سلم النبي ﷺ علينا قلنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته»^(٢).

وفي مصنف عبد الرزاق (٣٠٦٢) عن إبراهيم جاء الربيع لن خيثم إلى علقمة

يستشيره أن يزيد فيها ومغفرته قال علقمة «إنما ننتهي إلى ما علمناه»

﴿ بيان أن السلام من أحد المارة يجزئ عنهم:

ولو مر أناس أكثر من جانب أناس، وسلم أحدهم، ورد عليه أحدهم، فإن هذا

يجزئ عن الباقيين .

بخلاف العطاس، فإن الرجل إذا عطس فحمد الله ﷻ، لزم جميع من سمعه أن

يشمته .

﴿ بيان أن الصغير يسلم على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير:

لما جاء في الصحيحين: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُسَلِّمُ

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٨٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد

(٧٦٢ / ٩٨٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادي رحمه الله (١٤١٤).

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١ / ١ / ٣٣٠)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله

(١٤٤٩).

الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»^(١).

﴿ بيان أن الراكب يسلم على الماشي:

كما جاء ذلك أيضاً في الصحيحين: «يُسَلِّمُ الرَّاَكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»^(٢).

بيان حكم إجابة الدعوة:

قوله: «وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ»: إجابة الدعوة في حق الوليمة واجب، وما سواها على الاستحباب.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «سَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُدْعَى لَهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٣).

وقد جاء في صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه: من حديث أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، -، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «فُكُّوا الْعَانِي، وَأَجِيبُوا الدَّاعِيَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ»^(٤).

وفي الصحيحين: من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، -، قَالَ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجِنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ، وَنَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمِ الذَّهَبِ، وَعَنِ الشُّرْبِ فِي الْفِضَّةِ، أَوْ قَالَ: آنِيَةِ الْفِضَّةِ، وَعَنِ الْمِيَاثِرِ وَالْقَسِيِّ، وَعَنْ لُبْسِ

(١) أخرجه البخاري (٦٢٣١)، ومسلم (٢١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٣٣)، ومسلم (٢١٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥١٧٧)، ومسلم (١٤٣٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥١٧٤).

الْحَرِيرِ وَالذِّيَّاجِ وَالْإِسْتَبْرَقِ»^(١).

٤٥ بيان حكم النصيحة لمن طلبها:

قوله: «وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْهُ»: من طلب منك النصيحة وأنت قادر على ذلك

فيجب نصحه وتوجيهه.

والمستشار مؤتمن ففي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه،

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»^(٢).

وشأن النصيحة عظيم، ففي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث تميم الداري -

رضي الله عنه، - أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ

وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(٣).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع أصحابه رضي الله عنهم على النصيحة، ففي الصحيحين: من حديث

جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَلِي - رضي الله عنه، - قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ،

وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^(٤).

وإذا لم يطلب النصح فبحسبه، فقد يكون واجباً أو مستحباً.

لقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنََّّ

اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

وفي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم،

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣٥)، ومسلم (٢٠٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٢٨)، والترمذي (٢٨٢٢)، وابن ماجه (٣٧٤٥)، وصححه الإمام الألباني

رضي الله عنه في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رضي الله عنه (١٤٠٤).

(٣) أخرجه مسلم (٥٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»^(١).

ولو قام الناس بهذا الأمر لفشا الخير وانتشر في المجتمع.

ودعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، قامت على النصيحة .

يقول الله ﷻ عن نوح: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعَلَّمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

نَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ .

ويقول الله ﷻ عن هود: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ .

ويقول الله ﷻ عن صالح: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي

وَصَحَّحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَاتِ ﴿٧٩﴾ غير ذلك .

﴿حكم تسميت العاطس

قوله: «وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهُ فَسَمَّئُهُ» يقال التسميت والتسميت: وكلاهما بمعنى

واحد، وهو أن يقول لمن عطس فحمد الله تعالى، يرحمك الله.

﴿ويجب الله ﷻ العطاس ويكره التأوب:

ففي صحيح الإمام البخاري ﷺ: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَّاسَ وَيَكْرَهُ التَّأُوبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللَّهَ، كَانَ حَقًّا عَلَى

كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَأَمَّا التَّأُوبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا

تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرِدْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَنَاءَبَ صَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٦).

﴿ بيان ما يقول من عطس، وكيف يشمت:

في صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بِالْكُمِ»^(١).

﴿ بيان أن من عطس فلم يحمد الله صلى الله عليه وسلم فلا يشمت:

في الصحيحين: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: «عَطَسَ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَشَمَّتْ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الْآخَرَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَمَّتْ هَذَا وَلَمْ تُشَمِّتْنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذَا حَمِدَ اللَّهَ، وَلَمْ تَحْمَدِ اللَّهَ»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من طريق أبي بردة، قال: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُوسَى - رضي الله عنه - وَهُوَ فِي بَيْتِ بِنْتِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَعَطَسْتُ فَلَمْ يُشَمِّتْنِي، وَعَطَسْتُ فَشَمَّتْهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا، فَلَمَّا جَاءَهَا قَالَتْ: عَطَسَ عِنْدَكَ ابْنِي فَلَمْ تُشَمِّتْهُ، وَعَطَسْتُ فَشَمَّتْهَا، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَكَ عَطَسَ، فَلَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَمْ أُشَمِّتْهُ، وَعَطَسْتُ فَحَمِدَتِ اللَّهَ فَشَمَّتْهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَا تُشَمِّتُوهُ»^(٣).

﴿ بيان حكم من عطس وهو من غير المسلمين:

فإن كان العاطس من أهل الذمة، أو المعاهدين، وغيرهم.

فتشيمته إن حمد الله يكون بقولنا: يهديكم الله، ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث أبي موسى - رضي الله عنه - قال: كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطِسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٥)، ومسلم (٢٩٩١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٩٢).

لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: «يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بِالْكُم»^(١).

﴿ بيان حكم عيادة المريض: ﴾

قوله: «وَإِذَا مَرِضَ فَعُدُّهُ»: عيادة المريض مستحبة لما في ذلك من إدخال السرور على المسلم، والدعاء له وتطيب خاطره، وإذا كان المريض معدياً فلا تلزم زيارته. ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ، وَفِرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ»^(٢).

📖 قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (٢١٣/١٤ - ٢١٤):

قَالَ جُمُهُورُ الْعُلَمَاءِ: يَجِبُ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ وَهُمَا صَحِيحَانِ. قَالُوا: وَطَرِيقُ الْجَمْعِ أَنْ حَدِيثُ: «لَا عَدْوَى»، الْمُرَادُ بِهِ نَفْيُ مَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَزْعُمُهُ وَتَعْتَقِدُهُ أَنَّ الْمَرِيضَ وَالْعَاهَةَ تَعْدِي بِطَبْعِهَا لَا بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى. وَأَمَّا حَدِيثُ: «لَا يَبْرُدُ مُمْرِضٌ عَلَيَّ مُصِحٌّ»، فَأُرْسِدَ فِيهِ إِلَيَّ مُجَانِبَةٌ مَا يَحْصُلُ الضَّرَرُ عِنْدَهُ فِي الْعَادَةِ بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْرِهِ. فَتَفَى فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ الْعَدْوَى بِطَبْعِهَا وَلَمْ يَنْفِ حُصُولَ الضَّرَرِ عِنْدَ ذَلِكَ بِقَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِعْلِهِ.

وَأُرْسِدَ فِي الثَّانِي إِلَيَّ الْإِحْتِرَازِ مِمَّا يَحْصُلُ عِنْدَهُ الضَّرَرُ بِفِعْلِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ وَقَدْرِهِ. فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَصْحِيحِ الْحَدِيثَيْنِ وَالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٣٨)، والترمذي (٢٧٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٤٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن، وفي صحيح الأدب المفرد (٧٢٣/٩٤٠). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٨١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٧) وأخرجه مسلم (٢٢٣١).

جُمُهورُ العُلَمَاءِ وَيَتَعَيَّنُ المَصِيرُ إِلَيْهِ.

ولا يؤثر نسيان أبي هريرة لحديث: «**لا عدوى**» لوجهين:

أحدهما: أَنَّ نِسْيَانَ الرَّاوي لِلْحَدِيثِ الَّذِي رواه لا يقدر في صحته عند جماهير العُلَمَاءِ بَلْ يَجِبُ العَمَلُ بِهِ.

والثاني: أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ ثابِتٌ مِنْ رِوايَةِ غَيْرِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - فَقَدْ ذَكَرَ مُسْلِمٌ هَذَا مِنْ رِوايَةِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَبْنُ عُمَرَ - رضي الله عنهم - عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.

وَحَكَى المازِرِيُّ والقَاضِي عِيَاضٌ عَنِ بَعْضِ العُلَمَاءِ أَنَّ حَدِيثَ: «**لا يورد ممرض** على مصحح» منسوخ بحديث: «**لا عدوى**» وَهَذَا غَلَطٌ لِوَجْهَيْنِ:

أحدهما: أَنَّ النِّسْخَ يُشْتَرَطُ فِيهِ تَعَدُّرُ الجَمْعِ بَيْنَ الحَدِيثَيْنِ وَلَمْ يَتَعَدَّرْ بَلْ قَدْ جَمَعْنَا بَيْنَهُمَا.

والثاني: أَنَّهُ يُشْتَرَطُ فِيهِ مَعْرِفَةُ التَّارِيخِ وَتَأَخُّرُ النَّاسِخِ وَكَيْسَ ذَلِكَ موجودا هنا.

وقال آخرون: حديث: «**لا عدوى**» على ظاهره.

وَأَمَّا النَّهْيُ عَنِ إيرادِ المُمْرِضِ عَلَى المِصْحِحِّ، فَلَيْسَ لِلْعَدَوِي بَلْ لِلتَّادِي بِالرَّائِحَةِ الكريهة وقبح صورته وصورة المجدوم.

والصواب ما سبق والله أعلم قوله صلى الله عليه وسلم.

﴿ اتباع الجنائز ﴾

قوله: «وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»: فاتبع جنازته وصل عليها والأفضل أن يكون معها حتى

تدفن، فإن في ذلك أجر عظيم.

كما تقدم في كتاب الجنائز، والله المستعان.



بيان أن المرء ينظر إلى من هو دونه في أمور الدنيا حتى لا يحتقر نعمة الله عليه

١٤٥٣ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «انظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان وجوب شكر الله صلى الله عليه وسلم على نعمه.

وأن على الإنسان له أن يتأدب بالآداب الشرعية.

فينظر إلى من هو دونه: في الرزق، والجمال، والقوة، وفي جميع شأنه الدنيوي.

فإنه يعرف مقدار ما أنعم الله صلى الله عليه وسلم به عليه من النعم الكثيرة الجليلة.

أما إذا نظر إلى من فوقه، فربما ازدري تلك النعمة التي هو عليها، وجعل يتطلع

إلى غيرها والله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾^(١٣١).

ويجوز للإنسان أن يتمنى الخير بدون ازدراء النعمة، يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّبَ

رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٧).

قوله: «وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ»: في الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ

إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١]

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٣)، واللفظ المتفق عليه: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال

والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه» أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم

(٢٩٦٣).

قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/ ٦١٤-٦١٥):

قوله: «فَهُوَ أَجْدَرُ»: بِالْجِيمِ وَالذَّالِ الْمُهْمَلَةِ فَرَاءٍ أَحَقُّ.

قوله: «أَنْ لَا تَزْدُرُوا»: تَحْتَقِرُوا.

قوله: «نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»: عِلَّةٌ لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَعًا.

الْحَدِيثُ إِرْشَادٌ لِلْعَبْدِ إِلَى مَا يَشْكُرُ بِهِ النُّعْمَةَ.

وَالْمُرَادُ بِمَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنَ النَّظَرِ فِي الدُّنْيَا فَيَنْظُرُ إِلَى الْمُبْتَلَى بِالْأَسْقَامِ وَيَتَّقِلُ مِنْهُ

إِلَى مَا فَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْعَافِيَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ كُلِّ إِنْعَامٍ.

وَيَنْظُرُ إِلَى مَنْ فِي خَلْقِهِ نَقْصٌ مِنْ عَمَى أَوْ صَمَمٍ أَوْ بَكَمٍ وَيَتَّقِلُ إِلَى مَا هُوَ فِيهِ مِنْ

السَّلَامَةِ عَنْ تِلْكَ الْعَاهَاتِ الَّتِي تَجْلِبُ الِهْمَّ وَالْغَمَّ.

وَيَنْظُرُ إِلَى مَا أُبْتَلِيَ بِالدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَالِامْتِنَاعِ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهَا مِنَ الْحُقُوقِ

وَيَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ فَضَّلَ بِالْإِفْلَالِ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِقِلَّةِ تَبَعَةِ الْأَمْوَالِ فِي الْحَالِ وَالْمَالِ.

وَيَنْظُرُ إِلَى مَنْ أُبْتَلِيَ بِالْفَقْرِ الْمُدْقِعِ أَوْ بِالذَّيْنِ الْمُنْفِطِعِ وَيَعْلَمُ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ

السَّلَامَةِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ وَتَقَرُّ بِمَا أَعْطَاهُ رَبُّهُ الْعَيْنُ.

وَمَا مِنْ مُبْتَلَى فِي الدُّنْيَا بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِلَّا وَيَجِدُ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ بَلِيَّةً فَيَتَسَلَّى بِهِ

وَيَشْكُرُ مَا هُوَ فِيهِ مِمَّا يَرَى غَيْرَهُ أُبْتَلِيَ بِهِ.

وَيَنْظُرُ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي الدِّينِ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ الْمُفْرَطِينَ فَبِالنَّظَرِ الْأَوَّلِ يَشْكُرُ مَا لِلَّهِ مِنْ

النُّعْمِ.

وَبِالنَّظَرِ الثَّانِي يَسْتَحْيِي مِنْ مَوْلَاهُ وَيَقْرَعُ بَابَ الْمَتَابِ بِأَنَامِلِ النَّدَمِ.

فَهُوَ بِالْأَوَّلِ مَسْرُورٌ لِنِعْمَةِ اللَّهِ، وَفِي الثَّانِي مُنْكَسِرٌ النَّفْسِ حَيَاءً مِنْ مَوْلَاهُ.

وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - مَرْفُوعًا: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ

فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ». اهـ

بيان البر والإثم

١٤٥٤ - (وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ - رضي الله عنه - قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: «الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان البر والإثم .

وهذا من أعظم الآداب، التي ينبغي للمسلم معرفتها إذ أن البر يقرب من الله صلى الله عليه وسلم، ويكرم صاحبه في الدنيا والآخرة، وأعظم البر التوحيد، والإثم من أسباب البعد عن الله صلى الله عليه وسلم، وأشدّه الشرك، ثم هو متفاوت كثيراً، والله المستعان .

قوله: «عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ - رضي الله عنه - .» .

النَّوَّاسِ: بفتح النون وتشديد الواو وسين مهملة.

ابْنُ سَمْعَانَ: بفتح السين المهملة وكسرهما وبالعين المهملة.

وَرَدَ سَمْعَانُ الْكِلَابِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَرَوَّجَهُ ابْنَتُهُ وَهِيَ الَّتِي تَعَوَّذَتْ مِنَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - .

سَكَنَ النَّوَّاسُ الشَّامَ وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْهُمْ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: نَسَبَتْهُ إِلَى الْأَنْصَارِ.

قَالَ الْمَازِرِيُّ وَالْقَاضِي الْقَاضِي عِيَّاضٌ: وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ كِلَابِيُّ وَلَعَلَّهُ حَلِيفُ

الْأَنْصَارِ. أَفَادَهُ الْإِمَامُ الصَّنَعَانِيُّ رضي الله عنه فِي السَّبِيلِ.

قوله: «قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِيهِ: سَوَّالُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيمَا يَشْكُلُ.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

بيان البر والإثم

قوله: «عَنِ الْبِرِّ» البر: اسم جامع لكل خير يقول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾».

قوله: «وَالْإِثْمِ؟» الإثم: اسم جامع لكل ما يآثم به الإنسان إذا فعله. وسؤال النواس بن سمعان رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم ليس عن أعمال البر، وأعمال الإثم، وإنما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن كيفية معرفة البر، ومعرفة الإثم؟ **قوله:** "فَقَالَ: «الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ»".

﴿ بيان أقسام حسن الخلق:

وحسن الخلق، ينقسم إلى قسمين:

الأول: حسن خلق مع الله ﷻ.

ويكون ذلك بتوحيده وعدم الشرك به، وبطاعته وعدم معصيته.

وهذا هو معنى الإحسان المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم: «الإحسانُ أن تعبد الله كأنك تراه،

فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

الثاني: حسن الخلق مع الخلق ويكون ذلك ببذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة

الوجه.

﴿ بيان أن الصدق أساس البر.

والصدق هو أساس البر ففي الصحيحين: من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى

الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ
وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ
الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا^(١).

﴿ بيان أن حسن الخلق من أثقل الأعمال يوم القيامة بعد توحيد الله ﷻ: ﴾

وهنيئاً لمن كان حسن الأخلاق، فإن صاحب حسن الخلق من أثقل الناس ميزاناً
يوم القيامة، ففي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم
قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^(٢).

وفي سنن الإمام الترمذي رضي الله عنه: من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ
صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوَضَّعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ
الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ»^(٣).

﴿ بيان قرب مجلس صاحب الخلق الحسن من النبي صلى الله عليه وسلم: ﴾

وصاحب الخلق الحسن من أقرب الناس مجلساً للنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.
ففي سنن الإمام الترمذي رضي الله عنه: من حديث جابر رضي الله عنه - قَالَ: «إِنَّ
مَنْ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ
وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفِيهِقُونَ»، قَالُوا: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَاوُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفِيهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في
الصحيح المسند للإمام الوادعي رضي الله عنه (١٠٣٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٠٣)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف الترمذي.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه صحيح وضعيف الترمذي. وفي صحيح

الترغيب والترهيب (٢٨٩٧): وحسنه في الصحيحة (٧٩١).

وَالثَّرَاتُ: هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ، وَالْمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلَامِ وَيَبْدُو عَلَيْهِمْ.

❦ بيان أن صاحب الخلق الحسن من خيار الناس:

ففي الصحيحين: من طريق مسروق، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنه -، يُحَدِّثُنَا، إِذْ قَالَ: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(١).

❦ بيان أن أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق:

ففي سنن الإمام الترمذي رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْفَمُّ وَالْفَرْجُ»^(٢).

❦ قال الإمام الصنعاني رضي الله عنه في السبل (٢/ ٦١٥): قَالَ النَّوَوِيُّ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْبِرُّ يَكُونُ بِمَعْنَى الصَّلَاةِ، وَبِمَعْنَى الصَّدَقَةِ، وَبِمَعْنَى اللَّطْفِ وَالْمَبَرَّةِ وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ وَالْعِشْرَةِ، وَبِمَعْنَى الطَّاعَةِ؛ وَهَذِهِ الْأُمُورُ هِيَ مَجَامِعُ حُسْنِ الْخُلُقِ. وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: حُسْنُ الْخُلُقِ مُخَالَفَةُ النَّاسِ بِالْجَمِيلِ وَالْبِشْرُ وَالتَّوَدُّدُ لَهُمْ وَالْإِشْفَاقُ عَلَيْهِمْ وَاحْتِمَالُهُمْ وَالْحَمْلُ عَنْهُمْ وَالصَّبْرُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَكَارِهِ وَتَرْكُ الْكِبْرِ وَالْإِسْطَالَةِ عَلَيْهِمْ وَمُجَانِبَةُ الْغِلْظَةِ وَالْغَضَبِ وَالْمُؤَاخَذَةِ.

وَحَكَى فِيهِ خِلَافًا هَلْ هُوَ غَرِيزَةٌ أَوْ مُكْتَسَبٌ؟

قَالَ: وَالصَّحِيحُ أَنَّ مِنْهُ مَا هُوَ غَرِيزَةٌ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مُكْتَسَبٌ بِالتَّخَلُّقِ وَالْإِفْتِدَاءِ بِغَيْرِهِ.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، والحاكم (٣٢٤ / ٤)، وحسنه الإمام الألباني رضي الله عنه.

في صحيح وضعيف الترمذي. وفي الصحيحة (٩٧٧).

بيان البر والإثم

وَقَالَ الشَّرِيفُ فِي التَّعْرِيفَاتِ: قِيلَ حُسْنُ الْخُلُقِ هَيْئَةٌ رَاسِخَةٌ تَصْدُرُ عَنْهَا الْأَفْعَالُ الْمَحْمُودَةُ بِسُهُولَةٍ وَتَيْسُرٍ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى إِعْمَالِ فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ. اهـ
قِيلَ وَيَجْمَعُ حُسْنَ الْخُلُقِ قَوْلُهُ - ﷺ - : «طَلَاقَةُ الْوَجْهِ وَكَفُّ الْأَدَى وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ» .

وقوله: «وَالِإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»: أَي تَحَرَّكَ الْخَاطِرُ فِي صَدْرِكَ وَتَرَدَّدَتْ هَلْ تَفْعَلُهُ لِكَوْنِهِ لَا لَوْمَ فِيهِ أَوْ تَتْرَكُهُ خَشْيَةَ اللَّوْمِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمِنْ النَّاسِ لَوْ فَعَلْتَهُ؟
فَلَمْ يَنْشَرْحْ بِهِ الصَّدْرُ وَلَا حَصَلَتْ الطَّمَأْنِينَةُ بِفِعْلِهِ خَوْفَ كَوْنِهِ ذَنْبًا.
وَيُفْهَمُ مِنْهُ: أَنَّهُ يَنْبَغِي تَرْكُ مَا تُرَدَّدُ فِي إِبَاحَتِهِ.
وَفِي مَعْنَاهُ حَدِيثٌ: «دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَّا مَا لَا يَرِيْبُكَ»^(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ - ﷺ - .

وفيه: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ لِلنَّفْسِ إِذْرَاكًا لِمَا لَا يَحِلُّ فِعْلُهُ وَزَاجِرًا عَنْ فِعْلِهِ. اهـ



(١) الحديث لم يخرج به البخاري في صحيحه، وقد جاء عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم: الحسن بن علي، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم. والحديث صححه في الإرواء الإمام الألباني رحمه الله برقم (١٢) وقال فيه: أما حديث الحسن: فأخرجه النسائي (٢/٢٣٤) والترمذي (٨٤/٢) والحاكم (٩٩/٤) والطيالسي (١١٧٨) وأحمد (١/٢٠٠) وأبو نعيم في " الحلية " (٨/٢٦٤) وزادوا جميعاً إلا النسائي " فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة ". وإسناده صحيح، وسكت عليه الحاكم. وقال الذهبي: "قلت: سنده قوى".

بيان أنه لا يتناجى اثنان دون الثالث

١٤٥٥ - (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اِثْنَانِ دُونَ الْآخِرِ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ).

شرح

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان النهي عن تناجى اثنين دون الثالث لعله إدخال الحزن عليه.

وهذا حسن خلق رفيع تراعي فيه المشاعر، وأهمية إدخال السرور على المسلمين والنهي هنا للتحريم؛ لأنه الأصل في النهي، ولا صارف يصرفه إلى الكراهة. ولأن أذية المسلم محرمة، فلا يحوز للمسلم أن يؤذي أخاه، أو يتسبب في حزنه، وأذيته، يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^(٥٨).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»^(٢).

والمناجاة: هي المحادثة على السرار، أي بصوت خافت لا يسمعه إلا من كان

(١) أخرجه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

بجانبه .

قوله: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً»: خرج بهذا القيد: ما إذا كانوا اثنين، أو أكثر من ثلاثة، فلا يشملهم الحكم.

قوله: «فَلَا يَتَنَاجَى اِثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ» أي: لا بد من إقبال بعضهم على البعض، والتحدث فيما بينهم جميعاً، وهذا إذا كانوا ثلاثة .

قوله: «حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ»: والعلة في ذلك من أجل أن ذلك يحزنه، أي يدخل عليه الحزن، ويؤدي إلى إساءة الظن.

ولا سيما إذا كانوا في مفازة، ربما ظن أنهم يتآمرون على قتله، أو ضربه.

أو أخذ ماله؛ فيبقى منهم على تخوف، وحذر شديد.

وفيه: سد ذرائع الشر، والحفاظ على الأخوة.

قوله: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ» أي: يدخل عليه الحزن.

فهذه هي العلة من النهي عن تناجي الاثنين دون الثالث؛ إن لم يكن غيرهم .

📖 قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/٦١٦): فِيهِ النَّهْيُ عَنِ تَنَاجِيِ الْإِثْنَيْنِ

إِذَا كَانَ مَعَهُمَا ثَالِثٌ.

إِلَّا إِذَا كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةٍ لِإِنْتِفَاءِ الْعِلَّةِ الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا وَهِيَ أَنَّهُ يُحْزِنُهُ انْفِرَادُهُ.

وإِيهَامُ أَنَّهُ مِمَّنْ لَا يُؤْهَلُ لِلْسَّرِّ، أَوْ يُؤْهَمُهُ أَنَّ الْخَوْصَ مِنْ أَجْلِهِ.

وَدَلَّتِ الْعِلَّةُ عَلَى أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا أَرْبَعَةً فَلَا نَهْيَ عَنِ انْفِرَادِ اثْنَيْنِ بِالْمُنَاجَاةِ لِفَقْدِ

الْعِلَّةِ.

وظَاهِرُهُ عَامٌّ لِجَمِيعِ الْأَحْوَالِ فِي سَفَرٍ أَوْ حَضَرٍ:

وإِلَيْهِ ذَهَبَ ابْنُ عُمَرَ وَمَالِكٌ وَجَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ.

وَادَّعَى بَعْضُهُمْ نَسْخَهُ، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

بيان أنه لا يتناجى اثنان دون الثالث

وَأَمَّا الْآيَاتُ فِي سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ فَهِيَ فِي نَهْيِ الْيَهُودِ عَنِ التَّنَاجِي.

كَمَا أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ: عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ

نُؤُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ [المجادلة: ٨] قَالَ: "الْيَهُودُ".

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَالَ: «كَانَ بَيْنَ الْيَهُودِ وَبَيْنَ النَّبِيِّ - ﷺ -

- مُوَادَعَةً. فَكَانُوا إِذَا مَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - جَلَسُوا يَتَنَاجَوْنَ

بَيْنَهُمْ حَتَّى يَظُنَّ الْمُؤْمِنُ أَنَّهُمْ يَتَنَاجَوْنَ بِقَتْلِهِ أَوْ بِمَا يَكْرَهُ الْمُؤْمِنُ فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُ ذَلِكَ

خَشِيَهِمْ فَتَرَكَ طَرِيقَهُ عَلَيْهِمْ. فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ - ﷺ - عَنِ النَّجْوَى فَلَمْ يَنْتَهُوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ

﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ نُؤُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ [المجادلة: ٨].»



بيان النهي عن إقامة الرجل لأخيه من مجلسه الذي سبق إليه

١٤٥٦ - (وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا، وَتَوَسَّعُوا»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان النهي عن إقامة الرجل لأخيه من مجلسه الذي سبق إليه.

قال الإمام الصنعاني رضي الله عنه في السبل (٢/٦١٦-٦١٧):

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: "لَا يُقِيمَنَّ": بِصِيغَةِ النَّهْيِ مُؤَكَّدًا فَلَفَّظَ الْخَبَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي آتَى بِهِ الْمُصَنِّفُ فِي مَعْنَى النَّهْيِ، وَظَاهِرُهُ التَّحْرِيمُ. فَمَنْ سَبَقَ إِلَى مَوْضِعٍ مُبَاحٍ مِنْ مَسْجِدٍ أَوْ غَيْرِهِ لِصَلَاةٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ الطَّاعَاتِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ، وَيَحْرُمُ عَلَى غَيْرِهِ أَنْ يُقِيمَهُ مِنْهُ. إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَفَادَ حَدِيثُ: «مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

أَنَّهُ إِذَا كَانَ قَدْ سَبَقَ فِيهِ حَقٌّ لِأَحَدٍ بِقُعُودِهِ فِيهِ مِنْ مُصَلٍّ أَوْ غَيْرِهِ ثُمَّ فَارَقَهُ لِأَيِّ حَاجَةٍ ثُمَّ عَادَ وَقَدَّ قَعَدَ فِيهِ أَحَدٌ أَنْ لَهُ أَنْ يُقِيمَهُ مِنْهُ.

وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَقَالُوا: لَا فَرْقَ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ أَنْ يُقِيمَهُ وَيَتْرَكَ فِيهِ سَجَادَةً، أَوْ نَحْوَهَا، أَوْ لَا، فَإِنَّهُ أَحَقُّ بِهِ.

قَالُوا: وَإِنَّمَا يَكُونُ أَحَقُّ بِهِ فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ وَحْدَهَا دُونَ غَيْرِهَا.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧) واللفظ له.

بيان النهي عن إقامة الرجل لأخيه من مجلسه الذي سبق إليه

وَالْحَدِيثُ يَشْمَلُ مَنْ قَعَدَ فِي مَوْضِعٍ مَخْصُوصٍ لِتِجَارَةٍ أَوْ حِرْفَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا.
قَالُوا: وَكَذَلِكَ مَنْ اعْتَادَ فِي الْمَسْجِدِ مَحَلًّا يَدْرُسُ فِيهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ.
قَالَ الْغَزَالِيُّ: إِلَى الْأَبَدِ مَا لَمْ يُضْرَبِ.
وَأَمَّا إِذَا قَامَ الْقَاعِدُ مِنْ مَحَلِّهِ لِغَيْرِهِ؛ فَظَاهِرُ الْحَدِيثِ جَوَازُهُ.
وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَمَرَ - رضي الله عنه -: "أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ لَهُ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ لَا يَقْعُدُ فِيهِ".
وَحَمِلَ عَلَى أَنَّهُ تَرَكَهُ تَوَرُّعًا لِحَوَازِ أَنَّهُ قَامَ لَهُ حَيَاءً مِنْ غَيْرِ طَبِيبَةِ نَفْسٍ. اهـ



بيان بعض آداب الأكل

١٤٥٧ - (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحُ يَدَهُ، حَتَّى يَلْعَقَهَا، أَوْ يُلْعِقَهَا»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح:

ساق المصنف رضي الله عنه هذا الحديث لبيان أدب من آداب الطعام، وهو لعق الأصابع .
وبيانه أن لا يمسح الأكل يده حتى يلعقها بنفسه، أو يلعقها غيره؛ إن كان لا يحصل له التقزز والأذى من اللعق.

بيان الحكمة من لعق الطعام قبل غسل اليد:

ذكر أهل العلم أن الحكمة في ذلك طلب بركة الطعام تكون في هذا الطعام الذي في يده، فإذا لعقها وقعت البركة فيه .
والنهى للتنزيه .

قوله: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحُ يَدَهُ، حَتَّى يَلْعَقَهَا» أي: يلعقها بنفسه.

قوله: «أَوْ يُلْعِقَهَا» أي: غيره ممن لا يتقدر منه: كالزوجة، أو الابن، أو الخادم، وما أشبه ذلك.

والشاهد من الحديث: أن الإنسان يحافظ على النعمة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .
وفيه: أنه ينبغي الحرص على طلب البركة، سواء كان ذلك بلعق يديه بعد الطعام أو بلعق الصحيفة التي أكل فيها أو الأكل من جوانب الصحيفة .

ففي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث ابن عباسٍ - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

(١) أخرجه البخاري (٥٤٥٦)، ومسلم (٢٠٣١)، وهو عند البخاري بدون لفظ: «طعاما» وفي رواية

أخرى لمسلم: «من الطعام».

بيان بعض آداب الأكل

«إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلَا يَأْكُلْ مِنْ أَعْلَى الصَّحْفَةِ، وَلَكِنْ لِيَأْكُلْ مِنْ أَسْفَلِهَا، فَإِنَّ الْبَرَكَاتَةَ تَنْزِلُ مِنْ أَعْلَاهَا»^(١).

ولفظ الإمام ابن ماجه في سننه بذكر الوسط: من حديث ابن عباس -رضي الله عنه-، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا وُضِعَ الطَّعَامُ، فَخُذُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَذَرُوا وَسْطَهُ، فَإِنَّ الْبَرَكَاتَةَ تَنْزِلُ فِي وَسْطِهِ».

﴿ بيان حكم الأطعمة التي تكون جافة:

وأما الأطعمة الجافة التي لا يعلق بالأيدي منها شيء، فلا سبيل إلى لعق الأصابع.

﴿ بيان أن عادة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأكل بثلاث أصابع:

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعٍ، وَيَلْعَقُ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا»^(٢).

﴿ قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢-٦١٧-٦١٨): وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى

عَدَمِ تَعْيِينِ غَسْلِ الْيَدِ مِنَ الطَّعَامِ، وَأَنَّهُ يُجْزَى مَسْحُهَا.

وفيه: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ لَعَقُ الْيَدِ أَوْ إِعَاقُهَا الْغَيْرِ.

وَعَلَّلَهُ فِي الْحَدِيثِ: «بِأَنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَاتَةُ».

كَمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: «أَنَّهُ - ﷺ - أَمَرَ بِلَعَقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا

تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَاتَةُ».

وَكَذَلِكَ أَمَرَ - ﷺ - بِالتَّقَاطِ اللَّقْمَةِ وَمَسْحِهَا وَأَكْلِهَا.

كَمَا فِي رِوَايَةِ لِمُسْلِمٍ أَيْضًا بِلَفْظٍ: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٧٢)، وابن ماجه (٣٢٧٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن،

وهو في الإرواء (١/١٩٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٣٢).

أَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ».

وَهَذِهِ الْأُمُورُ: مِنَ اللَّعِقِ وَالْإِلْعَاقِ وَلَعِقِ الصَّحْفَةَ وَأَكْلِ مَا يَسْقُطُ ظَاهِرُ الْأَوَامِرِ
وُجُوبِهَا.

وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ، وَقَالَ: إِنَّهَا فَرَضٌ.

وَالْبَرَكَةُ: هِيَ النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ وَثُبُوتُ الْخَيْرِ.

وَالْمَرَادُ هُنَا: مَا يَحْصُلُ بِهِ التَّغْذِيَّةُ وَتَسْلَمُ عَاقِبَتُهُ مِنْ أَذَى وَيُقَوِّي عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ
وَعَيْرِ ذَلِكَ.

وَهَذِهِ الْبَرَكَةُ قَدْ تَكُونُ: فِي لَعِقِ يَدِهِ، أَوْ لَعِقِ الصَّحْفَةِ، أَوْ أَكْلِ مَا يَسْقُطُ مِنْ لُقْمَةٍ؛
وَإِنْ كَانَ عَلَلٌ أَكَلَ السَّاقِطَ بِأَنَّهُ لَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ.

وَالْمَرَادُ مِنْ قَوْلِهِ يَدُهُ هُوَ أَصَابِعُ يَدِهِ الثَّلَاثُ: كَمَا وَرَدَ «أَنَّهُ - ﷺ - كَانَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ
أَصَابِعٍ وَلَا يَزِيدُ الرَّابِعَةَ وَالْخَامِسَةَ إِلَّا إِذَا احتَاجَهَا»، بَأَن يَكُونَ الطَّعَامُ عَيْرٌ مُشْتَدًّا
وَنَحْوَهُ.

وَقَدْ أَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ: «أَنَّهُ - ﷺ - كَانَ إِذَا أَكَلَ بِخَمْسٍ»، وَهُوَ
مُرْسَلٌ.

وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِالْعَاقِ الْغَيْرِ أَصَابِعُهُ مِنْ زَوْجَةٍ، وَخَادِمٍ وَوَلَدٍ وَغَيْرِهِمْ.
فَإِنْ تَجَسَّتِ اللَّقْمَةُ السَّاقِطَةُ فَيُزِيلُ مَا فِيهَا مِنْ نَجَاسَةٍ إِنْ أَمَكَنَّ، وَإِلَّا أَطْعَمَهَا
حَيَوَانًا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ.

كَمَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ بِنَاءً عَلَى جَوَازِ إِطْعَامِ الْمُتَنَجِّسِ، وَعَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ فِعْلًا خَلْفًا
عَنْ سَلَفٍ، وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ. اهـ



بيان بعض آداب السلام

١٤٥٨ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم]: «لَيْسَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالرَّائِبُ عَلَى الْمَاشِي»^(٢)).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان بعض آداب السلام.

وقد تقدم شيء من ذكر آدابه في شرح حديث حق المسلم على المسلم .

قال الإمام الصنعاني رضي الله عنه في السبل (٢-٦١٨-٦١٩): وَظَاهِرُ الْأَمْرِ الْوُجُوبُ، وَقَالَ الْمَازِرِيُّ: إِنَّهُ لِلنَّدْبِ. قَالَ: فَلَوْ تَرَكَ الْمَأْمُورُ بِالْإِبْتِدَاءِ فَبَدَأَ الْآخَرُ كَانَ الْمَأْمُورُ تَارِكًا لِلْمُسْتَحَبِّ وَالْآخَرَ فَاعِلًا لِلسُّنَّةِ.

(قُلْتُ) وَالْأَصْلُ فِي الْأَمْرِ الْوُجُوبُ، وَكَأَنَّهُ صَرَفَهُ عَنْهُ الْإِتِّفَاقُ عَلَى عَدَمِ وُجُوبِ الْبُدْءِ بِالسَّلَامِ.

وَالْحَدِيثُ فِيهِ شَرْعِيَّةُ ابْتِدَاءِ السَّلَامِ مِنَ الصَّغِيرِ عَلَى الْكَبِيرِ.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: عَنِ الْمُهَلَّبِ: الْمَارِّينَ مَعَ كَثْرَتِهِمْ فَسَقَطَتْ الْبُدْءُ عَنْهُ لِلْمَشَقَّةِ عَلَيْهِ. وَفِيهِ: شَرْعِيَّةُ ابْتِدَاءِ الْقَلِيلِ بِالسَّلَامِ عَلَى الْكَثِيرِ؛ وَذَلِكَ لِفَضِيلَةِ الْجَمَاعَةِ أَوْ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ وَلَوْ ابْتَدَأُوا لَخِيفَ عَلَى الْوَاحِدِ الزَّهْوُ فَاحْتِيطَ لَهُ.

فَلَوْ مَرَّ جَمْعٌ كَثِيرٌ عَلَى جَمْعٍ قَلِيلٍ أَوْ مَرَّ الْكَبِيرُ عَلَى الصَّغِيرِ؟

(١) أخرجه البخاري (٦٢٣١ - ٦٢٣٤)، وهذا لفظه، وليس عند مسلم تسليم الصغير على الكبير.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٦٠) والبخاري (٦٢٣٢، ٦٢٣٣).

بيان بعض آداب السلام

قَالَ الْمُصَنِّفُ: لَمْ أَر فِيهِ نَصًّا، وَاعْتَبَرَ النَّوِيَّ الْمُرُورَ.

فَقَالَ: الْوَارِدُ يَبْدَأُ سَوَاءً كَانَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا.

وَذَكَرَ الْمَاوَرِدِيُّ: أَنَّ مَنْ مَشَى فِي الشُّوَارِعِ الْمَطْرُوقَةِ كَالسُّوقِ أَنَّهُ لَا يُسَلِّمُ إِلَّا عَلَى الْبَعْضِ لِأَنَّهُ لَوْ سَلَّمَ عَلَى كُلِّ مَنْ لَقِيَ لَتَشَاغَلَ بِهِ عَنِ الْمُهِّمِّ الَّذِي خَرَجَ لِأَجْلِهِ؛ وَخَرَجَ بِهِ عَنِ الْعُرْفِ.

وفيه: شُرْعِيَّةُ ابْتِدَاءِ الرَّابِّ عَلَى الْمَاشِي، وَذَلِكَ؛ لِأَنَّ لِلرَّابِّ مَزِيَّةً عَلَى الْمَاشِي؛ فَعَوَّضَ الْمَاشِي بَأَن يَبْدَأَ الرَّابِّ بِالسَّلَامِ احْتِيَاظًا عَلَى الرَّابِّ، مِنْ الرَّهْوِ لَوْ حَازَ الْفَضِيلَتَيْنِ.

وَأَمَّا إِذَا تَلَاقَى رَاكِبَانِ أَوْ مَاشِيَانِ:

فَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهَا الْمَازِرِيُّ فَقَالَ: يَبْدَأُ الْأَدْنَى مِنْهُمَا عَلَى الْأَعْلَى قَدْرًا فِي الدِّينِ إِجْلَالًا لِفَضْلِهِ؛ لِأَنَّ فَضِيلَةَ الدِّينِ مُرَعَّبٌ فِيهَا فِي الشَّرْعِ.

وَعَلَى هَذَا لَوْ تَلَقَى رَاكِبَانِ وَمَرْكُوبٌ أَحَدُهُمَا أَعْلَى فِي الْجِنْسِ مِنْ مَرْكُوبِ الْآخَرِ كَالْجَمَلِ وَالْفَرَسِ فَيَبْدَأُ رَاكِبُ الْفَرَسِ، أَوْ يَكْتَفِي بِالنَّظَرِ إِلَى أَعْلَاهُمَا قَدْرًا فِي الدِّينِ. فَيَبْدَأُ الَّذِي هُوَ أَدْنَى الَّذِي هُوَ فَوْقَهُ.

وَالثَّانِي أَظْهَرُ كَمَا لَا يُنْظَرُ إِلَى مَنْ يَكُونُ أَعْلَاهُمَا قَدْرًا مِنْ جِهَةِ الدُّنْيَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ سُلْطَانًا يُخْشَى مِنْهُ.

وَإِذَا تَسَاوَى الْمُتَلَاقِيَانِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ:

فَكُلُّ مِنْهُمَا مَأْمُورٌ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ كَمَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ الْمُتَهَاجِرِينَ.

وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ «الْمَاشِيَانِ إِذَا اجْتَمَعَا فَأَيُّهُمَا بَدَأَ بِالسَّلَامِ فَهُوَ أَفْضَلُ».

بيان بعض آداب السلام

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنِ الْأَعْرَجِ الْمُزَنِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه -: «لَا يَسْبِقُكَ أَحَدٌ بِالسَّلَامِ».
وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ - رضي الله عنه - مَرْفُوعًا: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَ بِالسَّلَامِ»، وَقَالَ: حَسَنٌ.
وَالطَّبْرَانِيُّ فِي حَدِيثٍ: «قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَلْتَقِي فَأَيُّنَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ قَالَ أَطْوَعُكُمْ لِلَّهِ تَعَالَى».



١٤٥٩ - (وَعَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُجْزَى عَنِ الْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزَى عَنِ الْجَمَاعَةِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ»^(١). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبَيْهَقِيُّ).

شرح الشرح: ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أدب من آداب السلام.

قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢-٦١٩-٦٢٠):

فيه: أَنَّهُ يُجْزَى تَسْلِيمِ الْوَاحِدِ عَنِ الْجَمَاعَةِ ابْتِدَاءً وَرَادًّا.

قَالَ النَّوَوِيُّ: يُسْتَشَى مِنْ عُمُومِ ابْتِدَاءِ السَّلَامِ مَنْ كَانَ يَأْكُلُ، أَوْ يَشْرَبُ، أَوْ يُجَامِعُ، أَوْ كَانَ فِي الْخَلَاءِ، أَوْ فِي الْحَمَامِ، أَوْ نَائِمًا، أَوْ نَاعِسًا، أَوْ مُصَلِّيًا، أَوْ مُؤَدِّنًا، مَا دَامَ مُتَلَبِّسًا بِشَيْءٍ مِمَّا ذُكِرَ، إِلَّا أَنْ السَّلَامَ عَلَى مَنْ كَانَ فِي الْحَمَامِ إِنَّمَا كُرِهَ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ إِزَارٌ وَإِلَّا فَلَا كَرَاهَةَ.

بيان حكم السَّلَامِ حَالَ الْخُطْبَةِ فِي الْجُمُعَةِ:

وَأَمَّا السَّلَامُ حَالَ الْخُطْبَةِ فِي الْجُمُعَةِ فَيُكْرَهُ لِلْأَمْرِ بِالْإِنْصَاتِ، فَلَوْ سَلَّمَ لَمْ يَجِبِ الرَّدُّ عَلَيْهِ عِنْدَ مَنْ قَالَ الْإِنْصَاتُ وَاجِبٌ.

وَيَجِبُ عِنْدَ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ سَنَّةٌ.

وَعَلَى الْوَجْهَيْنِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرُدَّ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ.

بيان حكم السَّلَامِ عَلَى الْمُشْتَغِلِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ:

وَأَمَّا الْمُشْتَغِلُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ الْوَاحِدِيُّ: الْأَوْلَى تَرْكُ السَّلَامِ عَلَيْهِ فَإِنْ سَلَّمَ

(١) أخرجه أبو داود (٥٢١٠)، والبيهقي (١٧٩٤٦)، وفي إسناده سعيد بن خالد الخزاعي ضعيف.

وليس هو عند أحمد. وله شاهد: من مراسيل زيد بن أسلم، أخرجه مالك في الموطأ (٢٧٥٦).

وآخر من حديث علي رضي الله عنه أخرجه البزار (٥٣٤)، وأبو يعلى (٤٤١). وحسنه الإمام

الألباني رحمه الله في الإرواء (٧٧٨).

بيان بعض آداب السلام

كَفَاهُ الرَّدُّ بِالْإِشَارَةِ، وَإِنْ رَدَّ لَفْظًا اسْتَأْنَفَ الْإِسْتِعَاذَةَ وَقَرَأَ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: فِيهِ نَظَرٌ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يُشْرَعُ السَّلَامُ عَلَيْهِ وَيَجِبُ عَلَيْهِ الرَّدُّ. اهـ

﴿ بيان حكم سلام من دخل بيتا ليس فيه أحد: ﴾

وَيُنْدَبُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ دَخَلَ بَيْتًا لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا

فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] الآية.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ وَابْنُ شَيْبَةَ^(١): بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ -

- «يُسْتَحَبُّ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ». وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - ﴿ - نَحْوَهُ.

﴿ بيان حكم المار إذا ظن أن القاعد لن يرد عليه السلام: ﴾

فَإِنْ ظَنَّ الْمَارُ أَنَّهُ إِذَا سَلَّمَ عَلَى الْقَاعِدِ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يَتْرُكُ ظَنَّهُ وَيُسَلِّمُ فَلَعَلَّ ظَنَّهُ يُخْطِئُ.

فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ سَلَامُهُ رَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ. كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ: لَا يُسَلِّمُ عَلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ سَبَبًا لِتَأْتِيمِ الْآخِرِ فَهُوَ كَلَامٌ غَيْرٌ صَحِيحٌ؛ لِأَنَّ الْمَأْمُورَاتِ الشَّرْعِيَّةَ لَا تَتْرُكُ بِمِثْلِ هَذَا، ذَكَرَ مَعْنَاهُ النَّوَوِيُّ.

وَقَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَلَّمَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ تَوَرُّطَ الْمُسْلِمِ فِي الْمَعْصِيَةِ أَشَدُّ مِنْ مَصْلَحَةِ السَّلَامِ عَلَيْهِ، وَامْتِثَالَ حَدِيثِ الْأَمْرِ بِالْإِفْشَاءِ يَحْضُلُ مَعَ غَيْرِ هَذَا.

فَإِنْ قِيلَ هَلْ يَحْسُنُ أَنْ نَقُولَ: "رَدَّ السَّلَامَ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ"، قِيلَ نَعَمْ فَإِنَّهُ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

فِيَجِبُ؛ فَإِنْ لَمْ يَجِبْ، حَسُنَ أَنْ يُحَلَّلَهُ مِنْ حَقِّ الرَّدِّ. اهـ



(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٥٥) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٨٣٥).

بيان تحريم بدء اليهود والنصارى بالسلام

١٤٦٠ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَبْدُؤُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

شرح الشرح:

ساق المصنف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحديث لبيان تحريم بدء أهل الذمة: من اليهود ومن النصارى بالسلام.

وذلك لإظهار قوة الإسلام.

وحديث الباب يدل على تحريم بدء أهل الذمة من اليهود، ومن النصارى بالسلام؛ لأنهم غير مستحقين له.

ولكن لو بدأوا هم بالسلام فيرد عليه بقوله: "وعليكم".

دون أي زيادة؛ لأنهم ربما قصدوا الدعاء وسب المسلم، كما كانت اليهود تفعل مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقولون: السام عليكم والسام الموت.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى جواز بدء أهل الذمة بالسلام؛ لعموم أدلة السلام والذي يظهر أن العموم خاص في حق المسلم، وحديث الباب يدل على عدم بدئهم بالسلام.

وفي صحيح الإمام مسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وليس عن علي، فلعله سبق قلم.

(٢) أخرجه مسلم (٥٤).

وفي مسند الإمام البزار رحمه الله: من حديث عمّار بن ياسر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنَ الْإِيمَانِ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ»^(١).

ثم قال رحمه الله: وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ غَيْرٌ وَاحِدٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ صِلَةَ، عَنْ عَمَّارٍ مَوْقُوفًا.

وفي الصحيحين: من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(٢).
قوله: «وَعَنَهُ» أي: عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: «لَا تَبَدُّوْا الْيَهُودَ» اليهود: هم أتباع موسى عليه السلام، ولكنهم قد حرفوا وبدلوا التوراة التي أنزلها الله ﷻ على نبيه موسى عليه السلام. ولم يؤمنوا بنبينا محمد ﷺ، فهم من أهل النار الخالدين فيها أبدًا وقد وقعوا في الشرك الأكبر المخلد لأهله في نار جهنم.

يقول الله ﷻ: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ ﴾

(٢) أخرجه البزار مرفوعاً (١٣٩٦)، وعلقه البخاري في صحيحه من قول عمار بن ياسر رضي الله عنه موقوفاً عليه (١٥/١)، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٤٤٠) موقوفاً على عمار رضي الله عنهما، وصحح الإمام الألباني رحمه الله وقفه على عمار بن ياسر رضي الله عنه كما في تحقيق الإيمان لابن تيمية (ص ٩٣)، وفي تخريج الكلم الطيب (١٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ [التوبة: ٣٠-٣١].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١).

قوله: «وَالنَّصَارَى» النصارى: هم أتباع عيسى عليه السلام، وقد حرفوا وبدلوا . حتى أصبحت الأناجيل ثمانية وسبعين إنجيلًا .

وهم من أهل النار الخالدين فيها أبدًا؛ لأنهم كفروا بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وقد وقعوا في الشرك وانقسموا في عيسى عليه السلام إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قسم قالوا بأن عيسى بن مريم عليه السلام هو الله صلى الله عليه وسلم .

الثاني: قسم قالوا بأن عيسى عليه السلام هو ابن الله صلى الله عليه وسلم .

الثالث: قسم قالوا بأن عيسى عليه السلام إله ثالث، مع الله صلى الله عليه وسلم، ومع روح القدس الذي هو أمه مريم الصديقة .

فجعلوا الآلة ثلاثة: الله صلى الله عليه وسلم، وعيسى، ومريم .

قاتلهم الله صلى الله عليه وسلم أنا يؤفكون .

يقول الله صلى الله عليه وسلم ردًا عليهم في زعمهم الباطل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ

الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ ۖ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ

فَقَدَّ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ

قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۗ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ۗ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ ۗ وَاللَّهُ

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) .

عَفُورٌ رَجِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَّانِ الطَّعَامِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ
أَنْظَرُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ [المائدة: ٧٢-٧٥].

لهذا فلا يقال في حق اليهود والنصارى بأنهم أصحاب ديانة سماوية كما يقوله البعض من جهلة المسلمين.

فالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، قد حصل لهما التحريف، والتدليل، من قبل اليهود والنصارى. وما فيهما من الحق قد نسخ بالقرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ. إضافة إلى ما فيهم من الكفر، والشرك بالله ﷻ، في اعتقادهم في عزيز، وفي عيسى عليه السلام.

وإضافة إلى ذلك كفرهم بنبوته محمد ﷺ.

كل هذا يجعلهم من أهل النار خالدين فيها أبداً.

ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ

فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾، وغيرها من الآيات.

فالواجب على كل من أدرك زمن نبوة نبينا محمد ﷺ أن يؤمن به؛ وبقاؤه على دينه السابق كفر بمحمد ﷺ.

﴿ بيان أقسام أمة النبي صلى الله عليه وسلم:

وتنقسم أمة النبي ﷺ إلى قسمين:

الأول: أمة الإجابة.

وهي من آمن بالنبي ﷺ وبما أنزل إليه.

الثاني: أمة الدعوة.

بيان تحريم بدء اليهود والنصارى بالسلام

وهم من بلغتهم دعوة نبينا محمد ﷺ ولم يؤمن به، وكفروا برسالته، ونبوته، ومنهم: اليهود، والنصارى، والمجوس، وسائر الكفار والمشركين، حتى الملحدين بالله ﷻ.

وقد لعن اليهود والنصارى على السنة أنبيائهم عليهم السلام.

يقول الله ﷻ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ المائدة: ٧٨-٨١].

قوله: «بِالسَّلَام»: فلا يجوز بدء اليهود، والنصارى بالسلام.

سواء كانوا من أهل الذمة، والمعاهدين، أو كان المسلم يعيش في بلادهم. وإذا خشي على نفسه منهم، له أن يسلم عليهم بتحتيتهم المعروفة بلغتهم؛ حتى يدفع الشر، والأذى عن نفسه.

قوله: «وَإِذَا لَقِيتُمْهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَأَضْطَرُّوهُمْ إِلَى أُضْيَقِهِ».

وهذا يكون في حال قوة أهل الإسلام، وعزته.

قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/ ٦٢١): ذَهَبَ الْأَكْثَرُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ ابْتِدَاءُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ. وَهُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ، إِذْ أَصْلُ النَّهْيِ التَّحْرِيمُ.

وَحِكْمِي عَنْ بَعْضِ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّهُ يَجُوزُ الْإِبْتِدَاءُ لَهُمْ بِالسَّلَامِ. وَلَكِنْ يَتَنَصَّرُ عَلَى قَوْلِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ.

وَرَوَى ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - وَغَيْرُهُ.

حَكَى الْقَاضِي عِيَّاضٌ عَنْ جَمَاعَةٍ جَوَّازَ ذَلِكَ لَكِنْ لِلصَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ.

وَبِهِ قَالَ عَلْقَمَةُ وَالْأَوْزَاعِيُّ.

وَمَنْ قَالَ: لَا يَجُوزُ.

يَقُولُ: إِنْ سَلَّمَ عَلَى ذِمِّي ظَنَّهُ مُسْلِمًا ثُمَّ بَانَ لَهُ أَنَّهُ يَهُودِيٌّ فَيَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ لَهُ: رُدَّ

عَلَيَّ سَلَامِي.

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ أَنْ يُوحِشَهُ وَيُظْهِرَ لَهُ أَنَّهُ

لَيْسَ بَيْنَهُمَا أُلْفَةٌ.

وَعَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ لَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَسْتَرِدَّهُ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ. اهـ

وَفِي قَوْلِهِ: "فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضِيْقِهِ": دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ رَدِّهِمْ عَنْ وَسْطِ

الطَّرْفَاتِ إِلَى أَضِيْقِهَا وَتَقَدَّمَ فِيهِ الْكَلَامُ. اهـ



بيان بعض آداب العطاس

١٤٦١ - (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، وَيُصْلِحُ بِأَلْسِنَتِكُمْ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح: ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان بعض آداب العطاس.

وإذا عطس في الأولى فحمد الله تعالى؛ فإنه يشمت، ويقال له: يرحمك الله كما في حديث الباب .

وفي صحيح الإمام مسلم: من طريق أبي بريدة، قال: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ فِي بَيْتِ بِنْتِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَعَطَسْتُ فَلَمْ يُشَمِّتْنِي، وَعَطَسَتْ فَشَمَّتْهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا، فَلَمَّا جَاءَهَا قَالَتْ: عَطَسَ عِنْدَكَ ابْنِي فَلَمْ تُشَمِّتْهُ، وَعَطَسَتْ فَشَمَّتْهَا، فَقَالَ: إِنَّ ابْنِكَ عَطَسَ، فَلَمْ يَحْمِدِ اللَّهَ، فَلَمْ أُشَمِّتْهُ، وَعَطَسْتُ فَحَمِدَتِ اللَّهُ فَشَمَّتْهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَشَمَّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمِدِ اللَّهَ، فَلَا تُشَمِّتُوهُ»^(٢)، ولغيره من الأدلة.

وإذا زاد على ثلاث لا يلزم تشميته

ففي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله: من حديث سلمة بن الأكوع - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يُشَمَّتُ الْعَاطِسُ ثَلَاثًا، فَمَا زَادَ فَهُوَ مَرْكُومٌ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٧١٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف ابن ماجه. وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٢٥١)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٢ / ٣٩١ / ٢)، بلفظ: "إذا عطس أحدكم فليشمته جلسه، فإن زاد =

بيان بعض آداب العطاس

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يشمت إلا في الأولى .

واستدلوا بما في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث سلمة بن الأكوع، - رحمه الله -
 حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ» ثُمَّ عَطَسَ
 أُخْرَى، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّجُلُ مَرْكُومٌ»^(١).

قوله: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ» أي: من المسلمين: سواء كانوا من الرجال، أو النساء،
 من الكبار، والصغار.

قوله: «فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ»: الأصل في الأمر الوجوب، ولكنه هنا للإرشاد،
 فالصحيح حمد العاطس: من المستحبات، وليس من الواجبات.

قوله: «وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ»: وهذا على الوجوب، لكل من سمعه .

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ
 يُحِبُّ الْعَطَّاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَحَقَّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ
 يُشَمِّتَهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيُرِدْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ
 مِنْهُ الشَّيْطَانُ»^(٢).

قوله: «فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، وَيُصْلِحُ بِالْكُم».

وفي الصحيحين: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: «عَطَسَ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الْآخَرَ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «هَذَا حَمِدَ اللَّهَ، وَهَذَا لَمْ

= على ثلاث فهو ماركوم، ولا يشمت بعد ذلك " . وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله (١٣٣٠)،

وفي صحيح الجامع (٦٨٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٣).

بيان بعض آداب العطاس

يَحْمَدُ اللَّهَ^(١).

﴿ بيان حكم من عطس ولم يحمد الله:

وفي الحديث أن من عطس ولم يحمد الله، أنه لا يشمت .

﴿ وهل يذكر من عطس ولم يحمد الله؟

الذي يظهر أنه لا يلزم أن يذكر لأن النبي ﷺ لم يذكره .

وإن ذكره، فمن باب التعاون على البر والتقوى .

واستدل العلماء بهذا الحديث الذي في الباب على فضيلة العطاس .

وأنه سبب لإزالة كثير من الجراثيم التي تخرج مع الرذاذ وقت العطاس وإذا كتم

الإنسان العطاس ربما أصيب بجلطة .

وفيه: أن حال المسلم كله على خير فالعاطس يحمد الله ﷻ على أن سلمه من هذا

المرض .

وأخوه الذي سمعه يقول له: يرحمك الله .

فيدعو له بالرحمة، والسلامة من الأمراض والأسقام، وبمغفرة الذنوب، وستر

العيوب وهو يرد عليه، بقوله: «يهديكُم الله ويصلح بالكم» .

قوله: «يهديكُم الله» أي: يدعو له بالهداية إلى كل خير، وأن يجنبه الله كل شر

وضير وضرر .

قوله: «ويصلح بالكم» أي: يصلح لكم الحال الذي أنتم عليه كما قال تعالى:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْمَمٍ ﴾ [محمد: ٥] .



(١) أخرجه البخاري (٦٢٢١)، ومسلم (٢٩٩١) .

بيان النهي عن الشرب قائماً

١٤٦٢ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِماً»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

شرح:

ساق المصنف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحديث لبيان بعض آداب الشرب، ومنها: النهي عن الشرب قائماً، وفيه زيادة «فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِ».

والحديث ضعفه بعض أهل العلم؛ ففي إسناده عمر بن حمزة ضعيف.

ففي صحيح مسلم: من حديث أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِماً»، قَالَ قَتَادَةُ: فَفَلْنَا فَلَا أَكُلُ، فَقَالَ: «ذَلِكَ أَشْرٌ أَوْ أَخْبَثٌ»^(٢).

وفي صحيح مسلم: من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الشُّرْبِ قَائِماً»^(٣).

بيان حكم الشرب جالساً:

قوله: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِماً»: المستحب الشرب جالساً، فقد صرف نهي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفعله، ففي صحيح مسلم: من حديث ابن عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ مِنْ زَمْزَمَ مِنْ دَلْوٍ مِنْهَا وَهُوَ قَائِمٌ»^(٤).

وفي سنن الإمام الترمذي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من حديث كَبْشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢٤).

(٣) أخرجه مسلم باللفظين (٢٠٢٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٢٧).

بيان النهي عن الشرب قائماً

اللَّهُ ﷻ فَشَرِبَ مِنْ فِي قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِمًا فَقُمْتُ إِلَيْ فِيهَا فَقَطَعْتُهَا»^(١).

وفعلت ذلك بتبغى بركة النبي ﷺ كما جاء ذلك مصرحاً به في سنن الإمام ابن ماجه ﷺ: من حديث كَبْشَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ -ﷺ-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «دَخَلَ عَلَيْهَا، وَعِنْدَهَا قِرْبَةٌ مُعَلَّقَةٌ، فَشَرِبَ مِنْهَا، وَهُوَ قَائِمٌ، فَقَطَعْتُ فَمِ الْقِرْبَةِ تَبْتَغِي بَرَكَهَ، مَوْضِعِ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٢).

وذهب بعض أهل العلم إلى أن النهي عن الشرب قائماً للتحريم.
وما جاء في حديث ابن عباس، وكبشة ﷺ، محمول على الحاجة .

وَلِلْحَافِظِ ابْنِ حَجْرٍ ﷺ:

إِذَا رُمَتْ تَشْرَبُ فَاقْعُدْ تَفْزُ
وَقَدْ صَحَّحُوا شُرْبَهُ قَائِمًا
بُسْتَةَ صَفْوَةَ أَهْلِ الْحِجَازِ
وَلَكِنَّهُ لِيَيَّانِ الْجَوَازِ

وفي سنن الإمام الترمذي ﷺ: من حديث ابنِ عُمَرَ -ﷺ- قَالَ: «كُنَّا نَأْكُلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷻ وَنَحْنُ نَمْشِي، وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ»^(٣).



(١) أخرجه الترمذي (١٨٩٢)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٤٢٣)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف ابن ماجه.

(٣) أخرجه الترمذي (١٨٨٠)، وابن ماجه (٣٣٠١)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح السنن.

وكان في الصحيح المسند للإمام الوادعي ﷺ ثم تراجع عنه في أحاديث معلقة ظاهرها الصحة (٢٧٢).

بيان بعض آداب اللبس

١٤٦٣ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَنْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشَّمَالِ، وَلْتَكُنِ الْيُمْنَى أَوْ لَهَا تُنْعَلُ، وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ»^(١).
١٤٦٤ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَمْشِي أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، وَلْيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا، أَوْ لِيُخْلَعْهُمَا جَمِيعًا»^(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمَا).

شرح الشرح:

ساق المصنف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحديث لبيان بعض آداب اللبس.
ومنها: لبس النعال، وخلعهما.

بيان حكم البدء باليمين في التنعل، وبالشمال عند خلع النعال:

وحديث الباب يدل على استحباب البدء باليمين عند لبس النعال، وبالبدء بالشمال عند خلعهما والأمر في الحديث للإرشاد.
وذلك لإكرام اليمين في اللبس، والخلع؛ لما لها من الفضل، والتقديم.
وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب التيمن.

وفي الصحيحين: من حديث عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يُعْجِبُهُ التَّيْمَنُ، فِي تَنْعُلِهِ، وَتَرْجُلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ»^(٣).

قوله: «إِذَا أَنْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ»: على سبيل الاستحباب، كما تقدم بيان ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٥٨٥٦)، ومسلم (٢٠٩٧)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٥٥)، ومسلم (٢٠٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٦٨).

قوله: «وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشَّمَالِ، وَلْتَكُنْ الْيُمْنَى أَوْلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ»:

وفيه بيان لشرف اليمين وتقديمها عند اللبس، والنزع.

وقد تكلمنا على أحكام اليمين في شرحنا على عمدة الأحكام، عند حديث أبي

قتادة رضي الله عنه: «لا يمسكن أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول...» وهو متفق عليه.

﴿ بيان أن المتعل كالراكب:

في صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه -، قَالَ: سَمِعْتُ

النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي غَزْوَةِ غَزَوْنَاهَا: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ النَّعَالِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا مَا

انْتَعَلَ»^(١).

﴿ بيان أن من لبس الخف ونحوه يلبسه وهو جالس:

لما جاء في سنن الإمام الترمذي رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - قَالَ: «نَهَى

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْتَعِلَ الرَّجُلُ وَهُوَ قَائِمٌ»^(٢).

لأن لبسه حال القيام قد يؤدي إلى سقوطه .

وهذا الحكم في الخفاف وما يقوم مقامها من الجوارب، والنعال الضيقة التي

تحتاج إلى استخدام الأيدي في اللبس، ويشق لبسها للقائم.

﴿ قال الإمام الصنعاني رضي الله عنه في السبل (٢/ ٦٢٢-٦٢٣):

وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْإِنْتَعَالِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ».

وَلَكِنَّهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ النَّعَالِ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا مَا

انْتَعَلَ».

أَيُّ يُشْبِهُ الرَّاكِبَ فِي خِفَةِ الْمَشَقَّةِ وَقِلَّةِ النَّصَبِ وَسَلَامَةِ الرَّجُلِ مِنْ أذى الطَّرِيقِ،

(١) أخرجه مسلم (٢٠٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٧٧٥)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف الترمذي.

فَإِنَّ الْأَمْرَ إِذَا لَمْ يُحْمَلْ عَلَى الْإِيجَابِ فَهُوَ لِإِسْتِحْبَابٍ. اهـ

قوله: « لَا يَمْسُ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلِ وَاحِدَةٍ، وَلْيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا، أَوْ لِيُخْلَعَهُمَا جَمِيعًا ».

📖 قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢-٦٢٣-٦٢٤): ظَاهِرُ النَّهْيِ التَّحْرِيمُ

عَنْ الْمَشِيِّ فِي نَعْلِ وَاحِدَةٍ.

وَحَمَلُهُ الْجُمُهورُ عَلَى الْكِرَاهَةِ، فَإِنَّهُمْ جَعَلُوا الْقَرِيبَةَ حَدِيثَ التِّرْمِذِيِّ^(١) عَنْ عَائِشَةَ

- رضي الله عنها - قَالَتْ «رُبَّمَا انْقَطَعَ شِسْعُ نَعْلِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَمَشَى فِي النَّعْلِ الْوَاحِدَةِ حَتَّى

يُضْلِحَهَا». إِلَّا أَنَّهُ رَجَحَ الْبُخَارِيُّ وَقَفَهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ رَزِينٌ: عَنْهَا - رضي الله عنها - قَالَتْ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَنْتَعِلُ قَائِمًا وَيَمْشِي

فِي نَعْلِ وَاحِدَةٍ».

وَاخْتَلَفُوا فِي عِلَّةِ النَّهْيِ:

فَقَالَ قَوْمٌ: عَلَّتُهُ أَنَّ النَّعَالَ سُرِعَتْ لِقَايَةِ الرَّجْلِ عَمَّا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَوْكٍ

وَنَحْوِهِ فَإِذَا انْفَرَدَتْ إِحْدَى الرَّجْلَيْنِ احْتِاجَ الْمَاشِي أَنْ يَتَوَقَّى لِإِحْدَى رِجْلَيْهِ مَا لَا

يَتَوَقَّى لِلْأُخْرَى.

فِيخْرُجُ لِذَلِكَ عَنْ سَجِيَّةِ مَشِيَّتِهِ وَلَا يَأْمَنُ مَعَ ذَلِكَ الْعِثَارَ.

وَقِيلَ: إِنَّهَا مِشْيَةُ الشَّيْطَانِ.

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: الْكِرَاهَةُ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الشُّهْرَةِ فِي الْمَلَابِسِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي رِوَايَةِ لِمُسْلِمٍ: «إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْسُ فِي نَعْلِ وَاحِدَةٍ حَتَّى

يُضْلِحَهَا».

وَتَقَدَّمَ مَا يُعَارِضُهُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - فَيُحْمَلُ عَلَى النَّدْبِ.

وَقَدْ أُلْحِقَ بِالنَّعْلَيْنِ كُلِّ لِبَاسٍ شَفَعُ كَالْحُفَيْنِ:

(١) أخرجه الترمذي (١٧٧٧).

بيان بعض آداب اللبس

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهٗ^(١): مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -: «لَا يَمُشِ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ وَلَا خُفٍّ وَاحِدٍ».

وَهُوَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ - رضي الله عنه -.

وَعِنْدَ أَحْمَدَ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ - رضي الله عنه -.

وَعِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه -.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَكَذَا إِخْرَاجُ الْيَدِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْكُمِّ دُونَ الْأُخْرَى وَالْإِرْتِدَاءُ عَلَى أَحَدِ الْمَنَكِيِّينَ دُونَ الْآخَرِ.

(قُلْتُ) وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ الْقِيَاسِ وَلَمْ تُعْلَمْ الْعِلَّةُ حَتَّى يُلْحَقَ بِالْأَصْلِ، فَالْأَوْلَى الْإِقْتِصَارُ عَلَى مَحَلِّ النَّصِّ. اهـ



(١) أخرجه ابن ماجه (٣٦١٧).

حكم الإسبال والخيلاء

١٤٦٥ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خَيْلَاءً»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان تحريم الإسبال في الثياب والخيلاء. فكلاهما من كبائر الذنوب؛ لأن صاحبه متوعد بعدم نظر الله صلى الله عليه وسلم إليه يوم القيامة.

بيان حكم الإسبال:

الإسبال له حالان:

الأولى: أن يجر إزاره تحت الكعبين، بغير خيلاء فهذا محرم؛ لما جاء في صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ»^(٢).

الثانية: أن يجمع مع الاسبال الخيلاء فيجتمع في حقه كبيرتان: كبيرة الإسبال، وكبيرة الخيلاء.

ومن لبسه فوق الكعبين بدون إسبال لكن مع الخيلاء يأثم على الخيلاء.

قوله: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ»: فيه إثبات النظر لله صلى الله عليه وسلم إلا أنه لا ينظر إلى من هذا حاله .

قال الإمام الشوكاني رضي الله عنه في النيل (٢/ ١٣٢-١٣٣): الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ جَرِّ الثَّوْبِ خَيْلَاءً.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٣)، ومسلم (٢٠٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٨٧).

وَالْمُرَادُ بِجَرِّهِ: هُوَ جَرُّهُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِقَوْلِهِ - ﷺ - : «مَا أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِرَارِ فِي النَّارِ» كَمَا سَيَأْتِي.

وظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ الْإِسْبَالَ مُحَرَّمٌ عَلَى الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ لِمَا فِي صِيغَةِ مَنْ فِي قَوْلِهِ مَنْ جَرَّ مِنَ الْعُمُومِ.

وَقَدْ فَهِمْتُ أُمَّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ذَلِكَ لَمَّا سَمِعَتْ الْحَدِيثَ فَقَالَتْ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذِيُولِهِنَّ؟ قَالَ: يُرْخِيْنُهُ شِبْرًا فَقَالَتْ: إِذَا يَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ، قَالَ: فَيُرْخِيْنُهُ ذِرَاعًا لَا يَزِدُنَّ عَلَيْهِ» أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ^(١).

وَلَكِنَّهُ قَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى جَوَازِ الْإِسْبَالِ لِلنِّسَاءِ، كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ ابْنُ رَسْلَانَ فِي شَرْحِ السَّنَنِ.

وظَاهِرُ التَّقْيِيدِ بِقَوْلِهِ: «خِيَلَاءٌ»، يَدُلُّ بِمَفْهُومِهِ أَنَّ جَرَّ الثَّوْبِ لِغَيْرِ الْخِيَلَاءِ لَا يَكُونُ دَاخِلًا فِي هَذَا الْوَعِيدِ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: مَفْهُومُهُ أَنَّ الْجَارَ لِغَيْرِ الْخِيَلَاءِ لَا يَلْحَقُهُ الْوَعِيدُ، إِلَّا أَنَّهُ مَذْمُومٌ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: إِنَّهُ مَكْرُوهٌ وَهَذَا نَصُّ الشَّافِعِيِّ.

قَالَ الْبُؤَيْطِيُّ فِي مُخْتَصَرِهِ عَنِ الشَّافِعِيِّ: لَا يَجُوزُ السَّدُّ فِي الصَّلَاةِ وَلَا فِي غَيْرِهَا لِلْخِيَلَاءِ، وَلِغَيْرِهَا خَفِيفٌ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ - ﷺ - لِأَبِي بَكْرٍ أَنْتَهَى.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُجَاوِزَ بِثَوْبِهِ كَعْبَهُ وَيَقُولَ: لَا أَجْرُهُ خِيَلَاءٌ، لِأَنَّ النَّهْيَ قَدْ تَنَاوَلَهُ لَفْظًا وَلَا يَجُوزُ لِمَنْ تَنَاوَلَهُ لَفْظًا أَنْ يُخَالَفَهُ إِذْ صَارَ حُكْمُهُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَمِثَلُهُ، لِأَنَّ تِلْكَ الْعِلَّةَ لَيْسَتْ فِي.

فَإِنَّهَا دَعْوَى غَيْرِ مُسَلِّمَةٍ، بَلْ إِطَالَةٌ ذِيْلُهُ دَالَّةٌ عَلَى تَكْبَرِهِ أَنْتَهَى.

وَحَاصِلُهُ: أَنَّ الْإِسْبَالَ يَسْتَلْزِمُ جَرَّ الثَّوْبِ وَجَرَّ الثَّوْبِ يَسْتَلْزِمُ الْخِيَلَاءَ وَلَوْ لَمْ

(١) أخرجه النسائي (٥٣٣٦) والترمذي (١٧٣١).

يَقْصِدُهُ اللَّابِيسُ.

وَيَدُلُّ عَلَى عَدَمِ اعْتِبَارِ التَّقْيِيدِ بِالْخِيَلَاءِ مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ مِنْ حَدِيثِ طَوِيلٍ فِيهِ «وَارْفَعِ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيَلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيَلَةَ». اهـ

قوله: «خِيَلَاءٌ» خِيَلَاءٌ: بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَالْمَدِّ الْبَطْرِ وَالْكَبِيرِ.

وهذا شامل الرجال، والنساء.

ولكن رخص للنساء كما سبق في حديث أم سلمة رضي الله عنها: «أَنْ يَرُخِيَنَهُ ذِرَاعًا، وَلَا يَزِدَنَّ

عَلَى ذَلِكَ».

رد علي من استدل بحديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

ففي صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه -: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَحَدَ شِقَّتَيْ إِزَارِي يَسْتَرِّخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَسْتُ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خِيَلَاءً»^(١).

فلا يدخل في هذا الحكم من يتعاهد إزاره.

قال الإمام الصنعاني رضي الله عنه في السبل (٢/ ٦٢٤-٦٢٥):

وَالْمَرَادُ بِالذِّرَاعِ: ذِرَاعُ الْيَدِ وَهُوَ شِبْرَانِ بِالْيَدِ الْمُعْتَدَلَةِ.
وَالْمَرَادُ جَرُّ الثَّوْبِ: عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ لَهُ حَدِيثُ الْبُخَارِيِّ «مَا أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ».

وَتَقْيِيدُ الْحَدِيثِ بِالْخِيَلَاءِ: دَالٌّ بِمَفْهُومِهِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مَنْ جَرَّهُ غَيْرَ خِيَلَاءَ دَاخِلًا فِي

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٤).

الْوَعِيدِ.

وَقَدْ صَرَّحَ بِهِ مَا أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ^(١) وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ: أَنَّهُ «قَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَمَّا سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ إِنَّ إِرَارِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خِيَلَاءٌ».

وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اعْتِبَارِ الْمَفَاهِيمِ مِنْ هَذَا النَّوعِ.
وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: إِنَّ جَرَّهُ لِغَيْرِ الْخِيَلِ مَذْمُومٌ.
وَقَالَ النَّوَوِيُّ: إِنَّهُ مَكْرُوهٌ وَهَذَا نَصُّ الشَّافِعِيِّ.

وَقَدْ صَرَّحَتِ السُّنَّةُ أَنَّ أَحْسَنَ الْحَالَاتِ أَنْ يَكُونَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ كَمَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ^(٢) عَنْ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ «كُنْتُ أَمْشِي وَعَلَيَّ بُرْدٌ أَجْرُهُ فَقَالَ لِي رَجُلٌ: ارْفَعْ ثُوبَكَ فَإِنَّهُ أَبْقَى وَأَنْقَى فَنظَرْتُ فَإِذَا هُوَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ إِنَّمَا هِيَ بُرْدَةٌ مَلْحَاءٌ فَقَالَ: مَا لَكَ فِي أُسُوءَةٍ؟ قَالَ فَنظَرْتُ فَإِذَا إِرَارُهُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ».

وَأَمَّا مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَى فَاعِلِهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ.
وَمَا دُونَ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ حَرَامٌ إِنْ كَانَ لِلْخِيَلِ، وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِهَا فَقَالَ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ:
إِنَّهُ مَكْرُوهٌ.

وَقَدْ يُتَجَّهُ أَنْ يُقَالَ إِنْ كَانَ الثُّوبُ عَلَى قَدْرِ لَابِسِهِ لَكِنَّهُ يَسُدُّهُ فَإِنْ كَانَ لَا عَنْ قِصْدٍ كَالَّذِي وَقَعَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَهُوَ غَيْرُ دَاخِلٍ فِي الْوَعِيدِ.
وَإِنْ كَانَ الثُّوبُ زَائِدًا عَلَى قَدْرِ لَابِسِهِ فَهُوَ مَمْنُوعٌ مِنْ جِهَةِ الْإِسْرَافِ مُحَرَّمٌ لِأَجْلِهِ، وَلَا جُلَّ التَّشْبِيهِ بِالنِّسَاءِ، وَلَا جُلَّ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِهِ النَّجَاسَةُ.
وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُجَاوِزَ بِثَوْبِهِ كَعْبَهُ، فَيَقُولَ لَا أَجْرُهُ خِيَلَاءٌ؛

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٤) وأبو داود (٤٠٨٥) والنسائي (٥٣٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي () والنسائي (٩٦٨٢).

لِأَنَّ النَّهْيَ قَدْ تَنَاوَلَهُ لَفْظًا، وَلَا يَجُوزُ لِمَنْ يَتَنَاوَلُهُ اللَّفْظُ أَنْ يُخَالَفَهُ إِذَا صَارَ حُكْمُهُ أَنْ يَقُولَ لَا أُمَّثِلُهُ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْعِلَّةَ كَيْسَتْ فِي فِإِنَّهَا دَعَايَ غَيْرِ مُسَلِّمَةٍ بَلْ إِطَالَةٌ ذِيْلِهِ دَالَّةٌ عَلَى تَكْبُرِهِ. اهـ

وَحَاصِلُهُ: أَنَّ الْإِسْبَالَ يَسْتَلْزِمُ جَرَّ الثَّوْبِ وَجَرَّ الثَّوْبِ يَسْتَلْزِمُ الْخَيْلَاءَ وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ اللَّابِسُ.

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَيْعٍ^(١): عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - فِي أَثْنَاءِ حَدِيثِ رَفَعَهُ «إِيَّاكَ وَجَرَّ الْإِزَارِ فَإِنَّ جَرَّ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ».

وَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ^(٢): مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ - رضي الله عنه - وَفِي قِصَّةِ لِعَمْرٍو بْنِ زُرَّارَةَ الْأَنْصَارِيِّ - رضي الله عنه - : «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْبِلَ».

وَحُكْمُ غَيْرِ الثَّوْبِ وَالْإِزَارِ حُكْمُهُمَا:

وَكَذَلِكَ لَمَّا سَأَلَ شُعْبَةُ مُحَارِبَ بْنَ دِثَارٍ قَالَ شُعْبَةُ أَذْكَرَ الْإِزَارَ؟ قَالَ مَا خَصَّ إِزَارًا وَلَا قَمِيصًا وَمَقْصُودُهُ أَنَّ التَّعْيِيرَ بِالثَّوْبِ يَشْمَلُ الْإِزَارَ وَغَيْرَهُ.

وَأَخْرَجَ أَهْلُ السُّنَنِ إِلَّا التِّرْمِذِيُّ^(٣): عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ - رضي الله عنه - عَنْ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ. مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئًا خَيْلَاءً لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَإِنْ كَانَ فِي إِسْنَادِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ وَفِيهِ مَقَالٌ.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: وَإِسْبَالُ الْعِمَامَةِ الْمُرَادُ بِهِ إِسْبَالُ الْعَذْبَةِ زَائِدَةٌ عَلَى مَا جَرَّتْ بِهِ الْعَادَةُ.

(١) (١٠ / ٢٦٤).

(٢). أخرجه الطبراني (٧٩٠٩)

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٩٤) والنسائي (٥٣٣٤) وابن ماجه (٣٥٧٦).

حكم الإسبال والخيلاء

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ^(١): مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ حَرْثٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَرَزَحَى طَرْفَ عِمَامَتِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ».

وَكَذَلِكَ تَطْوِيلُ أَكْمَامِ الْقَمِيصِ زِيَادَةً عَلَى الْمُعْتَادِ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ إِسْبَالٌ مُحَرَّمٌ.

وَقَدْ نَقَلَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ عَنِ الْعُلَمَاءِ كَرَاهَةً كُلِّ مَا زَادَ عَلَى الْعَادَةِ وَعَلَى الْمُعْتَادِ فِي اللَّبَاسِ مِنَ الطُّوْلِ وَالسَّعَةِ.

(قُلْتُ) وَيَنْبَغِي أَنْ يُرَادَ بِالْمُعْتَادِ مَا كَانَ فِي عَصْرِ النَّبَوَّةِ. اهـ



(١) أخرجه النسائي وهو ضعيف (٥٣٤٦) وهو في مسلم (١٣٥٩).

بيان بعض آداب الأكل

١٤٦٦ - (وَعَنْهُ - ﷺ) - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»^(١).
أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان وجوب الأكل والشرب باليمين، للمستطيع.
حديث الباب يدل على وجوب الأكل والشرب باليمين، وعلى تحريمه بالشمال؛
لأن في ذلك تشبهاً بالشیطان.

وفيه: بيان أن اليمين هي المقدمة في: الأكل، والشرب، والأخذ، والعطاء،
والطهور، والغسل، والكتابة، واللباس، وفي جميع الشان، ففي الصحيحين: من
حديث عائشة - رضي الله عنها -، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ «يُعْجِبُهُ التَّيْمُنُ، فِي تَعَلُّهِ، وَتَرْجُلِهِ،
وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ»^(٢)، وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث ابن عمر رضي الله عنهما،
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ
يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِهَا».

قَالَ: وَكَانَ نَافِعٌ يَزِيدُ فِيهَا: «وَلَا يَأْخُذُ بِهَا، وَلَا يُعْطِي بِهَا».

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الطَّاهِرِ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ»^(٣).

وفي الصحيحين: من حديث عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ - رضي الله عنه -، يَقُولُ: كُنْتُ غُلَامًا فِي

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٢٠).

بيان بعض آداب الأكل

حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيَّشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهُ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ^(١).

قوله: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ»: والأكل باليمين واجب.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه -، قال: «أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ، قَالَ: «فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ»^(٢).

﴿ بيان حكم من أكل بالشمال وشرب بالشمال لحاجة:

ومن عجز أن يأكل، أو يشرب بيمينه؛ فيجوز له الأكل والشرب بشماله.

يقول الله ﷻ: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وغيرها من الأدلة.

وفي سنن الإمام أبي داود ﷺ: من حديث حفصة زوجة النبي ﷺ - رضى الله عنه -: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لَطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيَابِهِ، وَيَجْعَلُ شِمَالَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ»^(٣).

﴿ قال النووي في رياض الصالحين: باب استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم كالوضوء والغسل والتيمم، ولبس الثوب والنعل والخف والسرائيل ودخول المسجد، والسواك، والاكْتِحَالِ، وتقليم الأظفار، وقص الشارب، وتنف الإبط، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، والأكل، والشرب، والمصافحة، واستلام الحجر الأسود، والخروج من الخلاء، والأخذ والعطاء وغير ذلك مما هو في معناه. ويُستحب تقديم اليسار في ضد ذلك، كالامْتِحَاطِ والبصاق عن اليسار، ودخول الخلاء، والخروج من المسجد، وخلع الخف والنعل والسرائيل

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف أبي داود.

بيان بعض آداب الأكل

والثوب، والاستنجاء وفعل المُسْتَقْدَرَاتِ وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ.

قوله: «وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ» أي: أن الشرب حكمه حكم الأكل .

قوله: «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ» فيه: دليل على أن الشيطان يأكل ويشرب.

وفيه: دليل على أنه لا يجوز التشبه بأهل الشر: لا بالشياطين، ولا بالكفار

والمشركين، ولا بالملحدين، ولا بالمبتدعة الضالة المنحرفين، يقول الله ﷻ: ﴿

مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١-٣٢]..

فإذا كان التشبه بهم ممنوع في هذا الباب فمن باب أولى التشبه بهم في الشريكات،

والبدع والمحدثات، والخرافات والحكم بغير ما أنزل الله ﷻ، واللباس والزينة، ولا

في شيء من المخالفات، ففي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث ابن عمر رضي الله عنهما،

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١).

قوله: «وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ» أي: أن حكم الشرب هو حكم الأكل.

📖 قال الإمام الصنعاني رضي الله عنه في السبل (٢/٦٢٦): الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ

الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ بِالشِّمَالِ.

فَإِنَّهُ عَلَّمَهُ بِأَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْطَانَ وَخُلِقَهُ وَالْمُسْلِمُ مَأْمُورٌ بِتَجَنُّبِ طَرِيقِ أَهْلِ الْفُسُوقِ

فَضْلًا عَنِ الشَّيْطَانَ.

وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الْأَكْلُ بِالْيَمِينِ وَالشُّرْبُ بِهَا لَا أَنَّهُ بِالشِّمَالِ

مُحَرَّمٌ.

وَقَدْ زَادَ نَافِعٌ: "الْأَخْذَ وَالْإِعْطَاءَ". اهـ



(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وقال فيه الإمام الألباني رضي الله عنه: حسن صحيح.

بيان أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يأتي دليل على تحريمها

١٤٦٧ - (وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ - ﷺ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «كُلْ، وَاشْرَبْ، وَابْسُ، وَتَصَدَّقْ فِي غَيْرِ سَرَفٍ، وَلَا مَخِيلَةَ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَأَحْمَدُ، وَعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف ﷺ الحديث لبيان أن الأصل في الأشياء الإباحة.

فيجوز للإنسان أن يأكل، ويشرب، ويلبس ما شاء، ما لم يأت دليل على تحريمه.

قوله: «وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ»: وهو عمرو بن شعيب بن

محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

أي أن عمرو يروي الحديث عن أبيه شعيب، وشعيب يروي الحديث عن جده

عبد الله بن عمرو ﷺ، وليس عن أبيه محمد.

وقد تقدم أن هذه السلسلة حسنة.

قوله: «كُلْ وَاشْرَبْ وَابْسُ» أي: كل مما رزقك الله ﷻ؛ ما لم يكن حراماً

ومما حرم على الرجال في اللبس: الحرير، والذهب، وغير ذلك.

ومما حرم على الرجال والنساء في اللبس: ما فيه خيلاء.

ومما حرم الرجال في اللبس أن يطيل الثوب ويجعله أسفل من الكعبين.

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٣٧٥)، وأحمد (٦٦٩٥، ٦٧٠٨)، وسنده حسن، وعلقه البخاري

قبل حديث (٥٧٨٣) بصيغة الجزم، وأخرجه النسائي (٢٥٥٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥)، وحسنه

الإمام الألباني ﷺ في صحيح السنن (٢٥٥٩)، والمشكاة (٤٣٨١)، وصحيح الجامع (٤٥٠٥).

بيان أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يأتي دليل علمه تحريمها

ومما حرم على النساء في اللبس أن تطيل لباسها أكثر من ذراع؛ لأن النبي ﷺ لم يرخص لهن إلا في الذراع فقط، وهكذا.

ومما حرم عليهم جميعاً ما فيه تشبه بالكفار، وبالمشركين.

قوله: «وَتَصَدَّقْ» أي: على الفقراء، والمساكين، والمحتاجين.

وأفضل الصدقة ما يكون على ذوي القربى؛ فإنها تعتبر صدقة، وصلة.

قوله: «فِي غَيْرِ سَرْفٍ» أي: في غير إسراف؛ لأن الإسراف والتبذير محرم.

فالمسرف لا يجبه الله ﷻ يقول الله ﷻ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾.

والمبذر أخاً للشيطان يقول الله ﷻ: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ

وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا ﴿٣٦﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٣٧﴾

[الإسراء: ٢٦-٢٧]..

❦ **بيان الفرق بين الإسراف والتبذير:**

والفرق بين الإسراف والتبذير:

أن الإسراف: يكون في المآكل، والمشارب؛ لأن الله ﷻ في الآية جعل الإسراف في

المآكل، وفي المشرب.

والتبذير: يكون عام: في المآكل، والمشارب، والملابس، والمساكن، والمراكب،

وغير ذلك.

قوله: «وَلَا مَخِيلَةَ» المخيلة: من الخيلاء وهو البكر والأثر والبطر.

ففي مسند الإمام أحمد ﷺ: من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

يَقُولُ: «مَنْ تَعَزَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوْ اخْتَالَ فِي مَشِيَّتِهِ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ» (١).

ويقول الله ﷻ مخبراً لنا عن لقمان الحكيم وهو يعظ ولده: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٩) [لقمان: ١٨-١٩].

قال الإمام الصنعاني ﷻ في السبل (٢/٦٢٦): دَلَّ عَلَى تَحْرِيمِ الْإِسْرَافِ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمُشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَالتَّصَدَّقِ.

وَحَقِيقَةُ الْإِسْرَافِ: مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ فِي كُلِّ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ وَهُوَ فِي الْإِنْفَاقِ أَشْهَرُ. وَالْحَدِيثُ مَا خُوذُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]. وفيه: تَحْرِيمُ الْخِيَلَاءِ وَالْكِبْرِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّطِيفِ الْبُغْدَادِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ جَامِعٌ لِفَضَائِلِ تَدْبِيرِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ. وَفِيهِ مَصَالِحُ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَإِنَّ السَّرْفَ: فِي كُلِّ شَيْءٍ مُضِرٌّ بِالْجَسَدِ، وَمُضِرٌّ بِالْمَعِيشَةِ، وَيُؤَدِّي إِلَى الْإِتْلَافِ. فَيُضِرُّ بِالنَّفْسِ إِذَا كَانَتْ تَابِعَةً لِلْجَسَدِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ. وَالْمَخِيلَةُ: تَضُرُّ بِالنَّفْسِ حَيْثُ تُكْسِبُهَا الْعُجْبَ، وَتَضُرُّ بِالْآخِرَةِ حَيْثُ تُكْسِبُ الْإِثْمَ، وَبِالدُّنْيَا حَيْثُ تُكْسِبُ الْمَقْتَمَ مِنَ النَّاسِ.

وَقَدْ عَلَّقَ الْبُخَارِيُّ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - ﷻ -: «كُلُّ مَا شِئْتَ وَاشْرَبْتَ مَا شِئْتَ مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَانِ سَرْفٌ وَمَخِيلَةٌ». اهـ



(١) أخرجه أحمد (٥٩٩٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٤٩)، وصححه الإمام الألباني ﷻ في صحيح الأدب المفرد (٤٢٧/٥٤٩)، وفي الصحيحة (٥٤٣)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي ﷻ (٧١٨).

باب البر والصلة

[بَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ]

شرح الشرح:

قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/ ٦٢٦-٦٢٧):

الْبِرُّ: بِكْسْرِ الْمُوَحَّدَةِ هُوَ التَّوَشُّعُ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ.

وَالْبِرُّ يَفْتَحُهَا: الْمُتَوَشُّعُ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَالصَّلَةُ: بِكْسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ مَصْدَرٌ وَصَلَهُ كَوَعَدَهُ عِدَّةً.

فِي النَّهْيَةِ: تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ صِلَةِ الْأَرْحَامِ وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْإِحْسَانِ إِلَى

الْأَقْرَبِينَ مِنْ ذَوِي النَّسَبِ وَالْأَصْهَارِ وَالتَّعَطُّفِ عَلَيْهِمْ وَالرِّفْقِ بِهِمْ وَالرِّعَايَةِ لِأَحْوَالِهِمْ.

وَكَذَلِكَ إِنْ تَعَدَّوْا وَأَسَاءُوا وَضِدُّ ذَلِكَ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ. اهـ

بيان أن البر والصلة من أعظم الأسباب في البركة في العمر:

لما جاء في الصحيحين: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسَيِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(١).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ

اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسَيِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(٢).

بيان أعظم البر:

في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا مِنَ

الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ. وَأَعْطَاهُ

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٥).

عِمَامَةً، كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضُونَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ -رضي الله عنه-: «إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وَدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رضي الله عنه-، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ أَبْرَ الْبَرِّ صَلَّةُ الْوَالِدِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ»^(١).

بيان تحريم قطيعة الأرحام:

وقد نهى الله صلى الله عليه وسلم عن قطيعة الأرحام، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٣) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ (٢٣) [محمد: ٢٢-٢٣]..

فاستحقوا اللعن والطرده من رحمة الله صلى الله عليه وسلم، والصمم في آذانهم عن سماع الحق والانتفاع به، والعمى في أبصارهم عن رؤية الحق واتباعه، كل هذا بسبب الإفساد في الأرض، وبسبب قطيعة الرحم.

وقد جاء في صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الرَّحِمَ شَجَنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ»^(٢).

وفي الصحيحين: من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»^(٣).

فالواجب على الإنسان أن يبذل البر لذويهه، ابتداء من الأبوين.

ففي سنن الإمام الترمذي رضي الله عنه وغيره: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

عَلَيْهِ رَمْضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكَبِيرَ فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ»^(١).

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: " وَأَطْنُهُ قَالَ: أَوْ أَحَدَهُمَا "

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث أَبِي بِنِ مَالِكٍ - رحمه الله -، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ»^(٢).

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ - رحمه الله -، أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ: "إِنَّ لِي امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ - رحمه الله -: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْ سَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ»^(٣).

بيان عظم حق الوالدين:

ويبين ذلك أن الله عزوجل يقرن في كثير من الآيات يقرن الله صلى الله عليه وسلم حقه بحق الوالدين، وذلك لأمر:

الأمر الأول: بيان عظم حق الوالدين علينا، فحقهما عظيم.

الأمر الثاني: لأن الوالدين لهما الفضل علينا بعد الله صلى الله عليه وسلم.

حيث يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣ ۝ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤ ۝ ﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وقال الإمام الألباني رحمه الله: حسن صحيح. وحسنه الإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (١٢٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٩٠٢٧). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٤).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٠٠)، وابن ماجه (٢٠٨٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِوَالِدِينَ إِحْسَانًا
وَزِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَيَالِوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ تَحْنُ نَزْفُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا
أَفْوَاحَهُمْ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ
وَصَنَّمَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾.

﴿ بيان حق النبي صلى الله عليه وسلم: ﴾

فقد يقول قائل: ذكر الله ﷻ حق الوالدين بعد حقه، فأين حق النبي ﷺ؟

فالجواب: أن حق النبي ﷺ يدخل في حق الله ﷻ؛ لأنه هو المبلغ عن الله ﷻ، وهو
المعلم، والأسوة الحسنة.

ولا يستطيع أحد من الناس أن يطيع الله ﷻ حق طاعته، ويوحده حق توحيده، إلا
إذا اتبع ما جاء في الكتاب، والسنة الثابتة عن النبي ﷺ.

﴿ بيان وجوب طاعة الوالدين ولو كانا كافرين، أو مشركين في غير معصية: ﴾

يقول الله ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ
أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ

فَأَنْبِئْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ [لقمان: ١٤-١٥].

فأخبرنا الله ﷻ بأن طاعة الوالدين تكون بالمعروف، أي في غير معصية الله ﷻ، فمن باب أولى الكفر والشرك بالله ﷻ.

ومع ذلك يعاملان بالرفق، واللين، والتواضع، وحسن الأخلاق.

ومن حديث عائشة ؓ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ -ؓ-»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَلِكُمُ الْبِرُّ كَذَلِكُمُ الْبِرُّ»^(١).

وأخرجه الإمام البخاري ﷻ في خلق أفعال العباد: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي الْجَنَّةِ سَمِعْتُ صَوْتَ رَجُلٍ بِالْقُرْآنِ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، كَذَلِكُمُ الْبِرُّ كَذَلِكُمُ الْبِرُّ».

ومن حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -ؓ-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»^(٢) أخرجه مسلم .

ثم إن الأب والأم قد يكون في التعامل معهما بعض المشقة، ولا سيما إذا كبر سنهما، ورق عظمهما.

والوالد يرى ولده دائماً في مرتبة البنوة .

فمهما ارتفع الولد سواء كان ذلك في العلم الشرعي، أو في العلم الدنيوي .

فهو ما يزال عندهما ولد، وابن.

فقد يحسن الولد إلى والديه، ومع ذلك فقد يرى منهما بعض الأعراض، وبعض

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤٩٢٩)، وهو في الصحيحه للإمام الألبانی ؓ (٩١٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

الجفاء فيجب عليه أن يصبر على الوالدين .

يقول الله ﷻ: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا

﴿٢٤﴾ .

وقد نهى الله ﷻ من التأفف منهما يقول الله ﷻ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا
نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ ﴿٢٣﴾ .

فإذا كان الله ﷻ قد نهى عن التأفف، وهو أقل درجات الأذى للوالدين .

فمن باب أولى تحريم كل أذية قولية أكبر منه: سواء كانت بالسب، والشتم،
واللعن، أو غير ذلك.

ومن باب أولى الأذية الفعلية: كالضرب، أو الحبس، أو القتل .

فقد جاء في الصحيحين، واللفظ للبخاري ﷺ في صحيحه: من حديث عبد الله بن
عمرو، ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ،
وَيَسُبُّ أُمَّهُ»^(١).

فقد كان الصحابة ﷺ يستبعدون أن يشتم، أو يلعن، أو يسب الرجل والديه
مباشرة.

فأخبرهم النبي ﷺ أن هذا الحكم يشمل حتى من يتسبب في سبهما من الناس .

أما في زماننا هذا: فقد وجد من يسب أبويه ويلعنهما، ومن يضربهما، بل ومن
يقتلها والعياذ بالله ﷻ .

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).

وأما رفع الأصوات عليهما، والمنة عليهما، ورد أوامرهما، وغير ذلك فهو أكثر من أن يحصى، فحدث ولا حرج.

فإن كثيراً من الأبناء يعاملون آباءهم، وأمهاتهم، معاملة البعيد عنهم. فربما تجد من أحدهم أنه يلين جانبه لأخيه، أو لصحابه، أو لجاره.

فإذا ما دخل إلى البيت؛ فإذا به وحش كاسر، فلا بد أن نروض أنفسنا، على بر آبائنا، وعلى أمهاتنا وذلك في حياتهما: بالإحسان إليهما.

وبعد موتهما: بالدعاء لهما، وإكرام صاحبهما، لما في ذلك من البركة. وكما تدين تدان، فأنت اليوم ابن، وغداً أباً.

وما كان منك مع أبيك، سيكون من ابنك معك.

وقد جاء في مسند الإمام أحمد رضي الله عنه: من طريق المُغِيرَةَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَوْ عَنْ عَمِّهِ، - ضرار بن الأزور - رضي الله عنه - قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِعَرَفَةَ، فَأَخَذْتُ بِرِمَامِ نَاقَتِهِ أَوْ خِطَامِهَا، فَدَفَعْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: " دَعُوهُ فَأَرَبُّ مَا جَاءَ بِهِ " فَقُلْتُ: نَبَّيْنِي بِعَمَلٍ يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: " لَئِنْ كُنْتُ أَوْجَزْتُ فِي الْخُطْبَةِ لَقَدْ أَعْظَمْتَ وَأَطَوَّلْتَ، تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا تُحِبُّ أَنْ يَأْتُوهُ إِلَيْكَ، وَمَا كَرِهْتَ لِنَفْسِكَ فَدَعِ النَّاسَ مِنْهُ، خَلِّ عَنْ رِمَامِ النَّاقَةِ " ^(١).



(١) أخرجه أحمد (١٦٧٠٥)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رضي الله عنه (١٤٧٧).

بيان فضيلة البر وصلة الأرحام

١٤٦٨ - (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَيِّطَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان فضيلة البر وصلة الأرحام.

قوله: «مَنْ أَحَبَّ». وفي رواية أخرى: «من سره».

وكلاهما بمعنى واحد، فكلنا نحب، ونسر بالبركة في الرزق، والعمر، والأولاد.

قوله: «أَنْ يُسَيِّطَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ» أي: يوسع له في رزقه، ويبارك له فيه؛ لأن الرزق

الضيق، سبب لضيق الصدور.

يُسَيِّطُ: مُعَيَّرَ صِيغَتَهُ أَي يَسَيِّطُ اللَّهُ. أفاده الصنعاني رحمه الله.

وفي صحيح ابن حبان رحمه الله وغيره: من حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكِنُ الْوَاسِعُ، وَالْبَجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْبَجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكِنُ الضَّيْقُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ»^(٢).

قوله: «وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ» قيل: يؤخر أجله.

وَأَنْ يُنْسَأَ: بِالسَّيْنِ الْمُهْمَلَةِ مُخَفَّفَةً أَي يُؤَخَّرَ لَهُ.

فِي أَثَرِهِ: بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْمُثَلَّثَةِ فَرَاءً أَي أَجَلِهِ.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٥)، بلفظ: «من سره أن يسبط له»

(٢) أخرجه ابن حبان (٤٠٣٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادي رحمه الله (٣٧٨)، وصححه الإمام

الألباني رحمه الله في التعليقات الحسان (٤٠٢١): وفي الصحيحة (٢٨٢).

﴿ بيان الجواب عن الإشكال: ﴾

ولكن يشكل هذا مع قول الله ﷻ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٣٨).

وقوله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٣٤).

فهذه الأدلة وغيرها تدل على أن الأجل له وقت معلوم حدده الله ﷻ.

وقد ألفت الإمام الشوكاني رحمه الله رسالة في هذا الباب، ردًا على رسالة وصلته من أبناء

الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وملخص ذلك: أن العمر الذي هو في اللوح المحفوظ لا يزداد فيه ولا ينقص؛ لأنه

مثبت على ما في علم الله ﷻ.

وأما الذي في يد الملك، فقد يكون على الحالين:

إن وصل رحمه فقد يطال له في عمره، ويؤخر له في أجله، فيكون عمره كذا وكذا.

وإن لم يصل رحمه، فلا يؤخر في أجله، ولا يزداد في عمره، فيكون عمره كذا وكذا.

مع أنه في علم الله ﷻ واحد، ولكن التغيير والزيادة تحصل من الملائكة.

وقيل: يبارك له في عمره، وفي ذكره، وكفى ذلك.

﴿ قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/ ٦٢٧-٦٢٨): ﴾

قَالَ: وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الزِّيَادَةَ كِنَايَةٌ عَنِ الْبَرَكَةِ فِي الْعُمُرِ بِسَبَبِ التَّوْفِيقِ إِلَى الطَّاعَةِ وَعِمَارَةِ

وَقْتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ وَصِيَانَتِهِ عَنِ تَضْيِيعِهِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ، وَمِثْلُ هَذَا مَا جَاءَ: «أَنَّ

النَّبِيَّ - ﷺ - تَقَاصَرَ أَعْمَارُ أُمَّتِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَعْمَارِ مَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَّمِ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ لَيْلَةَ

الْقَدْرِ».

وَحَاصِلُهُ: أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَكُونُ سَبَبًا لِلتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَةِ وَالصِّيَانَةِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، فَيَبْقَى

بَعْدَهُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ.

بيان فضيلة البر وصلة الأرحام

وَمِنْ جُمْلَةٍ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ التَّوْفِيقِ: الْعِلْمُ الَّذِي يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ بِتَأْلِيفٍ وَنَحْوِهِ
وَالصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ عَلَيْهِ، وَالْخَلْفُ الصَّالِحُ.

وَتَأْنِيهِمَا: أَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى حَقِيقَتِهَا وَذَلِكَ بِالنُّسْبَةِ إِلَى عِلْمِ الْمَلِكِ الْمُوَكَّلِ بِالْعُمْرِ.
وَالَّذِي فِي الْآيَةِ بِالنُّسْبَةِ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ.

كَأَنَّ يُقَالُ لِلْمَلِكِ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يَصِلُ أَوْ يَقْطَعُ فَالَّذِي فِي عِلْمِ اللَّهِ لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ،
وَالَّذِي يُقَالُ مَثَلًا إِنَّ عُمَرَ فَلَانَ مِائَةٌ إِنْ وَصَلَ رَحِمَهُ، وَإِنْ قَطَعَهَا فَسِتُونَ.

وَقَدْ سَبَقَ مَثَلًا فِي عِلْمِ الْمَلِكِ هُوَ الَّذِي يُمَكِّنُ فِيهِ الزِّيَادَةَ وَالنَّقْصُ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ

بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّطُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وَالْمَحْوُ وَالْإِثْبَاتُ: بِالنُّسْبَةِ إِلَى مَا فِي عِلْمِ الْمَلِكِ، وَمَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ؛ وَأَمَّا الَّذِي
فِي عِلْمِ اللَّهِ فَلَا مَحْوَ فِيهِ أَلْبَتَّةَ.

وَيُقَالُ لَهُ الْقَضَاءُ الْمُبْرَمُ، وَيُقَالُ لِلْأَوَّلِ الْقَضَاءِ الْمُعَلَّقِ.

وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ أَلْتَقَى؛ فَإِنَّ الْأَثَرَ مَا يَتَّبِعُ الشَّيْءَ فَإِذَا أُخِّرَ حَسُنَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الذِّكْرِ

الْحَسَنِ بَعْدَ فَقْدِ الْمَذْكُورِ وَرَجَحَهُ الطَّبِيبِيُّ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي الْفَائِقِ.

وَيُؤَيِّدُهُ مَا أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ^(١) فِي الصَّغِيرِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - قَالَ

ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ أَنْسَى لَهُ فِي أَجَلِهِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ زِيَادَةٌ

فِي عُمُرِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [٣٤]

[الأعراف: ٣٤] وَلَكِنَّ الرَّجُلَ تَكُونُ لَهُ الذُّرِّيَّةُ الصَّالِحَةُ يَدْعُونَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَخْرَجَهُ فِي

الْكَبِيرِ مَرْفُوعًا مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى.

وَجَزَمَ ابْنُ فُورَكٍ: بَأَنَّ الْمُرَادَ بِزِيَادَةِ الْعُمْرِ نَفْيُ الْآفَاتِ عَنْ صَاحِبِ الْبِرِّ فِي فَهْمِهِ

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٤) وفي سنده سليمان بن عطاء.

بيان فضيلة البر وصلة الأرحام

وَعَقْلِهِ.

قَالَ غَيْرُهُ: فِي أَعْمٍ مِنْ ذَلِكَ وَفِي عِلْمِهِ وَرِزْقِهِ. وَلَا بِنِ الْقِيَمِ فِي كِتَابِ الدَّاءِ وَالِدَوَاءِ كَلَامٌ يَفْضِي بِأَنَّ مُدَّةَ حَيَاةِ الْعَبْدِ وَعُمُرِهِ هِيَ مَهْمَا كَانَ قَلْبُهُ مُقْبِلًا عَلَى اللَّهِ ذَاكِرًا لَهُ مُطِيعًا غَيْرَ عَاصٍ فَهَذِهِ هِيَ عُمُرُهُ.

وَمَتَى أَعْرَضَ الْقَلْبُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَاشْتَغَلَ بِالْمَعَاصِي ضَاعَتْ عَلَيْهِ أَيَّامُ حَيَاةِ عُمُرِهِ.

فَعَلَى هَذَا مَعْنَى أَنَّهُ يُنْسَأُ لَهُ فِي أَجَلِهِ أَيُّ يُعَمَّرُ اللَّهُ قَلْبَهُ بِذِكْرِهِ وَأَوْقَاتُهُ بِطَاعَتِهِ وَيَأْتِي تَحْقِيقُ صِلَةِ الرَّحِمِ. اهـ

قوله: «فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» أي: عليه أن يصل ﷻ؛ حتى يتحصل على ما ذكر في الحديث: من البركة في الرزق، والعمر.

بيان أن الواصل ليس بالمكافئ:

وليس الواصل بالمكافئ.

ففي صحيح الإمام البخاري ﷻ: من حديث عبد الله بن عمرو - ﷻ -: قَالَ سُفْيَانُ: لَمْ يَرْفَعُهُ الْأَعْمَشُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَرَفَعَهُ حَسَنٌ وَفِطْرٌ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَّهَا»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷻ: من حديث أبي هريرة - ﷻ -:، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٨).

بيان تحريم قطع الرحم وأنها من الكبائر للوعيد فيه حقه

١٤٦٩ - (وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»^(١). يَعْنِي: قَاطِعَ رَحِمٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن قطيعة الرحم من كبائر الذنوب.

بيان معنى الحديث:

قوله: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ».

والحديث في صحيح الإمام مسلم رحمه الله بلفظ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِمٍ»^(٢).

قال النووي شرح النووي على مسلم (١٦ / ١١٣): قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ وَلَا خِلَافَ أَنَّ صَلَاةَ الرَّحِمِ وَاجِبَةٌ فِي الْجُمْلَةِ وَقَطِيعَتُهَا مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ قَالَ وَالْأَحَادِيثُ فِي الْبَابِ تَشْهَدُ لِهَذَا وَلَكِنَّ الصَّلَاةَ دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ وَأَدْنَاهَا تَرَكُ الْمُهَاجِرَةَ وَصَلَّتْهَا بِالْكَلامِ وَلَوْ بِالسَّلَامِ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْقُدْرَةِ وَالْحَاجَةِ فَمِنْهَا وَاجِبٌ وَمِنْهَا مُسْتَحَبٌّ لَوْ وُصِلَ بَعْضُ الصَّلَاةِ وَلَمْ يَصِلْ غَايَتُهَا لَا يُسَمَّى قَاطِعًا وَلَوْ قَصَرَ عَمَّا يَقْدَرُ عَلَيْهِ وَيَنْبَغِي لَهُ لَا يُسَمَّى وَاصِلًا قَالَ وَاخْتَلَفُوا فِي حَدِّ الرَّحِمِ الَّتِي تَجِبُ صَلَاتُهَا فَقِيلَ هُوَ كُلُّ رَحِمٍ مَحْرَمٍ بِحَيْثُ لَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا ذَكَرًا وَالْآخَرُ أُنْثَى حُرِّمَتْ مُنَاكَحَتُهُمَا فَعَلَى هَذَا لَا يَدْخُلُ أَوْلَادُ الْأَعْمَامِ وَلَا أَوْلَادُ الْأَخْوَالِ وَاحْتَجَّ هَذَا الْقَائِلُ بِتَحْرِيمِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا فِي النِّكَاحِ وَنَحْوِهِ وَجَوَّازِ ذَلِكَ فِي

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦)، والتفسير عند مسلم لسفيان بن عيينة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٦).

بَنَاتِ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ وَقِيلَ هُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ رَحِمٍ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ فِي الْمِيرَاثِ يَسْتَوِي الْمَحْرَمُ وَغَيْرُهُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷺ ثُمَّ أَذْنَاكَ أَذْنَاكَ هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي وَهَذَا الْقَوْلُ الثَّانِي هُوَ الصَّوَابُ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ السَّابِقُ فِي أَهْلِ مِصْرَ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا وَحَدِيثُ إِنْ أَبَرَ الْبِرَّ أَنْ يَصِلَ أَهْلَ وَدُّ أَبِيهِ مَعَ أَنَّهُ لَا مَحْرَمِيَّةَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

📖 قال الإمام الصنعاني ﷺ في السبل (٢/ ٦٢٨-٦٢٩):

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي حَدِّ الرَّحِمِ الَّتِي تَجِبُ صَلَاتُهَا:

فَقِيلَ: هِيَ الرَّحِمُ الَّتِي يَحْرُمُ النِّكَاحُ بَيْنَهُمَا بِحَيْثُ لَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا ذَكَرًا حَرَّمَ عَلَى الْآخَرَ.

فَعَلَى هَذَا لَا يَدْخُلُ أَوْلَادُ الْأَعْمَامِ وَلَا أَوْلَادُ الْأَخْوَالِ.

وَاحْتَجَّ هَذَا الْقَائِلُ بِتَحْرِيمِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتَيْهَا وَخَالَتَيْهَا فِي النِّكَاحِ لِمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنَ التَّقَاطُعِ.

وَقِيلَ: هُوَ مَنْ كَانَ مُتَّصِلًا بِمِيرَاثٍ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ - ﷺ - : "ثُمَّ أَذْنَاكَ أَذْنَاكَ".

وَقِيلَ: مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآخَرَ قَرَابَةٌ سِوَاءَ مَا كَانَ يَرْتَبُهُ أَوْ لَا . اهـ



بما تقع قطيعة الرحم

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ أَيْضًا بِأَيِّ شَيْءٍ تَحْصُلُ الْقَطِيعَةُ لِلرَّحِمِ:
فَقَالَ الزَّيْنُ الْعِرَاقِيُّ: تَكُونُ بِالْإِسَاءَةِ إِلَى الرَّحِمِ.
وَقَالَ غَيْرُهُ: تَكُونُ بِتَرْكِ الْإِحْسَانِ؛ لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ أَمْرَةً بِالصَّلَةِ نَاهِيَةً عَنِ الْقَطِيعَةِ
فَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمَا.

وَالصَّلَةُ نَوْعٌ مِنَ الْإِحْسَانِ كَمَا فَسَّرَهَا بِذَلِكَ غَيْرٌ وَاحِدٍ، وَالْقَطِيعَةُ ضِدُّهَا وَهِيَ تَرْكُ
الْإِحْسَانِ.

وَأَمَّا مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ^(١): مِنْ قَوْلِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِيِّ وَلَكِنَّ
الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا».

فَإِنَّهُ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الصَّلَةَ إِنَّمَا هِيَ مَا كَانَ لِلْقَاطِعِ صِلَةً رَحِمِهِ وَهَذَا عَلَى رُويَةِ قَطَعَتْ
بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَهِيَ رُويَةٌ.

فَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي شَرْحِهِ: الْمُرَادُ الْكَامِلَةُ فِي الصَّلَةِ.
وَقَالَ الطَّيْبِيُّ: مَعْنَاهُ لَيْسَ حَقِيقَةَ الْوَاصِلِ وَمَنْ يُعْتَدُّ بِصِلَتِهِ مَنْ يَكْفِيُّ صَاحِبَهُ بِمِثْلِ
فِعْلِهِ، وَلَكِنَّهُ مَنْ يَنْفَضُّ عَلَى صَاحِبِهِ.

وَقَالَ الْمُصَنِّفُ: لَا يَلُومُ مَنْ نَفَى الْوَاصِلِ ثُبُوتِ الْقَطْعِ، فَهُمْ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ:
"وَاصِلٌ وَمُكَافِيٌّ وَقَاطِعٌ".

فَالْوَاصِلُ: هُوَ الَّذِي يَنْفَضُّ وَلَا يُتَفَضَّلُ عَلَيْهِ.
وَالْمُكَافِيُّ: هُوَ الَّذِي لَا يَزِيدُ فِي الْإِعْطَاءِ عَلَى مَا يَأْخُذُهُ.
وَالْقَاطِعُ: الَّذِي لَا يُتَفَضَّلُ عَلَيْهِ وَلَا يُتَفَضَّلُ.

(١) أخرجه الترمذي (١٩٠٨) وأصله في مسلم (٢٥٥٦).

بما تقم طبيعة الرحم

قَالَ الشَّارِحُ: وَبِالْأَوْلَى مَنْ يُتَفَضَّلُ عَلَيْهِ وَلَا يُتَفَضَّلُ أَنَّهُ قَاطِعٌ.
قَالَ الْمُصَنِّفُ: وَكَمَا تَقَعُ الْمُكَافَأَةُ بِالصَّلَةِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ كَذَلِكَ تَقَعُ بِالمُقَاطَعَةِ مِنَ
الْجَانِبَيْنِ فَمَنْ بَدَأَ فَهُوَ الْقَاطِعُ، فَإِنْ جُوزِي سُمِّيَ مَنْ جَازَاهُ مُكَافِئًا. اهـ



بيان بعض المحرمات وبعض المكروهات

١٤٧٠ - (وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ - رضي الله عنه - عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان بعض المحرمات والمكروهات:

ومنها: تحريم عقوق الأمهات، ويدخل في ذلك عقوق الآباء؛ إلا أن عقوق الأمهات أعظم إثمًا؛ لأن المرأة ضعيفة تتألم أكثر من الرجل، وتتأذى أكثر منه.

ومنها: تحريم وأد البنات، ويدخل في ذلك من يقتل أولاده من الذكور والبنات خوف الفقر، أو العار، كما كان أهل الجاهلية يفعلون.

ومنها: تحريم منع الرجل لما أوجب الله عليه من: النفقات، أو الزكاة الواجبة.

ويدخل في ذلك تحريم أن يسأل الإنسان لنفسه ما ليس له .

ومنها: تحريم كثرة الكلام في الباطل .

وفي غير فائدة؛ لأنه ربما جر إلى المحرم: كالغيبة، والنميمة، والكذب، والاستهزاء، والطعن في الأنساب، وغير ذلك من المحرمات.

ومنها: كراهة كثرة السؤال في الأمور المختلفة التي قد توقع الإنسان في الشبهات.

ويدخل في ذلك السؤال الذي يراد منه إحراج العالم كسؤال التعجيز، أو السؤال الذي يكون فيه العناد للحق، وغير ذلك.

ومنها: إضاعة المال وصرفه في أمور لا تنفع صاحبه، ويدخل في ذلك الإسراف

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٥)، ومسلم (٥٩٣).

بيان بعض المحرمات وبعض المكروهات

والتبذير وهو من المحرمات، بل من الكبائر كما تقدم .

﴿ الفرق بين الحرم و المكروه في اصطلاح الأصوليين :

المحرم: هو ما يثاب تاركة امتثالاً، ويستحق العقوبة فاعله .

المكروه: هو ما لا يَأْتَمُّ فاعله، ويثاب تاركة امتثالاً .

قوله: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ»: ويدخل في ذلك عقوق الآباء كما

تقدم .

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمَّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمَّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»^(١).

قوله: «وَوَادُ الْبَنَاتِ» الواد: قتل البنات وهن أحياء .

وكانوا في الجاهلية يفعلون ذلك لأمرين:

الأمر الأول: خشية العار .

الأمر الثاني: خشية الفقر .

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [سورة التكويد: ٨-٩].

ويقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَزْفُكُمْ

وَإِيَّاهُمْ﴾ .

ويقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَزْفُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلَهُمْ كَانَ

خِطَاءً كَبِيرًا (٣١)﴾ [الإسراء: ٣١].

قوله: «وَمَنْعًا وَهَاتِ» أي: يمنع ما أوجب الله صلى الله عليه وسلم وسؤال ما لا يجوز له .

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).

قوله: «وَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ»: وهذا فيما لا ينفع صاحبه .

أما إذا كان الكلام في أمر محرم في الشرع، فهو هنا محرم، والحديث في حق الكلام المباح، ولكنه يكثر منه حتى يضيع وقته فيما لا ينفعه .
وفي الكلام الذي قد يؤدي إلى غضب الرب سبحانه وتعالى .

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(١).
وفي لفظ في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَّبِعُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٢).

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث بِلَّالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ - رضي الله عنه -، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ»^(٣).

وجاء في سنن الإمام الترمذي رحمه الله أيضًا: من حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ... الحديث وفيه: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣١٩)، وابن ماجه (٣٩٦٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

فَقَالَ: «تَكَلِّتَكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(١).

قوله: «وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ»: سواء كان المسألة المحرمة لأموال الناس.
فالشرع لم يحل المسألة إلا في أمور ثلاث.

كما جاء ذلك في صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث قبيصة بن مُخارق الهلالي - رضي الله عنه، قَالَ: «تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: أِقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةَ رَجُلٍ، تَحْمَلُ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَا حَتَّى مَالُهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا"»^(٢).

قوله: «وِإِضَاعَةُ الْمَالِ»: وهي إنفاق المال في غير أوجه الحق؛ فإن الإنسان سيسأل عن ماله يوم القيامة من أين اكتسبه، وفيما أنفقه؟

ففي الترمذي: من حديث أبي بَرزَةَ الأَسْلَمِيِّ - رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»^(٣).

قال الإمام الصنعاني رضي الله عنه في السبل (٢-٦٢٩-٦٣٢): الأُمَّهَاتُ: جَمْعُ أُمَّهَةٍ

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٤٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف الترمذي.

بيان بعض المحرمات وبعض المكروهات

لُغَةٌ فِي الْأُمِّ وَلَا تُطَلَّقُ إِلَّا عَلَى مَنْ يَعْقِلُ، بِخِلَافِ أُمَّ فَإِنَّهَا تَعْمُ.
وَإِنَّمَا خُصَّتْ الْأُمُّ هُنَا: إِظْهَارًا لِعِظَمِ حَقِّهَا وَإِلَّا فَالْأَبُ مُحَرَّمٌ عُقُوقُهُ.
وَصَابِطُ الْعُقُوقِ الْمُحَرَّمِ كَمَا نُقِلَ خُلَاصَتُهُ عَنِ الْبُلْقِينِيِّ: وَهُوَ أَنْ يَحْصُلَ مِنَ الْوَالِدِ
 لِلْأَبَوَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا إِيْذَاءٌ لَيْسَ بِالْهَيْئِ عَرَفًا.
 فَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا مَا إِذَا حَصَلَ مِنَ الْأَبَوَيْنِ أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ فَخَالَفَهُمَا بِمَا لَا يُعَدُّ فِي
 الْعُرْفِ مُخَالَفَتَهُ عُقُوقًا فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عُقُوقًا.
 وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَ مَثَلًا عَلَى الْأَبَوَيْنِ دَيْنٌ لِلْوَالِدِ أَوْ حَقٌّ شَرْعِيٌّ فَرَّاعَهُ إِلَى الْحَاكِمِ فَلَا
 يَكُونُ ذَلِكَ عُقُوقًا.
 كَمَا وَقَعَ مِنْ بَعْضِ أَوْلَادِ الصَّحَابَةِ: "شِكَايَةُ الْأَبِ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فِي احتِياجِهِ
 لِمَالِهِ فَلَمْ يَعُدَّ النَّبِيُّ - ﷺ - شِكَايَتَهُ عُقُوقًا".
(قُلْتُ): فِي هَذَا تَأْمَلُ فَإِنَّ قَوْلَهُ - ﷺ - «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ»: دَلِيلٌ عَلَى نَهْيِهِ عَنِ
 مَنَعِ أَبِيهِ عَنِ مَالِهِ وَعَنِ شِكَايَتِهِ.
ثُمَّ قَالَ صَاحِبُ الصَّابِطِ: فَعَلَى هَذَا، الْعُقُوقُ أَنْ يُؤْذِيَ الْوَالِدَ أَحَدَ أَبَوَيْهِ بِمَا لَوْ فَعَلَهُ
 مَعَ غَيْرِ أَبَوَيْهِ كَانَ مُحَرَّمًا مِنْ جُمْلَةِ الصَّغَائِرِ فَيَكُونُ فِي حَقِّ الْأَبَوَيْنِ كَبِيرَةً.
 أَوْ مُخَالَفَةً الْأَمْرِ أَوْ النَّهْيِ فِيمَا يَدْخُلُ فِيهِ الْخَوْفُ عَلَى الْوَالِدِ مِنْ فَوَاتِ نَفْسِهِ أَوْ
 عَضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ فِي غَيْرِ الْجِهَادِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ.
 أَوْ مُخَالَفَتَهُمَا فِي سَفَرٍ يَشُقُّ عَلَيْهِمَا وَلَيْسَ بِفَرْضٍ عَلَى الْوَالِدِ.
 أَوْ فِي عَيْبَةٍ طَوِيلَةٍ فِيمَا لَيْسَ لَطَلَبِ عِلْمٍ نَافِعٍ أَوْ كَسْبِ.
 أَوْ تَرْكِ تَعْظِيمِ الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّهُ لَوْ قَدِمَ عَلَيْهِ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ، أَوْ قَطَبَ فِي وَجْهِهِ
 فَإِنَّ هَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِّ الْغَيْرِ مَعْصِيَةً فَهُوَ عُقُوقٌ فِي حَقِّ الْأَبَوَيْنِ.
وقوله: «وَوَادُ النَّبَاتِ»: بِسُكُونِ الْهَمْزَةِ وَهُوَ دَفْنُ ابْنَتِ حَيَّةٍ وَهُوَ مُحَرَّمٌ.

بيان بعض المحرمات وبعض المكروهات

وَخَصَّ النَّبَاتَ؛ لِأَنَّهُ الْوَاقِعُ مِنَ الْعَرَبِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَرَاهِيَّةً لَهُنَّ، يُقَالُ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَهُ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ التَّمِيْمِيُّ.

وَكَانَ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقْتُلُ أَوْلَادَهُ مُطْلَقًا خَشِيَةَ الْفَاقَةِ وَالنَّفَقَةِ.

وقوله: «مَنْعًا وَهَاتٍ»: الْمَنْعُ مَصْدَرٌ مِنْ مَنْعَ يَمْنَعُ وَالْمُرَادُ مَنْعٌ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ لَا يُمْنَعُ، وَهَاتٍ فِعْلٌ أَمْرٌ مَجْزُومٌ وَالْمُرَادُ النَّهْيُ عَنْ طَلَبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّ طَلَبَهُ.

وقوله: «وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ»: يُرْوَى بِغَيْرِ تَنْوِينٍ حِكَايَةً لِلْفِعْلِ.

وَرُوِيَ مُنَوَّنًا وَهِيَ رِوَايَةٌ فِي الْبُخَارِيِّ، قِيلًا وَقَالَ، عَلَى النَّقْلِ مِنَ الْفِعْلِيَّةِ إِلَى الْإِسْمِيَّةِ وَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ.

وَالْمُرَادُ بِهِ: نَقْلُ الْكَلَامِ الَّذِي يَسْمَعُهُ إِلَى غَيْرِهِ فَيَقُولُ قِيلَ كَذَا وَكَذَا بِغَيْرِ تَعْيِينِ الْقَائِلِ وَقَالَ فَلَانٌ كَذَا وَكَذَا.

وَإِنَّمَا نَهَى عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْإِسْتِعَالِ بِمَا لَا يَعْنِي الْمُتَكَلِّمَ وَلِكُونِهِ قَدْ يَتَضَمَّنُ الْغَيْبَةَ وَالنَّمِيمَةَ وَالْكَذِبَ وَلَا سِيَّمَا مَعَ الْإِكْتَارِ مِنْ ذَلِكَ قَلَّمَا يَخْلُو عَنْهُ.

وَقَالَ الْمُحِبُّ الطَّبْرِيُّ: فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهٌ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمَا مَصْدَرَانِ لِلْقَوْلِ نَقُولُ قُلْتُ قَوْلًا وَقِيلًا.

وَفِي الْحَدِيثِ الْإِشَارَةُ إِلَى كَرَاهَةِ كَثْرَةِ الْكَلَامِ.

ثَانِيهَا: إِرَادَةُ حِكَايَةِ أَقَاوِيلِ النَّاسِ وَالْبَحْثِ عَنْهَا لِتُخْبِرَ عَنْهَا فَتَقُولُ: قَالَ فَلَانٌ: كَذَا وَقِيلَ لَهُ كَذَا.

وَالنَّهْيُ عَنْهُ: إِذَا لَزَجَرِ عَنْ الْإِسْتِكْثَارِ مِنْهُ، وَإِمَّا لِمَا يَكْرَهُهُ الْمُحْكِي عَنْهُ.

ثَالِثُهَا: أَنَّ ذَلِكَ فِي حِكَايَةِ الْإِخْتِلَافِ فِي أُمُورِ الدِّينِ كَقَوْلِهِ قَالَ فَلَانٌ كَذَا وَقَالَ فَلَانٌ كَذَا.

وَمَحَلُّ كَرَاهَةِ ذَلِكَ: فِي أَنْ يُكْثَرَ مِنْهُ بِحَيْثُ لَا يُأْمَنُ مِنَ الزَّلَلِ، وَهُوَ فِي حَقِّ مَنْ

بيان بعض المحرمات وبعض المكروهات

يُنْقَلُ بِغَيْرِ تَبْتُّتٍ فِي نَقْلِهِ لِمَا يَسْمَعُهُ وَلَا يَحْتَاطُ لَهُ؛ وَيُؤَيَّدُ هَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ:
«كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

قُلْتُ: وَيَحْتَمِلُ إِرَادَةَ كُلِّ مِنَ الثَّلَاثَةِ.

قوله: «وَكثْرَةُ السُّؤَالِ»: هُوَ السُّؤَالُ لِلْمَالِ، أَوْ عَنِ الْمُسْكَاتِ مِنَ الْمَسَائِلِ، أَوْ
مَجْمُوعِ الْأَمْرَيْنِ وَهُوَ أَوْلَى وَتَقَدَّمَ فِي الزَّكَاةِ مَسْأَلَةُ الْمَالِ.

«وَقَدْ نَهَى عَنِ الْأَغْلُوطَاتِ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَهِيَ الْمَسَائِلُ الَّتِي يُغْلَطُ بِهَا الْعُلَمَاءُ
لِيَزَلُوا فَيَتَّبِعُ بِذَلِكَ شَرًّا وَفِتْنَةً.

وَإِنَّمَا نَهَى عَنْهَا لِكُونِهَا غَيْرَ نَافِعَةٍ فِي الدِّينِ وَلَا يَكَادُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا فِيمَا لَا يَنْفَعُ.
وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ جَمْعٍ مِنَ السَّلَفِ كَرَاهَةُ تَكْلُفِ الْمَسَائِلِ الَّتِي يَسْتَحِيلُ وَقُوعُهَا عَادَةً
أَوْ يَنْدُرُ وَقُوعُهَا جِدًّا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّنَطُّعِ وَالْقَوْلِ بِالظَّنِّ الَّذِي لَا يَخْلُو صَاحِبُهُ عَنِ
الْخَطَأِ.

وَقِيلَ: كَثْرَةُ السُّؤَالِ عَنِ أَخْبَارِ النَّاسِ وَأَحْدَاثِ الزَّمَانِ، وَكَثْرَةُ سُؤَالِ إِنْسَانٍ مُعَيَّنٍ
عَنْ تَفَاصِيلِ حَالِهِ، وَكَانَ مِمَّا يَكْرَهُهُ الْمَسْئُولُ.

بيان التشديد في إضاعة المال:

وقوله: «وإِضَاعَةُ الْمَالِ»: الْمُتَبَادَرُ مِنَ الْإِضَاعَةِ مَا لَمْ يَكُنْ لِعَرَضٍ دِينِيٍّ وَلَا
دُنْيَوِيٍّ.

وَقِيلَ: هُوَ الْإِسْرَافُ فِي الْإِنْفَاقِ.

وَقَيْدُهُ بَعْضُهُمْ بِالْإِنْفَاقِ فِي الْحَرَامِ.

وَرَجَّحَ الْمُصَنِّفُ أَنَّهُ مَا أَنْفَقَ فِي غَيْرِ وُجُوهِهِ الْمَأْدُونِ فِيهَا شَرَعًا سَوَاءً كَانَتْ دِينِيَّةً
أَوْ دُنْيَوِيَّةً؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْمَالَ قِيَامًا لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ وَفِي التَّبْدِيرِ تَفْوِيتُ تِلْكَ
الْمَصَالِحِ إِمَّا فِي حَقِّ صَاحِبِ الْمَالِ أَوْ فِي حَقِّ غَيْرِهِ.

قَالَ: وَالْحَاصِلُ أَنَّ فِي كَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ ثَلَاثَةٌ وَجُوهٌ:

الأوَّلُ: الْإِنْفَاقُ فِي الْوُجُوهِ الْمَذْمُومَةِ شَرْعًا وَلَا شَكَّ فِي تَحْرِيمِهِ.

الثَّانِي: الْإِنْفَاقُ فِي الْوُجُوهِ الْمَحْمُودَةِ شَرْعًا وَلَا شَكَّ فِي كَوْنِهِ مَطْلُوبًا مَا لَمْ يُفَوِّتْ

حَقًّا آخَرَ أَهَمَّ مِنْ ذَلِكَ الْمُتَمَقِّ فِيهِ.

وَالثَّالِثُ: الْإِنْفَاقُ فِي الْمُبَاحَاتِ وَهُوَ مُتَقَسِّمٌ إِلَى قِسْمَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ عَلَى وَجْهِ يَلِيْقُ بِحَالِ الْمُتَمَقِّ وَيَقْدِرُ مَالِهِ فَهَذَا لَيْسَ بِإِضَاعَةٍ وَلَا

إِسْرَافٍ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ فِيْمَا لَا يَلِيْقُ بِهِ عُرْفًا فَإِنْ كَانَ لِدَفْعِ مَفْسَدَةٍ إِمَّا حَاضِرَةً أَوْ مُتَوَقَّعَةً

فَذَلِكَ لَيْسَ بِإِسْرَافٍ.

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ إِسْرَافٌ.

قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعَيْدِ: ظَاهِرُ الْقُرْآنِ أَنَّهُ إِسْرَافٌ.

وَصَرَّحَ بِذَلِكَ الْقَاضِي حُسَيْنٌ فَقَالَ فِي قِسْمِ الصَّدَقَاتِ: هُوَ حَرَامٌ.

وَتَبِعَهُ الْغَزَالِيُّ، وَجَزَمَ بِهِ الرَّافِعِيُّ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْغَارِمِ.

وَقَالَ الْبَاجِيُّ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ: إِنَّهُ يَحْرُمُ اسْتِيعَابُ جَمِيعِ الْمَالِ بِالصَّدَقَةِ.

قَالَ: وَيُكْرَهُ كَثْرَةُ إِنفَاقِهِ فِي مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَلَا بَأْسَ بِهِ إِذَا وَقَعَ نَادِرًا لِحَادِثٍ كَضَيْفٍ

أَوْ عَيْدٍ أَوْ وِلِيْمَةٍ.

وَالْإِنْفَاقُ عَلَى كَرَاهَةِ الْإِنْفَاقِ فِي الْبِنَاءِ الزَّائِدِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ وَلَا سِيَّمَا إِنْ

انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ الْمُبَالَغَةُ فِي الزَّخْرَفَةِ وَكَذَلِكَ احْتِمَالُ الْعَبْنِ الْفَاحِشِ فِي الْمُبَايَعَاتِ

بِلَا سَبَبٍ.

وَقَالَ السُّبْكِيُّ فِي الْحَلِيَّاتِ: وَأَمَّا إِنفَاقُ الْمَالِ فِي الْمَلَاذِّ الْمُبَاحَةِ فَهُوَ مَوْضِعُ

اخْتِلَافٍ، وَظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ

بيان بعض المحرمات وبعض المكروهات

ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ [الفرقان: ٦٧].

أَنَّ الزَّائِدَ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِحَالِ الْمُنفِقِ إِسْرَافٌ.
وَمَنْ بَدَلَ مَالًا كَثِيرًا فِي عَرَضٍ يَسِيرٍ فَإِنَّهُ يَعُدُّهُ الْعُقْلَاءُ مُضَيِّعًا. **انتهى.**
وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي الزَّكَاةِ عَلَى التَّصَدُّقِ بِجَمِيعِ الْمَالِ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ. **اهـ**



بيان أن رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد

١٤٧١ - (وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ جِبَّانَ وَالْحَاكِمُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان أن رضا الله صلى الله عليه وسلم في رضا الوالد، وأن سخط الله في سخط الوالد.

قد أعل حديث الباب بالوقف، ولم يثبت حتى موقوفاً، والمعنى صحيح.

بيان حكم طاعة الوالد:

فإن كان أمر الوالد في غير معصية الله صلى الله عليه وسلم، فيجب على الولد طاعته.

وكذلك لو كان أمر الوالد في طاعة الله صلى الله عليه وسلم، فيجب طاعته.

وإنما لا يطاع الوالد إذا كان أمره في معصية الله صلى الله عليه وسلم.

ففي الصحيحين: من حديث عليّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « الطَّاعَةُ فِي

(١) أخرجه الترمذي (١٨٩٩)، بلفظ: «رَضِيَ الرَّبُّ فِي رَضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ

الْوَالِدِ». وابن جبان (٤٢٩)، والحاكم (٧٢٤٩)، وفي إسناده عطاء العامري مجهول. واختلف في

رفعه ووقفه، ورجح الترمذي وقفه، والموقوف فيه الرجل المذكور. وجاء من حديث أبي هريرة

رضي الله عنه بلفظ: "طاعة الله طاعة الوالد، ومعصية الله معصية الوالد"، عند الطبراني (٢٢٥٥)،

وفي إسناده أحمد بن إبراهيم بن كيسان الثقفي، وإسماعيل بن عمرو، وكلاهما ضعيف. وصححه

الإمام الألباني رضي الله عنه في الصحيحة (٥١٦).

المَعْرُوفِ»^(١).

وفي رواية في الصحيحين: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ».

قوله: «رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ» فيه: إثبات صفة الرضا لله ﷻ، وهي من الصفات الفعلية.

قوله: «وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ» فيه: إثبات صفة السخط لله ﷻ، وهي من الصفات الفعلية التي تليق بجلال الله ﷻ، وليست كصفات المخلوقين.

يقول الله ﷻ: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾^(٨٠).

فنثبت صفتي: "الرضا، والسخط"، على ما يليق بجلال الله ﷻ، وبعظمته، من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تحريف.

📖 قال الإمام الصنعاني ﷻ في السبل (٢/ ٦٣٢-٦٣٣): الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى وَجُوبِ إِرْضَاءِ الْوَالِدِ لِوَالِدَيْهِ وَتَحْرِيمِ إِسْخَاطِهِمَا فَإِنَّ الْأَوَّلَ فِيهِ مَرَضَاةُ اللَّهِ وَالثَّانِي فِيهِ سَخَطُهُ.

فَيُقَدِّمُ رِضَاهُمَا عَلَى فِعْلِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ.
كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: أَحْيِيَّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»^(٢).

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ^(٣): مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أَنَّ رَجُلًا هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ الْيَمَنِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ هَاجَرْتُ قَالَ: هَلْ لَكَ أَهْلٌ بِالْيَمَنِ؟ فَقَالَ:

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٠، ٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٥٣٠).

أَبُو بَيٍّ قَالَ أَذِنَا لَكَ؟ قَالَ لَا قَالَ فَارْجِعْ فَاسْتَأْذِنَهُمَا فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا

وَفِي إِسْنَادِهِ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَكَذَلِكَ غَيْرُ الْجِهَادِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ.

وَإِلَيْهِ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَأَلَمِيرِ حُسَيْنٍ ذَكَرَهُ فِي الشِّفَاءِ، وَالشَّافِعِيُّ.

فَقَالُوا: يَتَعَيَّنُ تَرْكُ الْجِهَادِ إِذَا لَمْ يَرْضَ الْأَبْوَانُ، إِلَّا فَرَضَ الْعَيْنُ: كَالصَّلَاةِ فَإِنَّهَا

تَقَدَّمُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا الْأَبْوَانُ بِالْإِجْمَاعِ.

وَذَهَبَ الْأَكْثَرُ إِلَى أَنَّهُ يَجُوزُ فِعْلُ فَرَضِ الْكِفَايَةِ وَالْمُنْدُوبِ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ الْأَبْوَانُ مَا

لَمْ يَتَضَرَّرَا بِسَبَبِ فَقْدِ الْوَلَدِ.

وَحَمَلُوا الْأَحَادِيثَ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي حَقِّ الْوَالِدَيْنِ، وَأَنَّهُ يَتَّبِعُ رِضَاهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ

فِي ذَلِكَ سَخَطُ اللَّهِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا

وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

قُلْتُ: الْآيَةُ إِنَّمَا هِيَ فِيمَا إِذَا حَمَلَاهُ عَلَى الشُّرْكِ وَمِثْلَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْكِبَائِرِ.

وَفِيهِ: دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ يُطِيعُهُمَا فِي تَرْكِ فَرَضِ الْكِفَايَةِ وَالْعَيْنِ، لَكِنَّ الْإِجْمَاعَ خَصَّصَ

فَرَضَ الْعَيْنِ.

وَأَمَّا إِذَا تَعَارَضَ حَقُّ الْأَبِ وَحَقُّ الْأُمِّ فَحَقُّ الْأُمِّ مُقَدَّمٌ؛ لِحَدِيثِ الْبُخَارِيِّ^(١): «قَالَ

رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صُحْبَتِي قَالَ أُمُّكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَالَ

أَبُوكَ».

فَإِنَّهُ دَلَّ عَلَى تَقْدِيمِ رِضَا الْأُمِّ عَلَى رِضَا الْأَبِ.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: مُقْتَضَاهُ أَنْ يَكُونَ لِلْأُمِّ ثَلَاثَةٌ أَمْثَالِ مَا لِلْأَبِ.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧١) ومسلم (٢٥٤٨).

قَالَ: وَكَانَ ذَلِكَ لِصُعُوبَةِ الْحَمْلِ ثُمَّ الْوَضْعِ ثُمَّ الرَّضَاعِ.

قُلْتُ: وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

وَمِثْلُهَا ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤].

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: ذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّ الْأُمَّ تَفْضُلُ عَلَى الْأَبِ فِي الْبِرِّ. وَنَقَلَ الْحَارِثُ الْمُحَاسِبِيُّ الْإِجْمَاعَ عَلَى هَذَا.

وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَخِ وَالْجَدِّ مَنْ أَحَقُّ بِبِرِّهِ مِنْهُمَا؟

فَقَالَ الْقَاضِي: الْأَكْثَرُ الْجَدُّ وَجَزَمَ بِهِ الشَّافِعِيُّ وَيُقَدَّمُ مَنْ أَدْلَى بِسَبَبِيْنِ عَلَى مَنْ أَدْلَى بِسَبَبٍ.

ثُمَّ الْقَرَابَةُ مِنْ ذَوِي الرَّحِمِ وَيُقَدَّمُ مِنْهُمْ الْمَحَارِمُ عَلَى مَنْ لَيْسَ بِمَحْرَمٍ، ثُمَّ الْعَصَبَاتُ ثُمَّ الْمُصَاهِرَةُ ثُمَّ الْوَلَاءُ ثُمَّ الْجَارُ.

وَأَشَارَ ابْنُ بَطَّالٍ: إِلَى أَنَّ التَّرْتِيبَ حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ الْبِرُّ دَفْعَةَ وَاحِدَةٍ.

وَوَرَدَ فِي تَقْدِيمِ الزَّوْجِ: مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ

عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيُّ النَّاسِ أَعْظَمُ حَقًّا عَلَى الْمَرْأَةِ قَالَ: زَوْجُهَا قُلْتُ: فَعَلَى الرَّجُلِ قَالَ أُمُّهُ»^(١).

وَأَعْلَلَّ مِثْلَ هَذَا مَخْصُوصٌ بِمَا إِذَا حَصَلَ التَّضَرُّرُ لِلْوَالِدَيْنِ فَإِنَّهُ يُقَدَّمُ حَقُّهُمَا عَلَى

حَقِّ الزَّوْجِ جَمْعًا بَيْنَ الْأَحَادِيثِ. اهـ.



(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٩١٠٣) والحاكم (٧٢٢٤).

بيان أن المؤمن لا يكمل إيمانه إلا إذا أحب لجاره وأخيه ما يحب لنفسه

١٤٧٢ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ - أَوْ لِأَخِيهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن إيمان المسلم لا يكمل حتى يحب لأخيه، أو لجاره، ما يحب لنفسه.

قوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ».

فيه: الحلف بدون استحلاف؛ لتأكيد الأمر المحلوف عليه.

وفيه: إثبات صفة اليد لله ﷻ.

قوله: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ» أي: لا يكمل إيمانه.

فليس المراد نفي الإيمان، بحيث أنه يكفر والعياذ بالله ﷻ كما يقول ذلك الخوارج، والمعتزلة، ومن نحا نحوهم من أهل البدع والتكفير.

قوله: «حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ - أَوْ لِأَخِيهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» أي: من الخير.

على ما جاء في بعض الروايات.


ففي سنن الإمام النسائي رحمه الله: من حديث أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسٌ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنْ

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) واللفظ له.

الْخَيْرِ»^(١).

وفي صحيح مسلم: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»^(٢).



(١) أخرجه النسائي (٥٠١٧)، وصححه الإمام الألباني  في صحيح وضعيف النسائي، وفي

الصحيحة (٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

بيان أعظم الحقوق

١٤٧٣ - (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه) - قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً، وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشِيَةً أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ» ^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان أعظم الحقوق.

قوله: «وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه -»: وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود

الهدلي رضي الله عنه.

كان من كبار فقهاء الصحابة رضي الله عنهم.

وكان من القراء الذي أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى القراءة عنهم.

قوله: «قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -»: فيه: سؤال الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم عما

ينفعهم في أمر دينهم، ودنياهم، وأخراهم.

قوله: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟» فيه: أن الذنوب تتعاضد وتتفاضل بعضها عن بعض.

فمنها الشرك والكفر بالله صلى الله عليه وسلم، ومنها الشرك الأصغر، ومنها البدع، ومنها الكبائر،

ومنها أكبر الكبائر، ومنها ما هو دون ذلك.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ

الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ

الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرَّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

بيان أعظم الحقوق

المُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»^(١).

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١٣).

قوله: «قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً، وَهُوَ خَلْقَكَ»».

الند: هو المثل، والنظير، والشبيه، والكفء، والسمي، ونحو ذلك.

الشرك: أن تجعل لله ﷻ مثيلاً، ونظيراً، وشبيهاً، وكفئاً، سميّاً، وهو الذي خلقك

ورزقك، وأنعم عليك النعم الظاهرة والباطنة.

وغير الله ﷻ لا يستطيع أن يخلق، ولا يرزق.

فهذا من أجمع معاني الشرك، ولا سيما هو تفسير أعلم الخلق بربه نبينا محمد

ﷺ.

يقول الله ﷻ: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً

﴾^(٦٥).

ويقول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢٢).

ويقول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١١).

ويقول الله ﷻ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ

وَلِيٌّ مِنْ الدُّدْلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيراً﴾^(١١١).

ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٤).

يقول الله ﷻ مبيناً لنا حال المشركين يوم القيامة: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾^(٩٦) تالله

إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ^(٩٧) إِذْ دُسَّوْا بِكُمْ رَبِّ الْأَعْلَمِينَ^(٩٨) وَمَا أَضَلُّنَا إِلَّا الْأَمْجُرُونَ^(٩٩) فَمَا لَنَا مِنْ

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

بيان أعظم الحقوق

شَفَعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ [الشعراء: ٩٦-١٠١]..

قوله: "قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشِيَةً أَنْ يَأْكَلَ مَعَكَ»:" فيه أن فقتل النفس المحرمة بغير حق من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله ﷻ، وقد جاء ذلك مبيناً في كثير من الأدلة.

ويزاد إثماً إلى إثمه: إن كان المقتول ولده، وقتله مخافة أن يأكل ويطعمهم معه .

قوله: "قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»:" وفيه الزنى من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله ﷻ، وبعد القتل بغير حق للنفس المعصومة، ولكن الزنى في حق الجار يزداد إثماً، مع إثم الزنى نفسه، لأن حق الجار عظيم.

ففي مسند الإمام أحمد رحمته الله: من حديث المِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ - رحمته الله -، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «مَا تَقُولُونَ فِي الزَّانَا؟» قَالُوا: حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: "لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ"، قَالَ: فَقَالَ: "مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟" قَالُوا: حَرَّمَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ، قَالَ: "لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ آبِيَاتٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ"^(١).



(١) أخرجه أحمد (٢٣٨٥٤)، وصححه الإمام الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (٢٥٤٩). وحسنه الإمام الوادعي رحمته الله في الصحيح المسند (١١٤١).

باب الزهد والورع

[بَابُ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ]

شرح الشرح:

الورع: هو ترك ما يضر في الآخرة.

والزهد: هو ترك ما لا ينفع في الآخرة.

فعلى هذا يكون الزهد أعلى درجة من الورع.

لأن الورع: هو ترك المحرم؛ فهو الذي يضر في الآخرة.

أما الزهد: هو ترك كل شيء لا ينفع صاحبه يوم القيامة، ولو كان الشيء وقيل:

العكس، أن الورع أعلى من الزهد.

وقيل: بأن الزهد والورع بمعنى متقارب.

فكل عمل لا يقربك من الله ﷻ فتركه من الورع والزهد.

وهذا الباب أوسع من باب الحلال والحرام.

فيدخل في باب الورع ترك كثير من المشتبهات؛ حتى وإن كنا لا نعلم بحرمتها

ورعا.

بل ربما يترك بعض الحلال خشية أن يوصل إلى الحرام، أو لشبهة فيه.

وقد ألف العلماء رحمة الله عليهم قديماً في هذا الباب ومن أنفسهم ذلك.

"الزهد"، للإمام أحمد بن حنبل رحمته الله.

والزهد، للإمام عبد الله بن المبارك رحمته الله، والزهد، للإمام وكيع بن الجراح رحمته الله.

وذكر في المسانيد، والجوامع، كثيراً مما يتعلق في هذا الباب.

وهذا الباب من المهمات؛ لأن الإنسان إذا لم يحصل له الزهد عن كثير من ملذات

الدنيا؛ ربما جره ذلك إلى الوقوع في كثير من البليات، والمصائب، والمعاصي،
والمحرمات.

بل قد يجره ذلك إلى الوقوع في الكبائر، وربما وقع في الشريكيات والخرفات، وفي
البدع والكفر بالله ﷻ.

فإذا تعلق قلب الإنسان بالدنيا أخذ إليها وصار من أصحابها .

يقول الله ﷻ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ
فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَأَنْفُسِهِمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٧]..

ويقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ
قَدِرُوا عَلَيْهَا آتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ
نُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس: ٢٤-٢٥]..

ويقول الله ﷻ : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَسِيحُ فَرَنَهُ مُمْصِقًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

ويقول الله ﷻ : ﴿ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ

﴿٣٩﴾ [غافر: ٣٩] .

ويقول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدَ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۝۳۳﴾.

والأدلة في الباب كثيرة جداً، كما سنرى مما يسوقه المصنف ﷻ.

وفي سنن الإمام ابن ماجه ﷻ: من حديث سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه-، قال: أتى النبي ﷺ رجل، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذُلِّي عَلَيَّ عَمَلٌ إِذَا أَنَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدْ فِي أَيِّدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»^(١).

والحديث ضعيف، من طريق خالد بن عمرو القرشي كذاب وضاع، ولكن معناه صحيح.

قال العقيلي: " ليس له من حديث الثوري أصل، وقد تابعه محمد بن كثير الصنعاني ولعله أخذه عنه ودلسه لأن المشهور به خالد هذا "

وعلى كل فمعناه صحيح؛ لأن من زهد في الدنيا، لازم عمل الآخرة؛ فأحبه الله ﷻ.

ومن زهد فيما عند الناس، ولم ينافسهم على أمور الدنيا؛ أحبه الناس .
وذلك أن الناس يزهدون فيمن يسألهم أموالهم، ويزاحمهم وينافسهم في أمور الدنيا.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِن تَوَمَّنُوا وَتَنَفَّوْا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا

يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۝۳۶﴾ إِنَّ يَسْأَلُكُمْ مَوْلَاهَا فَيُخَوِّضُكُمْ فِيهَا وَتَبَخَّلُوا وَيُخْرِجُ أَصْفَانَكُمْ ۝۳۷﴾

[محمد: ٣٦-٣٧].

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، وصححه الإمام الألباني ﷻ في صحيح وضعيف ابن ماجه. وهو في

الصحيحة للإمام الألباني ﷻ (٩٤٤).

وكلما كان الإنسان بعيداً عن شأنهم، كان حب الناس له أعظم، وكان تقدير الناس له أجمل.

لأنهم يعرفون أن هذا الرجل ليس صاحب دنيا، وليس له همة في تحصيلها. وكم أفسدت الدنيا من علماء؛ لما زاحموا أصحاب الكراسي على كراسيهم، وأصحاب المناصب على مناصبهم، وأصحاب الدنيا على دنياهم. ولن يستقيم حال العبد إلا بالزهد والورع.

بيان أقسام العلم:

وينقسم العلم أربعة أقسام:

الأول: ربيع العبادات.

الثاني: ربيع الاعتقادات.

الثالث: ربيع المعاملات.

الرابع: ربيع الزهديات والورع.

بيان أن تحريم ما أحل الله ﷻ ليس من الزهد:

وليس من الزهد، والورع، تحريم ما أحل الله ﷻ من الطيبات من الرزق، قال الله

ﷻ: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفِّصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْمُونَ ﴿٣٢﴾ [الأعراف: ٣٢]، وَعَنْ أَنَسٍ،

أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ؟ فَقَالَ

بَعْضُهُمْ: لَا أَنْزَوْجَ النِّسَاءِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى

فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ،

وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَاتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» متفق عليه^(١).

وإنما كان هذا حال الرهبان، والقساوسة، وغلاة الصوفية، ومن إليهم من أهل البدع والخرافات.

إذ أن كثيراً من الصوفية يحرمون المكاسب، ويلبسون ثياب الصوف في الصيف، ولثياب رقيقة في الشتاء، زعما منهم أن هذا من الورع، والزهد، ولا والله إنما هو من البدع.

﴿ بيان أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعظم الناس زهداً وورعاً الزهاد:

وأعظم الناس زهداً وورعاً هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم ينقل عنه مثل هذا عنه.

بل ولم يفعله صحابته رضي الله عنهم، وهم أزهّد الناس في هذه الأمة بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ولا فعله التابعون لهم، ولا أتباع التابعين، وهم أصحاب القرون الثلاثة المفضلة

التي شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بالخير، والعلم، والفضل، والإيمان.

ومع ذلك فقد جاء في مسلم: من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، -، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم

قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ

أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَتَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرٌ الْحَقُّ،

وَعَمُطُ النَّاسِ»^(٢).

كما جاء ذلك في سنن الإمام الترمذي رضي الله عنه: من حديث أبي الأحوص، عَنِ أَبِيهِ -

وهو مالك بن نضلة الجشمي - رضي الله عنه -- قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ أَمْرٌ بِهِ فَلَا

يَقْرِبُنِي وَلَا يَضِيئُنِي فَيَمُرُّ بِي أَفَأَجْزِيهِ؟ قَالَ: «لَا، أَقْرِهِ» قَالَ: وَرَأَيْتُ رَثَّ الثِّيَابِ، فَقَالَ:

«هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟» قُلْتُ: مِنْ كُلِّ الْمَالِ قَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ، قَالَ: «فَلْيُرِّ

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٩١).

عَلَيْكَ»^(١).

وفي لفظ النسائي: «فَإِذَا آتَاكَ اللهُ مَالًا، فَلْيُرْ عَلَيْكَ أَثْرُ نِعْمَةِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ»^(٢).

وفي سنن الإمام النسائي رحمه الله: من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَابْسُؤُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ»^(٣).

وفي الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله: من حديث عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال:

"بَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَأَمَرَنِي أَنْ أَخُذَ عَلَيَّ ثِيَابِي وَسِلَاحِي، ثُمَّ آتَيْهِ، فَفَعَلْتُ فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ

يَتَوَضَّأُ، فَصَعَدَ إِلَيَّ الْبَصْرَ ثُمَّ طَاطَأَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ

فَيُغْنِمُكَ اللهُ، وَأَرْغَبُ لَكَ رَغْبَةً مِنَ الْمَالِ صَالِحَةً»، قُلْتُ: إِنِّي لَمْ أُسَلِّمْ رَغْبَةً فِي

الْمَالِ، إِنَّمَا أُسَلِّمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ فَأَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا عَمْرُو، نِعْمَ

الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»^(٤).



(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي. وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٠٩٩).

(٢) أخرجه النسائي (٥٢٢٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف النسائي.

(٣) أخرجه النسائي (٢٥٥٩)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف النسائي.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله (٢٢٩/٢٩٩). وهو في


الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٠٠٦).

بيان أن الأحوط اجتناب المشتبهات

١٤٨٢ - (عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ - وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعِيهِ إِلَى أُذُنَيْهِ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ ^(١) وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» ^(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

 الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان البعد عن المشتبهات .

 قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١ / ١٩٤): قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ» مَعْنَاهُ: أَنَّ الْحَلَالَ الْمَحْضَ بَيْنَ لَا اشْتِبَاهَ فِيهِ، وَكَذَلِكَ الْحَرَامُ الْمَحْضُ، وَلَكِنْ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ أُمُورٌ تَشْتَبَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، هَلْ هِيَ مِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ؟ وَأَمَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، فَلَا يَشْتَبُهُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَيَعْلَمُونَ مِنْ أَيِّ الْقِسْمَيْنِ هِيَ. فَأَمَّا الْحَلَالُ الْمَحْضُ: فَمِثْلُ أَكْلِ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الزُّرُوعِ، وَالثَّمَارِ وَبَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، وَشُرْبِ الْأَشْرِبَةِ الطَّيِّبَةِ، وَلبَاسِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْقُطْنِ وَالْكَتَّانِ، أَوْ الصُّوفِ أَوْ الشَّعْرِ، وَكَالنِّكَاحِ، وَالتَّسْرِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِذَا كَانَ اكْتِسَابُهُ بِعَقْدٍ صَحِيحٍ كَالْبَيْعِ، أَوْ بِمِيرَاثٍ، أَوْ هِبَةٍ، أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالْحَرَامُ الْمَحْضُ:

(١) في المخطوط زيادة "فقد".

(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

بيان أن الأحوط اجتناب المشنّهات

مِثْلَ أَكْلِ الْمَيْتَةِ، وَالِدَّمِ، وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَنِكَاحِ الْمَحَارِمِ، وَلِبَاسِ الْحَرِيرِ لِلرِّجَالِ، وَمِثْلَ الْأَكْسَابِ الْمُحَرَّمَةِ كَالرِّبَا وَالْمَيْسِرِ وَثَمَنِ مَا لَا يَحِلُّ بَيْعُهُ، وَأَخَذِ الْأَمْوَالِ الْمَعْصُوبَةِ بِسَرِقَةٍ أَوْ غَضَبٍ أَوْ تَدْلِيْسٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الْمُشْتَبَهُ: فَمِثْلُ بَعْضِ مَا اخْتَلَفَ فِي حَلِّهِ أَوْ تَحْرِيمِهِ، إِمَّا مِنْ الْأَعْيَانِ كَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، وَالضَّبِّ، وَشُرْبِ مَا اخْتَلَفَ فِي تَحْرِيمِهِ مِنَ الْأَنْبَذَةِ الَّتِي يُسَكَّرُ كَثِيرُهَا، وَلُبْسِ مَا اخْتَلَفَ فِي إِبَاحَةِ لُبْسِهِ مِنْ جُلُودِ السَّبَاعِ وَنَحْوِهَا، وَإِمَّا مِنَ الْمَكَاسِبِ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا كَمَسَائِلِ الْعَيْتَةِ وَالتَّوْرُقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَبِنَحْوِ هَذَا الْمَعْنَى فَسَّرَ الْمُشْتَبَهَاتِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَئِمَّةِ. وَحَاصِلُ الْأَمْرِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ الْكِتَابَ، وَبَيَّنَّ فِيهِ لِلْأُمَّةِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: كُلُّ شَيْءٍ أَمَرُوا بِهِ أَوْ نَهَوْا عَنْهُ، وَقَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ (الآيَة: ١٧٦) الَّتِي بَيَّنَّ فِيهَا كَثِيرًا مِنْ أَحْكَامِ الْأَمْوَالِ وَالْأَبْضَاعِ: ﴿بَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [النساء:

١٧٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ

عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ

قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] وَوَكَّلَ بَيَانَ مَا أَشْكَلَ مِنْ

التَّنْزِيلِ إِلَى الرُّسُولِ ﷺ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وَمَا قُبِضَ ﷺ حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَاؤُمَّتِهِ الدِّينَ، وَلِهَذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ بِعَرَفَةَ

قَبْلَ مَوْتِهِ بِمُدَّةٍ يَسِيرَةٍ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ

الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وَقَالَ ﷺ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى بَيْضَاءَ نَفِيَّةٍ لَيْلَهَا كَنْهَارُهَا لَا يَزِيغُ

عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ». وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُحَرِّكُ جَنَاحِيهِ فِي

السَّمَاءِ إِلَّا وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا . اهـ

قوله: «التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه»: صحابي أنصاري، من صغار الصحابة رضي الله عنه.

وأمه: عمرة بنت رواحة رضي الله عنها.

وله قصة في باب الهبة.

ففي الصحيحين: من حديث التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ:
«أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرُؤُةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ - رضي الله عنها -: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أُشْهَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ»^(١).

قوله: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ - وَأَهْوَى التُّعْمَانُ بِإِصْبَعِهِ إِلَى أُذُنِي»:

وذلك لتأكيد السمع من النبي صلى الله عليه وسلم.

وأنه أخذ الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم مشافهة، وهذا أرفع أنواع الشمل .

قوله: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ» أي: واضح معروف في الكتاب، والسنة، لا إشكال فيه .

قوله: «وَأَنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ» أي: واضح، لا إشكال فيه، يعلمه معلوم أنه حرام .

قوله: «وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ»: وربما كان اشتباهها إلى احل، أو إلى الحرمة .

فمن الورع البعد عن مثل هذه المشتبهات؛ لما قد تؤدي إليه من التبعات، والوقوع

في المحرمات .

قوله: «لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ»: والمعنى أن كثيرًا من الناس لا يعلمون حكم

المشتبهات .

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٧، ٢٦٥٠)، ومسلم (١٦٢٣).

بيان أن الأحوط اجتناب المشتبهات

وهناك من حكمها، ولا سيما أهل العلم، والطلبة الذين فتح الله عليهم بالعلم الشرعي الذي يستطيعون به أن يميزوا بين الحلال والحرام .
فمن علم حلها فلا حرج عليه في تعاطيها؛ ومن علم حرمتها فعليه اجتنابها .
ومن لم يتبين فيها الحل، أو الحرمة، وأصبح متردداً فيها، فالمتيقن البعد عنها؛ احتياطاً من الوقوع في المحرمات وهو لا يدري .
وعليه أن يسأل عنها أهل العلم، فهم الذين يميزون بين الحرام، والحلال، والأمور المشتبهة .

قوله: «فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ» أي: جعل بينها وبينه وقاية، بحيث لا يغشاها، ولا يأتيها .

قوله: «فَقَدَّ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ» .

ومعناه: أن من وقع في الشبهات قد يلحقه الضرر في دينه، وعرضه .
فالضرر في الدين: من حيث يضعف، وينقص إيمانه .
والضرر في عرضه: من حيث أن الناس قد يتكلمون فيه .

ففي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ الشَّرِيدِ بْنِ سُوَيْدِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لِي الْوَاجِدِ يُحِلُّ عَرْضَهُ، وَعُقُوبَتَهُ»^(١) .
قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: «يُحِلُّ عَرْضَهُ يُعْلِظُ لَهُ، وَعُقُوبَتَهُ يُحَسُّ لَهُ» .

قوله: «وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ» أي: أن من وقع في الشبهات كاد أن يقع في الحرام، هذا هو المعنى من الحديث، ويعرف ذلك من سياقه .

لأن الشبهات تجر صاحبها إلى الوقوع في المحرمات، فمن تساهل ووقع في

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٢٨)، والنسائي (٤٦٨٩)، وابن ماجه (٢٤٢٧)، وحسنه الإمام الألباني رضي الله عنه في

الشبهات، ولم يستبرأ لدينه وعرضه .

ومما يدل على هذا المعنى من أن المراد: أنه يكاد أن يقع في المحرمات .

قوله: «كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ»: فصرح النبي ﷺ بهذا

اللفظ أنه لم يقع فيه بعد، ولكنه يوشك أن يقع فيه؛ لقربه من المحرمات .

والحمى: هو الذي يمنع فيه الناس من الرعي الصيد، ونحوه .

قوله: «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى» أي: أن لكل ملك، أو رئيس، أو شيخ قبيلة، له

حمى خاص؛ يجعله لبقره، أو غنمه، أو إبله، أو يجعله لحوائج المسلمين .

قوله: «أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ» أي: أن الله ﷻ جعله حماه المحارم، فمن وقع

في المحرمات، فقد وقع في حمى الله ﷻ .

فلا يجوز لأحد من الناس أن يقع في محارم الله ﷻ .

قوله: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ

فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»: وهذا في دليل على أن القلب فيه صلاح الباطن،

والظاهر .

وأن القلب هو ملك الجسد وقائده، فإن كان القلب صالحًا كان سائر الجسد

كذلك، وإن كان القلب فاسدًا كان سائر الجسد كذلك .

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(١) .

وفي سنن الإمام ابن ماجه ﷺ: من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه-، قَالَ: قِيلَ

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا:

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) .

بيان أن الأحوط اجتناب المشتبهات

صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلًّا، وَلَا حَسَدًا»^(١).

يقول الله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلاَعْرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَتَعْرَفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٠)

[محمد: ٢٩-٣٠].



(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف ابن ماجه. وفي الصحيحة (٩٤٨).

بيان تعاسة عبد الدينار والدرهم

١٤٨٣ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدَّرْهَمِ، وَالْقَطِيفَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»^(١). أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان تعاسة عبد الدينار، والدرهم.

والحديث له قصة: ففي صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخَذَ بَعَنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشَعَتْ رَأْسُهُ، مُغْبِرَّةٌ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَعْ»^(٢)، وَقَالَ: «فَتَعَسَّ»: كَأَنَّهُ يَقُولُ: فَاتَّعَسَهُمُ اللَّهُ، طُوبَى: فَعَلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ، وَهِيَ يَأءُ حُوِّلَتْ إِلَى الوَاوِ وَهِيَ مِنْ يَطِيبُ " .

فالحال يحمل على احتمالين:

الأول: إما أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على من كان هذا حاله، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم مستجاب في

الغالب.

الثاني: وإما أن يكون أخبر خبراً، وخبر النبي صلى الله عليه وسلم صدق .

وشبه الحريص على جمع الدنيا بعباد الدرهم، ؛ لأنه فرط فيها خلق من أجله،

وانشغل بجمع الدراهم، والدنانير، وبالتجارة وغيرها.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٥) وزاد «والخميصة» .

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٧) .

كان الواجب عليه أن يعبد الله ﷻ، وأن لا يفرط في ذلك.

قوله: «تَعَسَ»: دعاء بالتعاسة، وهو أي سقط، والمراد هنا هلك. وقيل ضد سعد

أي شقي .

قوله: «عَبْدُ الدِّينَارِ» الدينار: هو من الذهب.

والدينار يقدر بالجرامات: بأربعة جرامات وربع.

قوله: «وَالدَّرْهَمِ» الدرهم: من الفضة.

قوله: «وَالْقَطِيفَةِ» القطيفة: هي نوع من اللباس، والأقمشة المزينة والملونة،

وتكون في الغالب غليظة وهي معروفة باسمها إلى يومنا هذا.

قوله: «إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَّ» أي: مما ذكر من حطامها رضي بالدنيا؛ لأنها مراده .

قوله: «وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»: لأن حرصه الأكبر هو في تحصيل الدنيا، ملذاتها،

ولا هم له في الدار الآخرة، وفيما يقربه من الله ﷻ بالأعمال الصالحة.

فالحديث يحث على الزهد، والورع، والحرص على ما ينفع؛ لأن الدنيا لا تدوم

لصاحبها.

📖 قال الحافظ الفتح (١١ / ٢٥٤): قَالَ بِنِ الْأَنْبَارِيِّ التَّعَسُ الشَّرُّ قَالَ تَعَالَى

فَتَعَسَا لَهُمْ أَرَادَ أَلْزَمَهُمُ الشَّرَّ وَقِيلَ التَّعَسُ الْبُعْدُ أَيُّ بُعْدًا لَهُمْ وَقَالَ غَيْرُهُ قَوْلُهُمْ تَعَسَا

لِفُلَانٍ نَقِيضُ قَوْلِهِمْ لِعَالِهِ فَتَعَسَا دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْعَثْرَةِ وَلَعَا دُعَاءٌ لَهُ بِالِانْتِقَاشِ قَوْلُهُ عَبْدُ

الدِّينَارِ أَيُّ طَالِبُهُ الْحَرِيصُ عَلَى جَمْعِهِ الْقَائِمُ عَلَى حِفْظِهِ فَكَأَنَّهُ لِدَلِكِ خَادِمُهُ وَعَبْدُهُ

قَالَ الطَّبِيُّ قِيلَ خَصَّ الْعَبْدُ بِالذِّكْرِ لِيُؤَدَّنَ بِانْغِمَاسِهِ فِي مَحَبَّةِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا كَالْأَسِيرِ

الَّذِي لَا يَجِدُ خَلَاصًا وَلَمْ يَقُلْ مَالِكُ الدِّينَارِ وَلَا جَامِعُ الدِّينَارِ لِأَنَّ الْمَذْمُومَ مِنَ الْمَلِكِ

وَالْجَمْعُ الزِّيَادَةُ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ وَقَوْلُهُ إِنْ أُعْطِيَ الْخُ يُؤَدَّنُ بِشِدَّةِ الْحَرِصِ عَلَى ذَلِكَ

وَقَالَ غَيْرُهُ جَعَلَهُ عَبْدًا لَهُمَا لِشَغَفِهِ وَحَرِصِهِ فَمَنْ كَانَ عَبْدًا لَهُوَاهُ لَمْ يَصْدُقْ فِي حَقِّهِ

بيان تعاسة عبد الدينار والدرهم

إِيَّاكَ نَعْبُدُ فَلَا يَكُونُ مَنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ صِدِّيقًا قَوْلُهُ وَالْقَطِيفَةَ هِيَ الثَّوْبُ الَّذِي لَهُ خَمْلٌ
وَالْخَمِيصَةُ الْكِسَاءُ الْمُرَبَّعُ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ بَلْفُظٍ تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ تَعَسَ
وَأَنْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا أَنْتَقَشَ وَقَوْلُهُ وَأَنْتَكَسَ أَيُّ عَاوَدَهُ الْمَرَضُ فَعَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ
تَفْسِيرِ التَّعَسِ بِالسُّقُوطِ يَكُونُ الْمُرَادُ أَنَّهُ إِذَا قَامَ مِنْ سَقَطْتِهِ عَاوَدَهُ السُّقُوطُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ
يَكُونَ الْمَعْنَى بِأَنْتَكَسَ بَعْدَ تَعَسَ انْقَلَبَ عَلَى رَأْسِهِ بَعْدَ أَنْ سَقَطَ . اهـ



بيان كون الإنسان في الدنيا غريب، أو عابر سبيل

١٤٨٤ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ - رضي الله عنه - يَقُولُ: "إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَتَنَطَّرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَتَنَطَّرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ".^(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث للحث على الزهد في الدنيا. وأن حال الإنسان في الدنيا، كحال الغريب، أو كحال العابر سبيل، إلى الدار الآخرة.

والغريب: حاله أنه لا يستقر.

فلا ينبغي لعاقل أن ينخدع بالدنيا، وأن يغتر بها؛ لأنه مهما عمر فيها سيرحل عنها، وسيترك ما ورائه لغيره.

وكذلك الغريب لا يبني له بيتاً في بلاد الناس، وإنما يحرص كل الحرص على أن يبني له بيتاً في بلده.

ونحن في هذه الحياة الدنيا غرباء، فلا ينبغي لنا أن نشغل بها، وننسى الدار الآخرة التي هي دارنا الحقيقية، يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٦٤).

ويقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَقَوْمٌ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتْعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

قوله: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِمَنْكِبِي» المنكب: ما بين الكتف والرقبة. وفعل ذلك النبي ﷺ ليكون أوقع في نصحه، وأبلغ في إيصال الفائدة إليه.

قوله: «كُنْ فِي الدُّنْيَا» أي: في عمرك اليسير الذي ستعيشه في هذه الدنيا. وسميت الدنيا ؛ لدنائتها، فهي دار تفتنى ولا تبقى لأهلها وقيل سميت بذلك لقرنها.

قوله: «كَأَنَّكَ غَرِيبٌ» أي: غير موطنه، فالإنسان في الدنيا غريب؛ لأنها ليست بدار مقام له، وإنما هي دار ممر إلى الدار الحقيقية، الدار الآخرة، دار الحيوان. فمهما عمر الإنسان في الدنيا لا بد له من الموت، والرحيل عنها.

قوله: «أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» أي: المسافر في الطريق يعبرها إلى غيرها، فعابر السبيل لا يلتفت إلى ما فاته؛ لأنه يعلم أنه سيجد بغيته في أمامه، في البلد التي هو إليها.

وفي سنن الإمام الترمذي ﷺ: من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: "نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً"، فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»^(١).

وفي مستدرک الحاكم ﷺ: من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «اغْتَنِمْ حَمْسًا قَبْلَ حَمْسٍ: سَبَابَكَ قَبْلَ هِرْمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح السنن.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدرکه (٧٨٤٦)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح الترغيب والترهيب

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نِعْمَتَانِ مَغْبُوتُونَ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(١).

قوله: «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ» أي: أن ابن عمر رضي الله عنهما أخذ بوصية النبي صلى الله عليه وسلم، وعمل بها، وزاد عليها هذه الكلمات.

قوله: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَتَنظَّرِ الصَّبَاحَ» أي: لعل الموت يأتيك وأنت نائم في ليلك. وكما قيل:

الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

قوله: «وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَتَنظَّرِ الْمَسَاءَ» أي: لعل الموت، يأتيك وأنت في نهارك. فلا بد أن تستعد له بالأعمال الصالحة، وبما يقربك من رضوان الله تعالى عنك، ويبعدك من عذابه، ومن ناره، وعقابه، يقول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْجِرُونَ﴾^(٢٤)، ويقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بِيَتَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾^(١٧) أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾^(١٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١٩) [الأعراف: ٩٧-٩٩].

قوله: «وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقْمِكَ» أي: استغل صحتك، ونشاطك، وأيام قوتك، وفراغك، في طاعة الله تعالى، وتزود من الأعمال الصالحة بقدر ما تستطيع. فلعل الله تعالى أن يبتليك بمرض، أو سقم، أو شغل، فلا تستطيع بعد أن تفعل كما كنت في قوتك، ونشاطك، وصحتك، وفراغك.

ومن كان في حال صحته وحال فراغه وحال شبابه وقوته في طاعة الله تعالى كان على خير عظيم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٢).

فإذا قدر الله ﷻ عليه بمرض، أو بشغل، أو كبر سن وضعف؛ فإن الله ﷻ يكتب له فضله، وكرمه، وإحسانه، وجوده، ما كان يعمل من الأعمال الصالحة وهو في حال صحته، وقوته وشبابه، وحال فراغه.

ففي صحيح الإمام البخاري ﷺ: من حديث أبي موسى - ﷺ - يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا»^(١).

قوله: «وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» أي: وخذ من حياتك عملاً ينفعك بعد موتك.

لأن الموت يقطع على الإنسان عمله الصالح، إلا ما كان من صدقة جارية، أو دعاء ولد صالح، أو علم ينتفع به وما في باب ذلك من أعمال البر.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي هريرة - ﷺ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي هريرة - ﷺ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا»^(٣).

ويقول الله ﷻ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي

شَكِّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾

ويقول الله ﷻ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ

يُجْزَاهُ الْجِزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ [النجم: ٣٩-٤١]، والله المستعان.

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٨٢).

بيان النهي عن التشبه بالكفار وبالمشركين

١٤٨٥ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ جِبَّانَ).

شرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان النهي عن التشبه بالكافرين، وبالمشركين، ولتحريم ذلك.

وظاهر الحديث أن المتشبه بالكافرين والمشركين لا يخلو حاله عن أمرين:
الأمر الأول: أن يتشبه بهم، وهو يحبهم، ويعظمهم، ويفضلهم على المسلمين، فهذا يعتبر ردة عن دين الإسلام، وكفره هنا كفر أكبر.

الأمر الثاني: أن يتشبه بهم، وهو لا يرى تفضيلهم على المسلمين، ولا يرى الحب والتعظيم لهم، وإنما لرغبة في الملبس.
فهذا لا يكفر، ولكنه يكون مرتكباً لكبيرة من الكبائر؛ للوعيد المذكور في الحديث.

فالنبي صلى الله عليه وسلم جعل المتشبه بالكفار منهم.
والحديث ليس على إطلاقه، وإنما يرجع إلى حال المتشبه بهم.
وكذلك التشبه بهم في عقائدهم الشركية والكفرية فإنه يكفر بالله صلى الله عليه وسلم.
والتشبه بالكفار حرمه الله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد (٥١١٤)، وفي سننه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان له مناكير.

وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في الإرواء (١٢٦٩).

﴿ ٣١ ﴾ مِنَ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿ ٣٢ ﴾

[الروم: ٣١-٣٢]..

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَأَنْ أَقْرَبُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

فالأدلة عامة في النهي عن التشبه بهم في كل شيء يخص المشركين، والكافرين، فلا يجوز للمسلم أن يكون منهم، ولا مثلهم، ولا على طريقتهم. لا في عقائدهم الشركية والكفرية، ولا في مآكلهم، ومشاربهم، ولا في ملابسهم، وعاداتهم، ولا في أعيادهم، أو شيء مما يخصهم. بل يجب على المسلم أن يعتز بدينه، وأن يتميز عنهم في كل شيء يستطيع أن يتميز عنهم به.

يقول الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ

يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ .

وقد علم اليهود من حال النبي ﷺ ذلك حتى صرحوا به، ففي حديث أنسٍ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةَ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى

فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ» فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ، فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَعَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ فَقَالَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَلَا نُجَامِعُهُنَّ؟ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى ظَنْنَا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا، فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةً مِنْ لَبَنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا

فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفَا أَن لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا « أخرجهم مسلم ^(١) .

ونهى ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها، لسد ذرائع التشبه بالكافرين والمشركين؛ فإنها ساعة يقصدها الكفار بالصلاة.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث عمرو بن عبسة السلمي ﷺ وفيه قال: «فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرَّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ...» ^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه-، أَخْبَرَهُ، قَالَ: «رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعْصَفَرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا» ^(٣).

وفي رواية أخرى لمسلم: «أَأْمُرُكَ بِهَذَا؟» قُلْتُ: أَعْسَلُهُمَا، قَالَ: «بَلْ أَحْرَقُهُمَا».

قد تكلمنا على هذه المسألة بتوسع في كتاب: "الأدلة الرضوية في حكم الديمقراطية".

(١) أخرجهم مسلم (٣٠٢).

(٢) أخرجهم مسلم (٨٣٢).

(٣) أخرجهم مسلم (٢٠٧٧).

بيان النهي عن التشبه بالكفار والمشركين

إذ أن الناس قد تشبهوا بالكفار في أكل الربا، ولباس البناطيل، وحلق شعورهم، ولحاهم، وفي كثير من الأحكام الشرعية، مثل التحزب، والانتخابات، والديمقراطية، ومساواة المرأة بالرجل، وفي كثير من شؤون حياتهم.

قوله: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ»: المتشبه بالكفار والمشركين على أقل الأحوال حاله أنه واقع في كبيرة من كبائر الذنوب .

ما لم يصل به الحال إلى حبهم، وتفضيلهم على المسلمين، وتعظيمهم، والتشبه بهم في عقائدهم الكفرية، وعباداتهم؛ فهنا يكون قد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة، ووقع في الردة، والعياذ بالله ﷻ.



بيان وجوب مراقبة الله ﷻ في السر وفي العلن

١٤٨٦ - (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ! احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَحِدُهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ).

الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان وجوب مراقبة الله ﷻ في السر، وفي العلن. وللحديث تمة ولفظه من سنن الإمام الترمذي: من حديث ابن عباسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمَكُ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَحِدُهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

قوله: «كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمًا» أي: رديفا للنبي ﷺ حيث أُرِدْفَهُ عَلَى

حمار.

وقد أُرِدْفَ النَّبِيَّ ﷺ جماعة من الصحابة رضي الله عنهم .

منهم: عبد الله بن عباس وأخوه الفضل وأسامة بن زيد ومعاذ بن جبل وعبد الله بن جعفر والحسن والحسين رضي الله عنهم، وغيرهم .

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٢٦٦٩)، وسنده صحيح، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي (٢٥١٦)، والإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (٦٨٥)، وشيخنا الحجوري في المبادئ المفيدة.

ففيه: تواضع النبي ﷺ وركوبه للحمار.

وفيه: جواز الإرداف في الركوب على الحمار، وأن هذا ليس من الظلم في حق الحمار؛ إذا كان لا يشق عليه .

قوله: فَقَالَ: «يَا غُلَامُ!»: قالها للتنبيه، والغلام يطلق على الصغير وما فوق البلوغ أيضاً .

قوله: " احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ " أي: احفظ دين الله ﷻ: بفعل أو امره، واجتناب نواهيها، والوقوف عند حدوده.

يحفظك الله ﷻ: في منشطك، ومكرهك، وجميع شأنك.

وإلا فإن الله ﷻ غني عن طاعة عباده، ولا تضره معصيتهم .

يقول الله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ

يَذْهَبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ [فاطر: ١٥-١٧]..

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي ذرٍّ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي

فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ
الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَيْهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا،
فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ^(١). قَالَ سَعِيدٌ: "كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ
الْخَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ".

فإذا حفظت دين الله ﷻ، فإن الله ﷻ يحفظك من بين يديك، وخلفك، يحفظك في
عقيدتك، وأخلاقك، يحفظك في جميع أعمالك.

قوله: «أَحْفَظِ اللَّهَ تَحِدُهُ تُجَاهَكَ» أي: احفظ حدود الله ﷻ، فالمأمور بفعله
وامتثاله، واحفظ المحظور بتركه واجتنابه، تجد الله ﷻ تجاهك، في كل وقت، وحين،
يحفظك ويرعاك ويسدك ويعينك.

قوله: «وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ» أي: لا تجعل قلبك يتعلق بغير الله ﷻ أبدًا، وإنما
علقه بالله ﷻ في كل شيء تحتاج إليه من أمور الدين، والدنيا، وأمور الآخرة.
فلا تسأل أحدًا غير الله ﷻ مهما يكن هذا الشيء، ولو كان حقيرًا؛ فإن هذا علامة
على حسن الظن بالله ﷻ، وعلى كمال الإيمان بالله ﷻ، وكمال التوكل على الله ﷻ،
وكمال اليقين بالله ﷻ.

يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

وفي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث أبي جريّ جابر بن سليم، قال: رأيت رجلاً يصدّر الناس عن رأيه، لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله، قلت: عليك السلام يا رسول الله، مرتين، قال: " لا تقل: عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت، قل: السلام عليك " قال: قلت: أنت رسول الله؟ قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضرٌّ فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عامٌ سنة فدعوته، أنبتّها لك، وإذا كنت بأرض قفراء - أو فلاة - فصلت رحلتك فدعوته، ردّها عليك»، قال: قلت: اعهد إليّ، قال: «لا تسبّ أحدًا» قال: فما سببت بعده حراً، ولا عبداً، ولا بعيراً، ولا شاةً، قال: «ولا تحقرن شيئاً من المعروف، وأن تكلم أخاك وأنت مُنبسطٌ إليه وجهك إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإيّاك وإسبال الأزار، فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك، فلا تُعيره بما تعلم فيه، فإنما وبأل ذلك عليه»^(١).

وفي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث سلمان الفارسي - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه، أن يردهما صفراً»^(٢).

قوله: «وإذا استعنت فاستعن بالله» الاستعانة: هي طلب العون.

والاستعانة لا تكون إلا بالله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ومن صرفها لغير الله

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٨٤). وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف أبي داود، وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي رضي الله عنه (١٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وصححه الإمام الألباني

رضي الله عنه في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٣٥).

ﷺ فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة.

﴿ بيان جواز الاستعانة بالمخلوق: ﴾

وتجوز الاستعانة بالمخلوق إذا تحقق فيها ثلاثة شروط:

الأول: أن تكون فيما يقدر عليه المخلوق.

الثاني: أن يكون المخلوق حيًّا. **الثالث:** أن يكون المخلوق حاضرًا.

فإن كان المستعان به من المخلوقين غائبًا، أو ميتًا، أو عاجزًا، واستعان به أحد الناس في شيء يقدر عليه المخلوق، فهذا يدل على سفه في عقله، وعلى أنه يعتقد فيه أن له تأثيرًا في الكون، فهذا أيضًا من الشرك؛ لأن يعتقد أنه ينفع ويضر مع الله ﷻ، أو من دون الله ﷻ.

فالذي ينبغي لنا أن نستعين بالله ﷻ، ونطلب العون منه في جميع شؤون حياتنا: في عبادتنا، وفي معاملاتنا، وفي كل شأننا.

يقول الله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

أي: نستعين بك يا ربنا على أداء عبادتنا لك.

والباء في البسمة للاستعانة، فأنت تقول: "بسم الله الرحمن الرحيم".

أي: استعين بالله ﷻ في البدء فيما أريد أن أفعل، فإن كنت في القراءة، يكون المعنى: استعين بالله ﷻ في قراءتي، أو في كتابتي، أو في تأليفي، وهكذا.

ويقول الله ﷻ: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٢٨).

ويستعان بفعل طاعة الله ﷻ على كثير من النوائب.

يقول الله ﷻ: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥).

ويقول الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

وفي سنن الإمام الترمذي ﷺ وغيره: من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو يَقُولُ: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَرًا، لَكَ ذَكَرًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطْوَعًا، لَكَ مُحِبًّا، إِلَيْكَ أَوَاهَا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَتَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْأَلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي»^(١).

وفي سنن الإمام أبي داود ﷺ: من طريق أبي عبد الرحمن الحبلي، عَنِ الصُّنَابِحِيِّ، عَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٢)، "وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذُ الصُّنَابِحِيِّ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ".

وقد أحسن من قال:

فأول ما يجني عليه اجتهاده

إذا لم يكن عون من الله على الفتى



(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥١)، وأبو داود (١٥١٠)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، وصححه الإمام الألباني ﷺ

في صحيح السنن.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والترمذي (١٣٠٣)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح السنن.

بيان فضل الزهد في الدنيا

١٤٨٧ - (وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ. فَقَالَ: «أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»^(١). رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ، وَسَنَدُهُ حَسَنٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان فضل الزهد في الدنيا.

قوله: «وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ»: هو سهل بن سعد بن مالك الساعدي، هو وأبوه صحبايان رضي الله عنهما.

قوله: «قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!» فيه: سؤال أهل العلم، وحرص الصحابة رضي الله عنهم على الخير، ومعرفة طرق محبة الله ﷻ.

قوله: «دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ». فيه: إثبات صفة المحبة لله ﷻ.

وفيه: أن الإنسان يحرص على محبة الناس له بالأعمال الصالحة، وفيما لا يسخط الله ﷻ عنه.

وبدون أن يقع في مدهانة لهم على الباطل، وأن يقرهم على الخطأ أو يتنازل عن

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، وسنده شبه موضوع، من طريق خالد بن عمرو بن محمد القرشي، كذبه بعضهم، وحسنه غير واحد: "كالنووي، والعراقي، والهيشمي، والألباني". وذكر الحافظ ابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم طرقه: "ورجح أنه ضعيف". وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة (٩٤٤).

الحق والشرع .

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِدًّا

٩٦﴾ .

ويقول الله ﷻ مخبراً لنا عن دعوة أئينا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَجْعَلِ لِي لِسَانَ صِدْقٍ

فِي الْآخِرِينَ ٨٤﴾ .

وفي الصحيحين، واللفظ لمسلم: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَجِبَّهُ، قَالَ: فَيَجِبُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَجِبُّهُ، فَيَجِبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُهُ، قَالَ فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»^(١).

قوله: "فَقَالَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا»" أي: كن زاهداً عن الدنيا، وملذاتها، وشهواتها، وعن كل شيء يلهيك عن اغتنام العمر في طاعة الله ﷻ.

قوله: «يُحِبُّكَ اللَّهُ»: لأن التعلق بالدنيا سبب من الأسباب التي تبعد الإنسان عن طريق الاستقامة عن شرع الله ﷻ.

ولذلك إذا ابتعد الإنسان عن الدنيا، وزهد فيها، أحبه الله ﷻ؛ إذ أنه سيكون قريباً من الله ﷻ بالأعمال الصالحة، والمسارة، والمسابقة، والمبادرة، بالخيرات، وفيما يقربه من الله ﷻ.

وفي سنن الإمام ابن ماجه ﷺ: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ

(١) أخرجه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧)، واللفظ لمسلم.

بيان فضل الزهد في الدنيا

الله ﷻ، وَهُوَ يَقُولُ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذَكَرَ اللَّهَ، وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا»^(١).

وفي سنن الإمام الترمذي ﷺ: من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»^(٢).

قوله: «وَأَزْهَدُ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ» أي: ازهد عما في أيدي الناس، ولا تنافسهم، ولا تسابقهم في دنياهم، واترك أموالهم، ومناصبهم، وتجاراتهم. فإذا فعلت ذلك أحبك الناس، وعلموا أنك لست من أصحاب الدنيا، وليست همتك في الدنيا، وإنما أنت تريد رضا الله ﷻ، وتريد جنته.

اجعل منافستك في أمور الآخرة، وأعمال الخير التي تقربك من الله ﷻ. فكم من إنسان يكون محبًا، ومقدرًا لك، ويجعلك فوق رأسه؛ فإذا ما سألت ماله، أو حصل منك شيء يدل على أنك تحب الدنيا، فإذا به يتنكر لك. فكل ما كان الإنسان مستغنياً بالله ﷻ عن الخلق، كان محبوباً إلى الله ﷻ، وإلى عباد الله ﷻ الصالحين.

ففي الصحيحين: من حديث حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنَى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ»^(٣).

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١١٢)، وأخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وحسنه الإمام الألباني ﷺ في صحيح السنن.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١١٠)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح السنن.

(٣) أخرجه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤).

بيان فضل الزهد في الدنيا

وفي الصحيحين: من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(١).

وإذا حصل المؤمن بشارة بالخير، فهذه عاجل بشرى المؤمن.

ففي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»^(٢).



(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٤٢).

بيان بعض الذين يحبهم الله ﷺ

١٤٨٨ - (وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان بعض الذين يحبهم الله ﷺ.

فمن كان متقياً لله ﷻ بفعل أو امره، ومجتنباً لنواهيه.

ومن كان غنياً بالله ﷻ، ومستغنياً عما سواه من خلقه.

ومن كان خفياً في عبادته، ولا يحب الثناء، ولا المدح، ولا يحب الرياء والسمعة،

فهذا هو المحبوب عند الله ﷻ.

وللحديث قصة في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من طريق عامر بن سعد، قال: كَانَ

سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَأَهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ

شَرِّ هَذَا الرَّأكِبِ، فَزَلَّ فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتِ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتِ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ

الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضْرَبَ سَعْدٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،

يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ».

قوله: «سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»: هو سعد بن مالك رحمه الله أحد العشرة المبشرين

بالجنة.

قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ» فيه: إثبات صفة المحبة لله ﷻ، وهي من الصفات الفعلية،

التي يفعلها الله ﷻ متى شاء، وكيف شاء، فهي متعلقة بمشيئته.

وهي صفة تليق بالله ﷻ من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

بيان بعض الذين يجهم الله

تحريف، يقول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١).

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ يُحِبُّ، وَيُحِبُّ من عباده المؤمنين.

يقول الله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ﴾ (٥٤) [المائدة: ٥٤].

قوله: «العبد» أي العبد المؤمن: سواء كان من الرجال، أو النساء، وسواء كان من الأحرار، أو العبيد.

قوله: «التَّقِيَّ»: الذي جعل بينه وبين عذاب الله ﷻ وقاية بفعل أوامر الله ﷻ، وباجتناب نواهيه.

وحقيقة التقوى: هي فعل المأمور، وترك المحذور.

يقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِّن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِّنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٩﴾﴾.

والتقوى: سبب للفلاح في الدنيا، وفي الآخرة، يقول الله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ .

ويقول الله ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَيِّجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ .

قوله: «الغني» ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى عَنِ النَّفْسِ»^(١).

قوله: «الخفي»: وهو الذي يخفي أعمال الصالحة عن الناس .

وإن ظهر منها شيء فيكون ذلك بدون قصد منه للمرأة ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّتَا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(٢).

جاء في الصحيحين: من حديث جندب -رضي الله عنه- قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦).

بيان بعض الذين يحبهم الله

مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ»^(١).

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ -رحمه الله-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَآءُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»^(٢).



(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله (٩٥١).

بيان أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه

١٤٨٩ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَسَّنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ، تَرَكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»^(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَسَنٌ»).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. والحديث من مراسيل علي بن الحسين.

قال الإمام الترمذي رحمه الله في سننه (٢٣١٨): وَهَكَذَا رَوَى غَيْرٌ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ الزُّهْرِيِّ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ حَدِيثِ مَالِكٍ مُرْسَلًا.

وَهَذَا عِنْدَنَا أَصْحَحُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .
ثم قال رحمه الله: «وَعَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ لَمْ يُدْرِكْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ».

لكن الحديث كأنه من مشكاة النبوة، فمعناه صحيح؛ فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، والحال كما قال بعضهم:

(من تدخل فيما لا يعنيه، وجد ما لا يرضيه)

وأكثر أسبابه للشر الذي يقع في العالم التدخل فيما لا يعنيه.

وإلا لو لزم كل إنسان ما كلف به من العبادة، ومن الأعمال، ولم يتدخل فيما لا

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧) وقال «غريب». وهو حديث ضعيف، الراجح فيه الإرسال من طريق قره بن عبد الرحمن وهو ضعيف، وقد خالفه الحفاظ فرووه عن الزهري عن علي بن الحسين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن (٣٩٧٦)، وفي الترغيب والترهيب (٢٨٨١).

يعنيه، وترك الفضول في العمل والقول، لحصل خير عظيم لا يعلم به إلا الله ﷻ .
وقد قيل في هذا الحديث:

عمدة الدين عندنا كلمات أربع من كلام خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعينك واعملن بنية

قوله: «اتق الشبهات»: يراد به حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه السابق .

قوله: «وازهد»: يراد به حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه المتقدم معنا.

قوله: «ودع ما ليس يعينك»: يراد به حديث الباب .

قوله: «واعملن بنية»: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الصحيحين: «إنما الأعمال

بالنيات».

قوله: «من حسن إسلام المرء، تركه ما لا يعنيه»: فمن ترك ما لا يعنيه، كان

إسلامه حسنًا، وكان دينه عظيمًا، وإيمانه قويًا، بإذن الله ﷻ .

📖 قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١ / ٢٨٨): مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ:

أَنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِهِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، وَاقْتَصَرَ عَلَى مَا يَعْنِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ؛ وَمَعْنَى يَعْنِيهِ: أَنَّهُ تَتَعَلَّقُ عِنَايَتُهُ بِهِ، وَيَكُونُ مِنْ مَقْصِدِهِ وَمَطْلُوبِهِ، وَالْعِنَايَةُ:

شِدَّةُ الْإِهْتِمَامِ بِالشَّيْءِ، يُقَالُ عَنَاهُ يَعْنِيهِ: إِذَا اهْتَمَّ بِهِ وَطَلَبَهُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَتْرُكُ مَا لَا عِنَايَةَ لَهُ بِهِ وَلَا إِرَادَةَ بِحُكْمِ الْهَوَى وَطَلَبِ النَّفْسِ، بَلْ بِحُكْمِ الشَّرْعِ وَالْإِسْلَامِ وَلِهَذَا

جَعَلَهُ مِنْ حُسْنِ الْإِسْلَامِ، فَإِذَا حَسَنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ، تَرَكَ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَقْتَضِي فِعْلَ الْوَاجِبَاتِ.. وَإِنَّ الْإِسْلَامَ الْكَامِلَ

الْمَمْدُوحَ يَدْخُلُ فِيهِ تَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ، كَمَا قَالَ رضي الله عنه: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ

لِسَانِهِ وَيَدِهِ» وَإِذَا حَسَنَ الْإِسْلَامَ، اقْتَضَى تَرْكَ مَا لَا يَعْنِيهِ كُلُّهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ

وَالْمُسْتَبْهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَفُضُولِ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، فَإِنَّ هَذَا كُلُّهُ لَا

بيان أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه

يَعْنِي الْمُسْلِمَ إِذَا كَمَلَ إِسْلَامُهُ، وَبَلَغَ إِلَى دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ، وَهُوَ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ تَعَالَى كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، فَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَى اسْتِحْضَارِ قُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ بِقَلْبِهِ، أَوْ عَلَى اسْتِحْضَارِ قُرْبِ اللَّهِ مِنْهُ وَاطَّلَاعِهِ عَلَيْهِ، فَقَدْ حَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَلَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتْرَكَ كُلَّ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَيَسْتَعْلَبَ بِمَا يَعْنِيهِ فِيهِ، فَإِنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْ هَدَيْنِ الْمَقَامَيْنِ الْإِسْتِحْيَاءِ مِنَ اللَّهِ وَتَرْكِ كُلِّ مَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ كَمَا وَصَّى ﷺ رَجُلًا أَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنَ اللَّهِ كَمَا يَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ صَالِحِي عَشِيرَتِهِ لَا يُفَارِقُهُ. وَفِي " الْمُسْنَدِ " وَالتِّرْمِذِيِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: " «الْإِسْتِحْيَاءُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى، وَلِتَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» ". اهـ



بيان النهي عن كثرة الأكل

١٤٩٠ - (وَعَنْ الْمُقَدِّمِ بْنِ مَعْدِي كَرَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان النهي عن كثرة الأكل. وللحديث تنمة كما في سنن الترمذي رحمه الله: «بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنَ صَلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالََةَ فُتِلَتْ لِبَطْنِهِ وَتُلْتُ لِشَرَابِهِ وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ».

قوله «المقدم بن معدي كرب» أبو كريمة الكندي الشامي سمع النبي ﷺ روى عنه خالد بن معدان في البيوع قال الذهلي وقال ابن بكير مات سنة سبع وثمانين سنة إحدى وسبعون وقال عمرو بن علي مات سنة سبع وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة.

قوله: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ»: الحديث فيه أن البطن سبب لكثير من الأدواء.

فكلما امتلأ البطن سمن الجسم، وضعف العقل.

وفي المثل العربي: "البطنة تذهب الفطنة".

وكثير من الناس يكثرون نومهم بسبب ملوئه لبطنه.

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠)، وزاد: «بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنَ صَلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالََةَ فُتِلَتْ لِبَطْنِهِ، وَتُلْتُ لِشَرَابِهِ، وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ». من طريق يحيى بن جابر الطائي عن المقدم، والحديث ضعيف؛ للانقطاع بين يحيى بن جابر الطائي والمقدم. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء (١٩٨٣)، وضعفه شيخنا الوادعي رحمه الله في أحاديث معلة ظاهرها الصحة (٣٩٥).

بيان النهي عن كثرة الأكل

قوله: « فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلُتْ لِبَطْنِهِ وَتُلُتْ لِبَطْنِهِ وَتُلُتْ لِنَفْسِهِ » أي: أن الإنسان يجعل الأكل بقدر الثلث، والشراب بقدره، ويجعل في البطن متسعاً للنفس، والهواء بقدره؛ حتى لا تتعب المعدة.
وقد قيل: "المعدة بيت الداء".

فكثرة الأكل، وكثرة الشرب؛ متعب جداً للإنسان.
وكذلك يسبب الكسل والخمول والفتور في العبادات، وفي الطاعات؛ فلهذا ينبغي لكل عاقل أن يجعل طعامه وشرابه بقدر، ولا يأكل كثيراً حتى يتسبب له الأكل في التخمة، وفي الأمراض المتعبة.



بيان الحث على التوبة من كل ذنب

١٤٩١ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَسَنَدُهُ قَوِيٌّ).

شرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان أن خير بني آدم التوابون من أخطائهم. حديث الباب فيه ضعف، ومعناه صحيح.

ويشهد له ما جاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي ذرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ".

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي موسى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ، وَيَسْطُرُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَدَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله أيضًا: من حديث أبي أيوب الأنصاري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، من طريق علي بن مسعدة عن قتادة عن أنس به. وعلي بن مسعدة ضعيف، وحديثه غير محفوظ كما جزم بذلك ابن عدي في ترجمته من الكامل. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن (٤٢٥١)، وحسنه في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٣٩)، وفي المشكاة (٢٣٤١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

بيان الحث على التوبة من كل ذنب

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ، قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَكُمْ، لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا لَهُمْ»^(١).

قوله: «كُلُّ» كل: من ألفاظ العموم.

إلا من عصمه الله من الذنوب، ومن المعاصي .

قوله: «بَنِي آدَمَ خَطَاءً»: وهذا هو الأصل في بني آدم أنهم يقعون في الأخطاء، والذنوب، والمعاصي، إلا من عصمه الله ﷻ، وسدده، ووقفه.

قوله: «وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَابُونَ» أي: أن التوابين من أفضل بني آدم، وخيرهم .
فلهذا ينبغي لمن وقع في ذنب، أو معصية، أن يبادر إلى التوبة، والإنابة، والرجوع إلى الله ﷻ.

يقول الله ﷻ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾^(٨٢).

فبين الله ﷻ لنا في هذه الآية الكريمة أن مغفرته يشترط له أربعة شروط:

الأول: التوبة النصوح التي يتحقق فيها شروط التوبة المعروفة.

الثاني: الإيمان بالله ﷻ.

الثالث: فعل الصالحات، والإكثار من ذلك؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات.

كما في قول الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُلًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ

السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكِرِينَ﴾^(١١٤).

الرابع: سلوك طريق الهداية، وهي طريق الكتاب والسنة.

يقول الله ﷻ: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣١)

[النور: ٣١].

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٨).

بيان الحث على التوبة من كل ذنب

ويقول الله ﷻ: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣ ﴾ .

ويقول الله ﷻ: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝٦٠ ﴾ [مريم: ٥٩-٦٠] .

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٧٠ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝٧١ ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧١] .

فيجب على الإنسان أن يكون مبادرًا إلى التوبة، رجاعًا إلى الله ﷻ.

بيان شروط التوبة النصوح:

الشرط الأول: الإخلاص لله ﷻ في توبته وذلك أن التوبة عبادة لله ﷻ، والعبادة لا تقبل إلا من مخلص، يقول الله ﷻ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَامَةِ ۝٥ ﴾ .

وفي الصحيحين: من حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَانُؤِي، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) أخرجه البخاري (١، ٥٤)، ومسلم (١٩٠٧).

بيان الحث على التوبة من كل ذنب

ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُعْرِضْ»^(١).

وقد قال الله ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا أَنَا مُنظَرُونَ ﴿١٥٨﴾

الشرط الثالث: الإقلاع عن الذنب بالكلية.

لأن التوبة من الذنب مع الاستمرار فيه، يدل على تهاون العبد بهذا الذنب.

الشرط الرابع: الندم على فعل الذنب.

الشرط الخامس: العزم على أن لا يعود إلى الذنب مرة أخرى.

وهذه الشروط في التوبة من الذنوب بين العبد وبين الله ﷻ.

وأما في حقوق الناس فيزداد إلى الشروط شرط سادس.

الشرط السادس: أن يرد المظالم إلى أهلها.

لأن حقوق الناس مبنية على المشاحة، فلا بد من المسامحة والتحلل، وإرجاع

الحقوق والمظالم إلى أهلها.

أما حق الله ﷻ فهو مبني على المسامحة، فمن تاب إلى الله ﷻ تاب الله ﷻ عليه.

بيان كيفية التوبة من البدع ومن الضلال ومن الزينج ومن الانحراف:

وإن كان الذنب بدعة، فيضاف إلى ما سبق شرط سابع:

الشرط السابع وهو: شرط الإصلاح.

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

بيان الحث على التوبة من كل ذنب

الشرط الثامن: التبيين والبيان.

حتى لا يتبعه أحد من المسلمين على ضلال، وبدعته، وزيغته، وانحرافه.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ

فِي الْكِتَابِ الْأُولِيِّكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعُنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا

فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ [سورة البقرة: ١٥٩-١٦٠]..

بيان كيفية التوبة من النفاق:

وإن كانت التوبة من النفاق الاعتقادي، الأكبر، المخرج لصاحبه من ملة الإسلام.

فلا بد من إضافة شروط أخرى، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ

النَّارِ وَلَنْ يُجَدَّ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ

لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ

بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٧]..

فتضمنت الآية شروط ثلاثة بعد شروط التوبة وهي:

الأول: الإصلاح الثاني: الاعتصام بالله ﷻ ودينه .

الثالث: الإخلاص لدين الله ﷻ .

فإن كانت المعصية شركاً، أو كفراً، أو ردة عن دين الإسلام.

فالتوبة تكون بالإسلام، يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ

لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقد استوعبت الكلام عن هذه الشروط في كتابي: شروط التوبة إلى الله ﷻ، والله

الحمد والمنة .



بيان فضل الصمت

١٤٩٢ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّمْتُ حَكْمٌ، وَقَلِيلٌ فَاعِلَةٌ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ. وَصَحَّحَ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ مِنْ قَوْلِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ^(٢)).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان فضل الصمت.

وهذا من قول لقمان الحكيم رحمه الله، والمنقول عنه كثيراً من الحكم.

ومنها ما قصه الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۗ وَهُوَ يُعْطِيهِ ۗ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۗ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ۝١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَنَزُّؤِي إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٥﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦﴾ يَبْنَىٰ أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٥٠٢٧)، وضعفه الإمام

الألباني رحمه الله في الضعيفة (٢٤٢٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في «روضة العقلاء» ص (٤١)، والحاكم (٣٥٨٢)، والبيهقي في «الشعب»

(٤٦٧١).

بيان فضل الصمت

وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١١﴾ [سورة لقمان: ١٢-١٩]..

وبعضها مذكورة في سنة النبي ﷺ.

ففي مسند الإمام أحمد رحمته: من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِقْمَانَ الْحَكِيمَ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ»^(١).

وما يذكر عن لقمان الحكيم رحمته:

ما أخرجه الإمام ابن شيبه في مصنفه: من طريق حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ أَبِي الْأَشْهَبِ، قَالَ: حَدَّثَنِي، خَالِدُ بْنُ ثَابِتِ الرَّبِيعِيِّ، قَالَ جَعْفَرٌ: وَكَانَ يَقْرَأُ الْكُتُبَ: "أَنَّ لِقْمَانَ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَجَارًا، وَأَنَّ سَيِّدَهُ قَالَ لَهُ: ادْبَحْ لِي شَاءً، قَالَ: فَذَبَحَ لَهُ شَاءً فَقَالَ: اتَّيَّنِي بِأَطْيَبِهَا مُضْغَتَيْنِ، فَأَتَاهُ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، قَالَ: فَقَالَ: مَا كَانَ فِيهَا شَيْءٌ أَطْيَبَ مِنْ هَذَيْنِ؟ قَالَ: لَا، فَسَكَتَ عَنْهُ مَا سَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: ادْبَحْ لِي شَاءً، فَذَبَحَ لَهُ شَاءً قَالَ: أَلِّقْ أَخْبَثَهَا مُضْغَتَيْنِ، فَأَلَّقَى اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ، فَقَالَ لَهُ: قُلْتُ لَكَ اتَّيَّنِي بِأَطْيَبِهَا، فَأَتَيْتَنِي بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، ثُمَّ قُلْتُ لَكَ: أَلِّقْ أَخْبَثَهَا مُضْغَتَيْنِ، فَأَلَّقَيْتُ اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ، قَالَ: "لَيْسَ شَيْءٌ أَطْيَبَ مِنْهُمَا إِذَا طَابَا وَلَا أَخْبَثَ مِنْهُمَا إِذَا خُبْنَا"^(٢).

ومن شأنه أن سورة في القرآن سميت باسمه: "سورة لقمان".

قوله: «الصَّمْتُ حِكْمَةٌ»: الصمت عن كل شر، ومحرم أفضل من النطق بالشر.

ولكن النطق بالخير خير وأفضل من الصمت.

ولكن ينبغي للعاقل أن يعود نفسه الصمت؛ إلا إذا كان سيأمر بالمعروف، أو ينهى

عن المنكر وما في بابه من العالم، أو نفسه.

والصمت عن النطق بالشر، أو الكذب، والغيبة، والنميمة، غير ذلك من الذنوب

(١) أخرجه أحمد (٥٦٠٥)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمته (٢٥٤٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (٣٤٢٩٤).

بيان فضل الصمت

والمعاصي، يعتبر نجاة من الإثم .

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُتَّقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(١).

فبين النبي ﷺ أن النطق بالخير خير من الصمت عن الخير؛ لأن الإنسان إذا وجب وتعين عليه الأمر بالعروف، والنهي عن المنكر، وهو قادر على ذلك وصمت عن ذلك أثم.

بينما إذا كان الكلام ليس من الخير، فالصمت يكون في مثل هذه الحالة خير من الكلام.

❦ وإذا لم يتين للإنسان ولم يترجح له هل الكلام خير، أم غير خير؟

فهنا نقول له: اصمت؛ حتى يتبين لك أنه خير، فعند ذلك تكلم به، وإلا فلا؛ لما جاء في الحديث.

فلا يجوز للإنسان أن يتحدث، ولا يجوز له أن يتكلم إلا إذا كان كلامه خير، وفي كلامه النفع للغير، وإلا فلا يتكلم.

ولكن الصمت عن الشر نجاة من الإثم.

كما جاء في سنن الإمام الترمذي رحمته الله: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا»^(٢).

ثم قال رحمته الله: " هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لَهِيْعَةَ.

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٠١)، وصححه الإمام الألباني رحمته الله في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٧٤)،

وفي صحيح وضعيف الترمذي. وهو في الصحيحة (٥٣٦).

بيان فضل الصمت

وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيُّ هُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُزَيْدٍ."

ولما أخرج الحاكم في مستدركه رحمه الله: من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَصْحَابُهُ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ - رضي الله عنه - : "فَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَيَّ فِيهِ قَالَ: «الصَّمْتُ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ» قَالَ: وَهَلْ نُوَآخِذُ بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ أَلَسِتُنَا؟ قَالَ: فَضْرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَخِذَ مُعَاذٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ ثَكَلْتُكَ أُمَّكَ - أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ - وَهَلْ يَكْبُّ النَّاسِ عَلَى مَنَآخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا مَا نَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ عَن شَرٍّ، قُولُوا خَيْرًا تَعْنُمُوا وَاسْكُتُوا عَن شَرٍّ تَسْلُمُوا»^(١).

قوله: «وَقَلِيلٌ فَاعِلَةٌ» أي: أن قليل من الناس الذي يلتزم الصمت عن الشر.

وكما قيل:

كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقد فصل أهل العلم في ذلك فقالوا: ما كان من الكلام في طاعة الله صلى الله عليه وسلم: كالذكر لله صلى الله عليه وسلم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتعليم للناس أمر دينهم، ونحو ذلك من القربات، فالكلام خير.

ومن كان من الكلام في معصية الله صلى الله عليه وسلم: فيحرم التكلم به .

وما كان من الكلام المباح: فهو جائز، ولكن الأفضل أن لا يتكلم به، ولا يكثر منه، والحمد لله رب العالمين.



(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٧٧٧٤)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله (٤١٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٥٣٨).

باب الرَّهْبِ مِنْ مَسَاوِيءِ الْأَخْلَاقِ

[بَابُ الرَّهْبِ مِنْ مَسَاوِيءِ الْأَخْلَاقِ]

الشرح:

جاء الإسلام بالترغيب في فعل الخير، والدلالة عليه، والحث على الأعمال الصالحة، والحث على محاسن الأخلاق.

وجاء بالترهيب من الشر، والضير، والضرر، والتحذير منه، والترهيب من الأعمال، والأخلاق السيئة.

ومن رَهَبَ من الشيء، أبغضه، وخافه، وابتعد عنه.

ومن رَغِبَ في الشيء، أحبه، وأمنه، وحرص عليه.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:
وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ
عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ^(١).

وصاحب الخلق السيء بعيداً من الله ﷻ، وبعيداً عن سنة النبي ﷺ.

وبعيد عن عباد الله الصالحين المستقيمين على شرع الله ﷻ، فهم لا يحبونه، ولا يودونه، ولا يرغبون في الجلوس معه.

وقد قيل في الأخلاق:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا

بيان معنى وحقيقة حسن الأخلاق:

وليس المراد بحسن الخلق حسن المعاملة للناس بطلاقة الوجه فقط، وإن كان

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

هذا من حسن، فحسن الخلق له مراتب:

المرتبة الأولى: حسن الخلق مع الله ﷻ: بتوحيده وطاعته، وعدم الشرك به ومعصيته، ويكون بفعل أوامره، واجتناب نواهيه. فيكون المعنى كمعنى الإحسان: أن تعبد الله ﷻ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

المرتبة الثانية: حسن الخلق مع المخلوقين: بكف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه.

وبعض الكفار والمشركين قد يكون لهم من هذه المرتبة بعضها، فهو يتعاملون مع الناس ربما بطلاقة وجه، ويبذلون معروفهم للناس، ولا سيما في الطب، وغير ذلك من المعاملات الدنيوية .

لكنهم في سوء أخلاق مع الله ﷻ؛ حيث أنهم كفروا بالله ﷻ، وأشركوا به، وكفروا بنبوة نبينا محمد ﷺ، فهدمت كل جميل من أخلاقهم . فتجد أنهم يقعون في الزنا، وأكل الربا، وشرب المسكرات، وغير ذلك من البليات التي هي زائدة على كفرهم، وشركهم .

﴿ بيان بدء دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للناس: ﴾

وقد كان مبدأ دعوة النبي ﷺ، أنه يأمر بمحاسن الأخلاق: بداية من التوحيد والدخول في دين الإسلام، كقوله: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا".

ففي صحيح ابن حزيمة ﷺ: من حديث طارق المُحَارِبِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلَحُوا».

وعن أبي سفيان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - « يَا مُرْنَا

بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالْعَفَافِ، وَالصَّلَةِ»^(١).

فجمع النبي ﷺ في الأمر: بين محاسن الأخلاق في حق الخالق: وهي الصلاة والزكاة.

وبين محاسن الأخلاق في حق المخلوقين: من العفاف عما في أيديهم من الأموال ونحوها، وصللة الأرحام.

وامتدح النبي ﷺ أشج عبد القيس كما في صحيح الإمام مسلم ﷺ:
من حديث ابن عباسٍ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لِلأَشَجِّ أَشَجُّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ»^(٢).

﴿ بيان أقسام الأخلاق الحسنة، أو محاسن الأخلاق:

ثم إن محاسن الأخلاق تنقسم إلى قسمين:

الأول: ما هو طبعي يجبل الإنسان عليه.

الثاني: ما هو مكتسب.

فربما تجد كثيرًا من الناس عندهم الكرم، والشجاعة، والنخوة، والصدق، والنجدة، وحب التعاون الغير، ونصرة المظلوم والضعيف، وغير ذلك من محاسن الأخلاق، وطبعًا .

وبعض الناس قد يروض نفسه عليها ترويضًا، ويكتسبها من تعلم الكتاب والسنة، أو من مجالسة العلماء، أو الصالحين .

ولهذا جاء في الصحيحين، واللفظ للإمام مسلم في صحيحه: من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٠)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٧).

باب الرِّهْب من مساوئ الأخلاق

الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا^(١).

قوله: «فإن الصدق يهدي إلى البر» أي: أن الصدق يرشد، ويدل، ويؤدي إلى

البر.

والبر: اسم جامع لكل خير.

فهذا دليل على الاكتساب من محاسن الأخلاق .

فإن لم يكن المسلم متخلقًا بهذا الأخلاق العظيمة الحسنة جبلةً، وطبعًا، فلا أقل من أن تتخلق بها اكتسابًا، وتعلمًا؛ لأن ديننا الإسلامي قد حثنا ورغبنا في ذلك أشد ترغيب .

ففي معجم الطبراني الأوسط: من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ، ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَسْكُنِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ الْجَنَّةَ: مَنْ نَكَهَنَ، أَوْ اسْتَقَسَمَ، أَوْ رَدَّهُ مِنْ سَفَرٍ تَطِيرُ»^(٢).

فمعنى الحديث: أن الإنسان لا بد له أن يبذل جهدًا في تعلم العلم، والحلم، والفقهِ

في دين الله صلى الله عليه وسلم.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا، وكما أنه رزق أنه أحسن الناس خلقًا.

ففي الصحيحين: من حديث أَنَسٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا،

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣)، والخطيب في " تاريخه " (٩ / ١٢٧) من حديث أبي هريرة

رضي الله عنه، وحسنه الإمام الألباني رضي الله عنه في الصحيحة (٣٤٢)، وفي صحيح الجامع (٢٣٢٨).

باب الرهب من مساوئ الأخلاق

وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ» نَغْرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرَبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبَسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيَصَلِّي بِنَا»^(١).

وجاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أنس - رضي الله عنه -: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»^(٢).

وفي سنن الإمام النسائي رحمه الله: من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ مُتَرَجَّلًا لَمْ أَرْ قَبْلَهُ، وَلَا بَعْدَهُ أَحَدًا هُوَ أَجْمَلُ مِنْهُ»^(٣).

فما أجمل اتفاق حسن الخلق مع حسن الخلق.

أي يتفق الخلق الظاهر مع الخلق الباطن، فيكون في مثل هذه الحالة على حظ عظيم.

وإن لم تتفق، فإن مكارم الأخلاق تغطي على ما يلحق الخلقة من النقص بعض الشيء، فإن الناس ينظرون إلى أفعال غيرهم، أكثر من النظر إلى المظاهر.

فقد قال رجل بين يدي عمر بن عبد العزيز: "المرء بأصغريه: قلبه ولسانه".

فإذا كان قلبه صالحًا، ولسانه ناطقًا بالخير، دالًا عليه، مرشدًا إليه، كان هو المرء، وكان هو الرجل الذي يضرب به المثل في نبل الأخلاق.

وإن كان قلبه فاسدًا، ولسانه ناطقًا بالشر، ودالًا عليه، ومرشدًا إليه، كان هو الفاسد، ولو كان ذو جاه كبير، ومال كثير.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣١٠).

(٣) أخرجه النسائي (٥٣١٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف النسائي.

بيان أنواع مساوئ الأخلاق:

ومساوئ الأخلاق تنقسم إلى أنواع:

الأول: القولي: كالسب، والشتم، واللعن، والغيبة، والنميمة، والكذب، والاستهزاء بالقول، وشهادة وقول الزور، وكل قول قبيح محرم في الدين، ومخالف لكتاب الله ﷻ، ولسنة النبي ﷺ.

الثاني: الفعلي: كالقتل، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وأكل الربا، والنهبة، والاختلاس، والنصب، والظلم، وكل فعل محرم مخالف للكتاب، والسنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ.

الثالث: الاعتقادي: كسوء الظن، والحسد، والبغض، والكراهية، وكل اعتقاد محرم مخالف لكتاب الله ﷻ، ولسنة النبي ﷺ.



بيان تحريم الحسد وأنها من الكبائر

١٤٩٣ - (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ).

١٤٩٤ - (وَلَا بِنِ مَاجَهَ: مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رضي الله عنه - نَحْوُهُ^(٢)).

الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان تحريم الحسد .

قوله: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ» أي: احذروا واجتنبوا وابتعدوا من الحسد.

وهذا من المبالغة في التحذير منه؛ لشدة حرمة فهو من كبائر الذنوب .

والحسد: تمنى زوال النعمة عن الغير، أو بعض وقوع الخير للغير، ولا سيما إذا

كان من المسلمين.

ولم يرخص في الحسد إلا إذا كان من باب التنافس على الخير، أي يحب المؤمن

أن يكون له من الخير مثل ما يكون لغيره من المؤمنين، وهذا يسمى بالغبطة.

ففي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَا

حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ

الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»^(٣).

وفي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٣)، من طريق إبراهيم بن أبي أسيد عن جده عن أبي هريرة به. وإبراهيم:

"فيه لين"، وجده: "مجهول لا يعرف". وضعفه الإمام الألباني رضي الله عنه في ضعيف أبي داود (١٩٠٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٠)، بسند ضعيف جداً، في إسناده عيسى بن أبي عيسى الحناتي؛ متروك.

(٣) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

يَقُولُ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ»^(١).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ فَيَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ»^(٢).

ومما يدل على تحريم الحسد ما في الصحيحين: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»^(٣).

وجاء في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٤).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»^(٥).

(١) أخرجه البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

بيان تحريم الحسد وأنها من الكبائر

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه، - حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَنْبَأَكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(١).

والحسد خلق المنافقين والكفار والمشركين: من اليهود وغيرهم.

يقول الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنَّا بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنَّا بَعْدَ مَا نَبَّيْنَا لَهُمُ الْحَقَّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١٠٩).

ويقول: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(١٠٥)
[البقرة: ١٠٥]، ويقول: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^ط [النساء: ٥٤].

بيان أن أصل الذنوب والمعاصي ترجع إلى الكبر والحسد:

فإبليس عليه لعنة الله تعالى عصى الله تعالى وامتنع من السجود لأبينا آدم عليه السلام. وفعل ذلك إلا من الحسد والكبر، حسد أبينا آدم عليه السلام وتمرد على الله تعالى كبراً منه.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣٤).

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٠)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي.

بيان تحريم الحسد وأنها من الكبائر

خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ .

ويقول الله ﷻ : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ

لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ .

وغيرها من الآيات وهي كثيرة.

بيان أفضل علاج للحسد:

وأفضل علاج لهذا الداء العضال: "أن الإيمان بالقضاء وبالقدر".

فمن آمن بقضاء الله ﷻ وقدره؛ فإنه لا يحسد أحداً .

وقد قال بعضهم في ذا الحسد:

بدأ بصاحبه فقتله

لله در الحسد ما أعدله

وقيل أيضاً:

فإن صبرك قاتله

اصبر على كيد الحسود

إن لم تجد ما تأكله

فالنار تأكل بعضها

قوله: «فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ»: لأن الحسد فيه اعتراض على قدر الله ﷻ

وقضائه، والمؤمن مأمور بأن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، والهدى، والصلاح، والدين، والسعادة، وكل أمر حسن وفي الآخرة .

والحسد مبني على سوء الظن بالله ﷻ، وبغض المسلمين، وكرهيتهم،

والاعتراض على قضاء الله ﷻ وقدره.

وإذا استمر الحسد في قلب المسلم فإنه قد يوصله إلى الحقد على المسلمين،

وعلى محبة إيقاع الشر بهم، والضرر، والعياذ بالله ﷻ، وهذا من صفات المنافقين،

واليهود، والكفار، والمشركين.

بيان تحريم الحسد وأنها من الكبائر

فيولد الحسد في قلب صاحبه مرضاً داخلياً، وكلما رأى نعمة، أو رأى خيراً في أخيه المسلم، ازداد تألماً على ذلك فوق تألمه الأول.

قوله: «كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»: والحديث لم يثبت عن النبي ﷺ، كما تقدم ولكن معناه صحيح، فيخشى على صاحب الحسد من أن تذهب حسناته، ويقع في الكراهية، وفي البغض المسلمين.

والله أعلم .



بيان ذم الغضب

١٤٩٥ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح:

ساق المصنف رحمته الله الحديث لبيان ذم الغضب .

فهذا فيه التحذير من الغضب .

قوله: «وَعَنْهُ» أي: عن أبي هريرة رضي الله عنه .

قوله: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» .

قال النووي في شرحه على مسلم (١٦ / ١٦٢): وَكَذَلِكَ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ الصُّرَعَةَ الْمَمْدُوحُ الْقَوِيُّ الْفَاضِلُ هُوَ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجَالُ بَلْ يَصْرَعُهُمْ وَلَيْسَ هُوَ كَذَلِكَ شَرَعًا بَلْ هُوَ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ فَهَذَا هُوَ الْفَاضِلُ الْمَمْدُوحُ الَّذِي قَلَّ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى التَّخَلُّقِ بِخُلُقِهِ وَمُشَارَكَتِهِ فِي فَضِيلَتِهِ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ .

اهـ

وفي صحيح الإمام البخاري رحمته الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»^(٢).

وإنما يكون الغضب إذا انتهكت حرمة من حرمت الله رحمته الله .

وفي الصحيحين: من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ

أَمْرَيْنِ إِلَّا أَحَدٌ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا أَنْتَقَمَ

(١) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (٦١١٦).

بيان ذم الغضب

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»^(١).

وليس المراد النهي عن الغضب من حيث هو؛ فإن الإنسان مهما كان عنده من الدين، والصلاح، فربما طرأ عليه الغضب .

ولكن المراد أن يتعد عن نتائج الغضب بقدر ما يستطيع .

فإذا طرأ عليه الغضب، ما أوصى به النبي ﷺ من الاستعاذة بالله ﷻ من الشيطان الرجيم .

ففي الصحيحين: من حديث سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانِ، فَأَحَدُهُمَا أَحْمَرٌ وَجْهُهُ، وَأَنْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ»، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ " فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ" ^(٢).



(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٨٢)، ومسلم (٢٦١٠).

بيان تحريم الظلم

١٤٩٦ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

١٤٩٧ - (وَعَنْ جَابِرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»^(٢). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الأحاديث لبيان تحريم الظلم.

قوله: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»: أحاديث الباب، وغيرها من الأدلة تبين تحريم

الظلم، وأنه من كبائر الذنوب؛ لأن صاحبه متوعد بالظلمات يوم القيامة.

وفي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَدَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٣).

بيان أنواع الظلم:

والظلم على ثلاثة أنواع:

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٨) وزاد: «حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم».

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

بيان تحريم الظلم

الأول: ظلم العبد لنفسه.

بارتكاب ما نهى الله ﷻ عنه: من الذنوب، والمعاصي، والخطايا، والآثام. أو بترك ما أمر الله ﷻ به، فلا يفعله، ولا يمتثله.

الثاني: ظلم العبد لغيره: وهذا أيضًا ينقسم إلى أقسام أخرى:

فقد يكون الظلم بالقول: فقد يكون بالسب، وبالشتيم، وبالغيبة، وبالنميمة، وبالكذب على الناس، وبغير ذلك من الأقوال الظالمة على غيرها. وقد يكون بالفعل: من الضرب، ومن القتل، ومن الزنا، ومن السرقة، ومن غير ذلك من الأفعال التي يكون فيها ظلم للآخرين.

الثالث: الظلم الأكبر، والظلم الأعظم، وهو الشرك والكفر.

وهو ظلم العبد لنفسه بالوقوع في الشرك الأكبر، أو في الكفر الأكبر، أو في ردة عن الإسلام.

يقول الله ﷻ مخبراً لنا عن لقمان الحكيم وهو يعظ ولده: ﴿وإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ

وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾.

فهذا الظلم هو الذي لا يغفره الله ﷻ لصاحبه إذا لم يتب منه، ويكون صاحبه خالداً مخلداً في نار جهنم، خارجاً عن ملة الإسلام، حلال الدم والمال والعرض.

قوله: «وَاتَّقُوا الشُّحَّ» أي: اجتنبوه، وابتعدوا عنه، ولا تتخلقوا به، سواء قليله، أو

كثيره.

قوله: «فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

ﷺ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ

بيان تحريم الظلم

مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»^(١).

فسبب الشح: حصل الهلاك لمن كان قبلنا، وسيحصل لنا إن فعلنا مثل ما فعلوا، فإن الشح هو الذي حمل الناس على القتل فيما بينهم حرصاً على الدنيا، والمناصب، والأموال، وغير ذلك.

ففي الصحيحين: من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يقول: «مَا سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ: لَا»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث أنس رضي الله عنه، قال: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَبَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ»^(٣).

وفي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شَحٌّ هَالِعٌ وَجِبْنٌ خَالِعٌ»^(٤).

بحيث يحمله الشح والجبن عن الامتناع عن إخراج ما أوجب الله صلى الله عليه وسلم عليه من: النفقات الواجبة على الأهل والأولاد، ومن ولاه الله أمرهم، بل وإخراج الزكوات الواجبة عليه.



(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣١٢).

(٤) أخرجه أبو دود (٢٥١١)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف أبي داود، وحسنه

الإمام الوادعي رضي الله عنه في الصحيح المسند (١٣٩٢).

بيان خطر الرياء

١٤٩٨ - (وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ: الرِّيَاءُ»^(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ).

الشرح: ساق المصنف رحمته الله الحديث لبيان خطر الرياء.

الرياء مأخوذ من المرأة، وهو مرض قلبي يتدي إلى حبوط العمل، فصاحبه شرك غير الله صلى الله عليه وسلم في عمله، وهو على قسمين:

شرك أكبر: وضابطه أن يدخل العمل لا يريد إلا الدنيا، قال الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥-١٦].
وشرك أصغر: وهو أن يدخل العمل لله ثم يطرأ عليه الرياء.

قوله: «عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه»: ابن رافع بن امرئ القيس بن زيد الأنصاري، الأوسي، الأشهلي.

قال البخاري: له صحبة، وروى عن عاصم بن عمر بن قتادة، عنه، قال: أسرع النبي صلى الله عليه وسلم يوم مات سعد بن معاذ حتى تقطعت نعالنا، وهذا ظاهره أنه حضر ذلك، ويحتمل أن يكون أرسله.

قوله: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ: الرِّيَاءُ».

قال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٦٦٠): لُغَةً أَنْ يَرَى غَيْرَهُ خِلَافَ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَشَرَعًا أَنْ يَفْعَلَ الطَّاعَةَ وَيَتْرُكَ الْمَعْصِيَةَ مَعَ مَلَا حِظَةَ غَيْرِ اللَّهِ أَوْ يُخْبِرَ بِهَا أَوْ يُحِبَّ

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)، وصححه الإمام الألباني رحمته الله في صحيح الترغيب والترهيب (٣٢).

بيان خطر الرياء

أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهَا لِمَقْصِدِ دُنْيَوِيٍّ مِنْ مَالٍ أَوْ نَحْوِهِ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَجَعَلَهُ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٤٢) [النساء:

١٤٢] وَقَالَ ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠)

[الكهف: ١١٠]، وَقَالَ ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (٤) [الماعون: ٤] - قَوْلُهُ - ﴿الَّذِينَ هُمْ

يُرَاءُونَ﴾ (٦) [الماعون: ٦] وَوَرَدَ فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الطَّيِّبَةِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَةِ

عِقَابِ الْمُرَائِي، فَإِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ عَابِدٌ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ «يَقُولُ اللَّهُ

تَعَالَى: مِنْ عَمَلٍ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ وَأَنَا عَنْهُ بَرِيءٌ وَأَنَا أَعْنَى الْأَغْنِيَاءِ

عَنِ الشُّرْكِ» وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّيَاءَ يَكُونُ بِالْبَدَنِ، وَذَلِكَ بِإِظْهَارِ التَّحَوُّلِ وَالِإِضْفِرَارِ لِيُوْهِمَ

بِذَلِكَ شِدَّةَ الْاجْتِهَادِ، وَالْحُزْنَ عَلَى أَمْرِ الدِّينِ وَخَوْفَ الْآخِرَةِ، وَلِيَدُلَّ بِالنُّحُولِ عَلَى

قِلَّةِ الْأَكْلِ، وَبِتَشَعُّثِ الشَّعْرِ وَدَرَنِ الثَّوْبِ يُوْهِمُ أَنَّ هَمَّهُ بِالدِّينِ أَلْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَنْوَاعُ

هَذَا وَاسِعَةٌ، وَهُوَ مَعْنَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ، وَيَكُونُ فِي الْقَوْلِ بِالْوَعْظِ فِي الْمَوَاقِفِ

وَيَذْكُرُ حِكَايَاتِ الصَّالِحِينَ لِيَدُلَّ عَلَى عِنَايَتِهِ بِأَخْبَارِ السَّلَفِ وَبَحْثِهِ فِي الْعِلْمِ وَيَتَأَسَّفُ

عَلَى مُقَارَفَةِ النَّاسِ لِلْمَعَاصِي وَالتَّأَوُّهِ مِنْ ذَلِكَ.

وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِحَضْرَةِ النَّاسِ وَالرِّيَاءُ بِالْقَوْلِ لَا تَنْحَصِرُ

أَبْوَابُهُ، وَقَدْ تَكُونُ الْمُرَاءَةُ بِالْأَصْحَابِ، وَالْأَتْبَاعِ وَالتَّلَامِيذِ فَيَقَالُ: فُلَانٌ مُتَّبِعٌ قُدْوَةٌ،

وَالرِّيَاءُ بَابٌ وَاسِعٌ إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، فَبَعْضُ أَبْوَابِ الرِّيَاءِ أَعْظَمُ مِنْ بَعْضِ إِخْتِلَافِهِ

بِإِخْتِلَافِ أَرْكَانِهِ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ: الْمُرَاءَى بِهِ، وَالْمُرَاءَى لِأَجْلِهِ، وَنَفْسُ قَصْدِ الرِّيَاءِ،

فَقَصْدُ الرِّيَاءِ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ مُجَرَّدًا عَنْ قَصْدِ الثَّوَابِ أَوْ مَصْحُوبًا بِإِرَادَتِهِ،

وَالْمَصْحُوبُ بِإِرَادَةِ الثَّوَابِ لَا يَخْلُو عَنْ أَنْ تَكُونَ إِرَادَةُ الثَّوَابِ أَرْجَحَ أَوْ أَوْضَعَفَ أَوْ

مُسَاوِيَةً فَكَانَتْ أَرْبَعَ صُورٍ الْأُولَى أَنْ لَا يَكُونَ قَصْدَ الثَّوَابِ بَلْ فَعَلَ الصَّلَاةَ مِثْلًا لِيَرَاهُ

غَيْرُهُ، وَإِذَا انْفَرَدَ لَا يَفْعَلُهَا، وَأَخْرَجَ الصَّدَقَةَ لِنَلَا يُقَالُ إِنَّهُ بَخِيلٌ، وَهَذَا أَغْلَطَ أَنْوَاعُ

بيان خطر الرياء

الرِّيَاءُ وَأَخْبَثُهَا، وَهُوَ عِبَادَةٌ لِلْعِبَادِ، الثَّانِيَةُ: قَصَدَ الثَّوَابَ لَكِنْ قَصْدًا ضَعِيفًا بِحَيْثُ أَنَّهُ لَا يَحْمِلُهُ عَلَى الْفِعْلِ إِلَّا مُرَاءَاةَ الْعِبَادِ وَلَكِنَّهُ قَصَدَ الثَّوَابَ فَهَذَا كَالَّذِي قَبْلَهُ، الثَّلَاثَةُ: تَسَاوَى الْقَصْدَيْنِ بِحَيْثُ لَمْ يَبْعَثْهُ عَلَى الْفِعْلِ إِلَّا مَجْمُوعُهُمَا وَلَوْ خَلَّى عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَمْ يَفْعَلْهُ فَهَذَا تَسَاوَى صَلَاحِ قَصْدِهِ وَفَسَادِهِ، فَلَعَلَّهُ يُخْرِجُ رَأْسًا بَرَأْسٍ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ، الرَّابِعَةُ: أَنْ يَكُونَ اِطِّلَاعُ النَّاسِ مُرَجِّحًا أَوْ مُقَوِّيًا لِنَشَاطِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَمَا تَرَكَ الْعِبَادَةَ. قَالَ الْغَزَالِيُّ: وَالَّذِي نَظُنُّهُ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَحْبِطُ أَصْلُ الثَّوَابِ وَلَكِنَّهُ يَنْقُصُ وَيَعَاقِبُ عَلَى مِقْدَارِ قَصْدِ الرِّيَاءِ، وَيَثَابُ عَلَى مِقْدَارِ قَصْدِ الثَّوَابِ وَحَدِيثٌ: «أَنَا أَغْنَى الْأَغْنِيَاءِ عَنِ الشَّرِكِ» مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا تَسَاوَى الْقَصْدَانِ أَوْ أَنَّ قَصْدَ الرِّيَاءِ أَرْجَحُ. وَأَمَّا الْمُرَاءَى بِهِ، وَهُوَ الطَّاعَاتُ فَيُقَسَّمُ إِلَى الرِّيَاءِ بِأُصُولِ الْعِبَادَاتِ، وَإِلَى الرِّيَاءِ بِأَوْصَافِهَا، وَهُوَ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ: الرِّيَاءُ بِالْإِيمَانِ، وَهُوَ إِظْهَارُ كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ، وَبَاطِنُهُ مُكَذِّبٌ فَهُوَ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنْهَا، وَفِي هَؤُلَاءِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون: ١] الآية.

اهـ

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه»^(١).

وأخرج البخاري في الأدب المفرد: من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه - قال: "انطلقت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقال: "يا أبا بكر! للشرك فيكم أخفى من ديب النمل". فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلهًا آخر؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده، للشرك أخفى من ديب النمل، ألا أدلك على

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

بيان خطر الرياء

شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟". قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»^(١).

بيان هل الشرك الأصغر يغفره الله ﷻ لصاحبه؟

تخوف النبي ﷺ على أمته الشرك الأصغر، دليل على خطره على صاحبه. وسواء كان الشرك صغيراً أو كبيراً، فإن الله ﷻ لا يغفره لصاحبه؛ حتى يتوب منه يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(٤٨).

كما بينت ذلك في كتابي فتح الوهاب شرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب.



(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح الأدب المفرد

بيان علامات النفاق العملي الأصغر

١٤٩٩ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتَّخَمَ خَانَ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

١٥٠٠ - (وَلَهُمَا: مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنه -: «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٢)).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان علامات النفاق العملي، وهو النفاق الأصغر.

قوله: «آيَةُ» أي: علامة.

قوله: «الْمُنَافِقِ»: هو من يظهر الإيمان ويبطن الكفر، وهو اصطلاح إسلامي، وكان ظهورهم بعد غزوة بدر الكبرى .

ثلاث: وليس على سبيل الحصر، ولكنها أشهر وأوضح علامات المنافقين .

بيان أقسام النفاق:

والنفاق ينقسم إلى قسمين:

الأول: نفاق اعتقادي، ويسمى بالنفاق الأكبر.

وهو الذي يكون صاحبه كافرًا، كحال عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

وهو إظهار الإسلام، وإبطان الكفر والشرك بالله صلى الله عليه وسلم.

ويظهر صاحبه الإسلام حتى يعصم دمه وماله وعرضه، ويكون في الظاهر أنه منهم ليتسنى له الطعن في دين الله صلى الله عليه وسلم.

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

بيان علامات النفاق العملي الأصغر

مع أنه في حقيقة الحال ما يزال في كفره، وشركه؛ تجد أنه محبًا للكفر، ومؤثرًا له على الإسلام.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١٤٥).

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (١٤٠).

الثاني: النفاق العملي، ويسمى بالنفاق الأصغر.

وصاحبه لا يخرج من ملة الإسلام، ولكنه واقعا في كبيرة من كبائر الذنوب، وعظيمة من عظام الآثام.

والمراد منه: التخلق بأخلاق المنافقين، وفعل أفعالهم المشهورة عنهم.

ولا يراد من قولنا لشخص أنه منافق: أنه قد وقع في النفاق الأكبر، والنفاق الاعتقادي، إلا مع القرينة على أنه قد وقع في ردة عن الإسلام، أو في ناقض من نواقضه المعلومة.

قوله: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ»: والكذب من أشهر علامات النفاق العملي.

يقول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى

الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤).

إذ أن الكذب صفة ذميمة، لا تليق بالمسلم أبداً حتى أن العرب في جاهليتهم وقبل إسلامهم كانوا يتورعون عن الكذب؛ في حقهم، فقد يعيرون به.

ففي الصحيحين: من حديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-، أخبره أن أبا سفيان بن حرب -رضي الله عنه- أخبره: "أَنَّ هِرْقَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَارًا بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادًّا فِيهَا أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أَيُّكُمْ

بيان علامات النفاق العملي الأصغر

أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَذْنُوهُ مِنِّي، وَقَرَّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لَتَرَجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَّبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْتُرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَّبْتُ عَنْهُ...»^(١).

فأبو سفيان - رضي الله عنه - كان مشركاً ومع ذلك تورع عن الكذب؛ حتى لا يعير به .

وفي الصحيحين، واللفظ لمسلم رضي الله عنه: من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(٢).

قوله: «وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ»: ومن صفاتهم خلف الوعد، حيث يعد على نية الخلف.

أما إذا وعد ونيته الوفاء، ثم قدر الله صلى الله عليه وسلم عليه بشيء حال بينه، وبين وعده؛ فلا شيء عليه .

ففي الصحيحين: من حديث عائشة - رضي الله عنها -، زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أَخْبَرَتْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٧، ٥٨٩).

﴿ و وصف الله ﷺ بأنه: لا يخلف الميعاد .

يقول الله ﷻ : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ

١ .

ويقول الله ﷻ : ﴿ رَبَّنَا وَعَايِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ

الْمِعَادَ (١٦٤) .

فلا يخلف وعده، ولا ينقض عهده.

وكان النبي ﷺ يفي بالوعد .

قوله: «وإِذَا اتَّيْمَنَ حَانَ» أي: ومن علاماتهم الخيانة ويشمل كل الأمانات الحسية:

من حفظ الودائع، وغيرها.

والأمانات المعنوية: من تبليغ دين الله ﷻ، وتربية الأولاد، وغير ذلك.

فدين الله ﷻ، وتبليغه أمانة على من آتاه الله ﷻ العلم، والنصح لولاية أمور المسلمين عند القدرة عليه أمانة، وكذلك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أمانة، إلى غير ذلك.

فالخيانة صفة ذميمة من صفات المنافقين، فلا تليق بمسلم .

يقول الله ﷻ : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ (٧١) .

قوله: «وَلَهُمَا: مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: «وإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»: الخصام قد يقع

بين الناس، ولكن الفجور في الخصومة من علامات المنافقين، وصفاتهم.

فقد يتخاصم الرجل مع زوجته، والجار مع جاره، والصاحب مع صاحبه،

والرجل مع ولده، لكن المذموم من ذلك أن يفجر في خصومته، يقول الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ

بيان علامات النفاق العملي الأصغر

النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ، وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾
 وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾
 وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهَا جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾
 [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦]..

وفي الصحيحين أيضاً: من حديث عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدَّ الْخَصِمُ»^(١).
 وتقوم الساعة على أهل الخصومات .

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾^(٤١) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
 تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ [يس: ٤٩-٥٠]..
 أي: يتجادلون بالباطل.

فإن قُدِّرَ عليك أن تضع الخصومة مع أحد من المسلمين، فلا يتجاوز ذلك إلى
 الفجور فيها الانتصار للنفس ولو بالظلم، والتعدي، والكذب.

ولفظ الحديث في الصحيحين: من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ
 خِصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّىٰ يَدْعَهَا: إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ،
 وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».



(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨).

بيان تحريم سباب المسلم

١٥٠١ - (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان تحريم سباب المسلم .

ومن باب أولى تحريم قتله؛ لأنه من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله صلى الله عليه وسلم.

فحديث الباب يدل على تحريم سباب المسلم، وشتمه .

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً

مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَابِ بِسِ الْأَسْمِ الْفُسُوقُ بَعْدَ

الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

وفي مسند الإمام أحمد رضي الله عنه: من حديث عياض بن حمار - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم:

«إِنَّهُمُ الْمُسْتَبِينَ مَا قَالَا عَلَى الْبَادِي، حَتَّى يَعْتَدِيَ الْمَظْلُومُ " أَوْ " إِلَّا أَنْ يَعْتَدِيَ الْمَظْلُومُ»^(٢).

قوله: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ» أي: أن شتم المسلم فسوق، والفسق: هو الخروج

من الطاعة إلى المعصية.

بيان أقسام الفسق:

والفسق ينقسم إلى قسمين:

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٤)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٨٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رضي الله عنه (١٠٥٥).

بيان تحريم سباب المسلم

الأول: فسق أكبر.

وهو الخروج من توحيد الله ﷻ إلى الكفر والشرك، وهذا فسق أهل الكفر، والشرك، والإلحاد.

الثاني: فسق أصغر.

وهو فسق عصاة المسلمين، ويكون ذلك بفعل الكبائر . فسباب المسلم من الفسق المحرم، ويجب على صاحبه أن يتحلل ممن سبه وشتمه، وأن يتوب إلى الله ﷻ من ذلك.

قوله: «وَقَاتِلَهُ كُفْرًا» أي: كفر دون كفر، وليس بالمرخرج من الملة.

لكنه أيضًا من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله ﷻ.

ففي الصحيحين: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكِبَائِرَ، أَوْ سُئِلَ عَنِ الْكِبَائِرِ فَقَالَ: " الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، فَقَالَ: أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ قَالَ: قَوْلُ الزُّورِ، أَوْ قَالَ: شَهَادَةُ الزُّورِ " قَالَ شُعْبَةُ: وَأَكْثَرُ ظَنِّي أَنَّهُ قَالَ: «شَهَادَةُ الزُّورِ»^(١).

﴿ بيان سبب تسمية القتل كفرًا:

وسمي القتل كفرًا؛ لأنه من أفعال الكفار.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ «أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨).

بيان تحريم سباب المسلم

ظَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ «أَلَيْسَتْ بِالْبَلَدَةِ الْحَرَامِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث جرير - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» فَقَالَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(٢).
قد ساق الإمام البخاري رضي الله عنه حديث ابن مسعود في صحيحه للرد على المرجئة، والخوارج.

إذ أن الخوارج يكفرون المسلمين بمطلق الكبيرة.

وقد سمي الله صلى الله عليه وسلم المتقاتلين بأنهم مؤمنين فقال: ﴿وَإِنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ٩-١٠]..

وفيه رد على المرجئة: الذي يقولون لا يضر مع الإيمان معصية، وأنه لا ينقص من المعاصي.

وفي صحيح الإمام مسلم: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥).

بيان تحريم سباب المسلم

هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ^(١).

ويكون قتاله كفر أكبر: إذا استحل قتله، فإنه يكفر ويخرج من ملة الإسلام؛ لاستحلاله ما حرم الله ﷻ، والله أعلم .



(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

بيان تحريم إساءة الظن بالمسلمين

١٥٠٢ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان تحريم إساءة الظن بالمسلمين.
ولفظ الإمام البخاري رضي الله عنه في صحيحه: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٢).

وحديث الباب يدل على نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن إساءة الظن بالمسلمين، والنهي للتحريم؛ إذ يتولد من إساءة الظن العديد من المحرمات.
فمنها: الظلم، والبغي، والبغض، والتجسس، والتحسس، والكراهية، والحسد، والكذب، والغيبة، والنميمة، وغيرها من المحرمات التي يعتبر كل مرض منها من الكبائر بذاته، فنسأل الله عز وجل العافية .

يقول الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

فلو تأملنا كثرة البلايا الواقعة في الأمة الإسلامية لوجدنا أن أكثرها بسبب إساءة الظن بالمسلمين .

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٦).

بيان تحريم إساءة الظن بالمسلمين

ويقع ذلك بين الأزواج، والآباء وأبناءهم، والجيران، والأقرباء، والنساء، والأخوة، و البعيد والقريب.

إذ أن الظن السيء يجبر إلى كل بلية.

﴿ بيان أن أسوأ الظن على الإطلاق هو سوء الظن بالله ﷻ ﴾

وأسوأ الظن على الإطلاق هو سوء الظن بالله ﷻ لما يأتي إن شاء الله .

والواجب إحسان المؤمن ظنه بربه، لما جاء في الصحيحين: من حديث أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: من حديث جابر بن عبد الله - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ»^(٢).

وفي مسند الإمام أحمد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: من حديث أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ، قَالَ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»^(٣).

وفي مسند الإمام أحمد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أيضًا: من طريق حيَّان أبو النضر، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - عَلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَجَلَسَ قَالَ: فَأَخَذَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَمِينَ وَائِلَةَ فَمَسَحَ بِهَا عَلَى عَيْنَيْهِ، وَوَجَّهَ لِيَبْعَثَهُ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷻ، فَقَالَ لَهُ وَائِلَةُ: وَاحِدَةٌ، أَسَأَلْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: كَيْفَ ظَنَنْتُكَ

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٧).

(٣) أخرجه أحمد (٩٠٧٦)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** (١٦٦٣).

بيان تحريم إساءة الظن بالمسلمين

بِرَبِّكَ؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: وَأَشَارَ بِرَأْسِهِ، أَي حَسَنٌ قَالَ وَائِلَةٌ - ﷺ -: أَبَشِرْ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « قَالَ اللهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ »

(١)

فمن ظن بالله ﷻ الخير ناله بإذن الله ﷻ؛ لأنه خير الرزاقين، وأكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين.

ومن ظن بالله ﷻ السوء، ناله السوء والشر بسبب ظنه السيء؛ لأنه وقع في كبيرة من الكبائر.

وظن السوء بالله ﷻ هو من صفات المشركين والمنافقين، كما أخبرنا الله ﷻ عنهم فقال: ﴿وَيَعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَاتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾.

فينبغي أن يكون الله ﷻ عند حسن ظن كل مسلم، فمن أحسن الظن بالله ﷻ جازاه الله ﷻ على حسن ظنه .

فإن التعبد لله ﷻ بمعاني أسمائه وصفاته، من الأمور المطلوبة من كل مسلم.

قوله: « **إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ** » أي: احذروا من الظن فيما بينكم يا معشر المسلمين،

(١) أخرجه أحمد (١٦٠١٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي (١١٩٧).

بيان تحريم إساءة الظن بالمسلمين

واحذروا كل الحذر أن يسوء ظنكم بالله ﷻ.

قوله: «فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ».

📖 قال الحافظ في الفتح (١٠ / ٤٨٢): قد استشكلت تسمية الظن حديثاً وأجيب بأن المراد عدم مطابقة الواقع سواء كان قولاً أو فعلاً ويحتمل أن يكون المراد ما ينشأ عن الظن فوصف الظن به مجازاً. اهـ

فعلى كل مسلم أن يحسن ظنه بالمسلمين ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ حتى يدفع عن نفسه الشر العظيم الذي لا يعلم به إلا الله ﷻ.

وعليه أن يعامل أخاه بما ظهر منه، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " إِنْ أَنَسَا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَّا، وَقَرَّبَنَا، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنَّهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنْ سَرِيرَتُهُ حَسَنَةٌ» أخرجه البخاري، والله أعلم.



بيان تحريم غش المسلمين

١٥٠٣ - (وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرِعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان تحريم غش المسلمين.

ولفظ الحديث عند الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: من حديث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(٢).

والأدلة في تحريم الغش كثيرة منها ما في مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٣).

وفي لفظ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَتَأَلَّتْ أَصَابِعُهُ بِلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَمَا يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»^(٤).

فالغش محرم، سواء كان في البيع، والشراء، والنكاح، والخطبة، والتربية للأولاد،

(١) أخرجه البخاري (٧١٥١)، ومسلم (١٤٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥١).

(٣) أخرجه مسلم (١٠١).

(٤) أخرجه مسلم (١٠٢).

والحكم بين الناس، والقضاء، والولاية، وغير ذلك .

وأسوأ الغش غش الرعية، سواء كان ذلك في الولاية الخاصة، أو العامة.

فالولاية الخاصة: كالعالم والشيخ مع طلابه وتلامذته، والأب مع أولاده وأهله،

ومن ولاه الله ﷺ أمرهم، ونحو ذلك.

والولاية العامة: هي ولاية المسلمين، كالإمام وخليفة المسلمين مع سائر رعيته

فلا بد من النصح للرعية في سلوك السبيل الصحيح .

قوله: «مَا مِنْ عَبْدٍ» أي: عبد من عباد الله ﷺ: سواء كان من الرجال، أو من

النساء.

قوله: «يَسْتَرِعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً»: عامة سواء كانوا من الرجال، أو من النساء، أو من

الكبار، أو الصغار، وسواء كانوا قليلاً، أم كثيراً.

قوله: «يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ» أي: أنه يلزم الغش من غير توبة، فلعله يبعث على

حياته .

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رضي الله عنه-، قَالَ: سَمِعْتُ

النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»^(١).

وجاء في صحيح الإمام مسلم ﷺ أيضاً: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رضي الله عنه-، قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ،

ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ»^(٢).

قوله: «وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ» أي: مات على هذا الفعل القبيح، وهو غاش لرعيته؛

لم ينصح لهم، ولم يأمرهم بالمعروف، أو ينهاهم عن المنكر، ولم يحذرهم من الشر

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٩).

والضرر، ولم يعلمهم الكتاب والسنة .

بل تركهم كالبهائم، لا يعرفون ما أمرهم الله ﷻ به، ولا ما نهاهم الله ﷻ عنه .

فالذي يجب علينا جميعاً: رجالاً ونساءً أن نتعلم دين الله ﷻ، وأن نعمل بما

تعلمنا، ونسأل الله ﷻ أن يعلمنا .

ونحرص كل الحرص على تعلم الكتاب والسنة بقدر ما نستطيع، فالمعرض عن

العلم لا يتعلم، كيف سيصله وهو معرض عنه .

قوله: «إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»: وهذا يحمل على الدخول الأولي للجنة؛ لأن

أصحاب الكبائر تحت مشيئة الله ﷻ؛ إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم .

أو يحمل على الوعيد، وعلى الجزاء إن جازاه الله ﷻ على فعله هذا .

وفي الصحيحين، واللفظ للإمام البخاري: من حديث ابنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما-: «أَنَّ رَسُولَ

اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ» وَزَادَ اللَّيْثُ، قَالَ يُونُسُ: كَتَبَ رُزَيْقُ بْنُ حُكَيْمٍ إِلَى ابْنِ

شِهَابٍ، وَأَنَا مَعَهُ يَوْمَئِذٍ بِوَادِي الْقَرَى: هَلْ تَرَى أَنَّ أُجْمَعَ وَرُزَيْقُ عَامِلٌ عَلَى أَرْضٍ

يَعْمَلُهَا، وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ السُّودَانِ وَغَيْرِهِمْ؟ - وَرُزَيْقُ يَوْمَئِذٍ عَلَى أَيْلَةَ - فَكَتَبَ ابْنُ

شِهَابٍ، وَأَنَا أَسْمَعُ: يَأْمُرُهُ أَنْ يُجْمَعَ، يُخْبِرُهُ أَنْ سَأَلِمَا حَدَّثَهُ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ -رضي الله عنهما-

، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ

رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ

فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»

قَالَ: - وَحَسِبْتُ أَنَّ قَدْ قَالَ - «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ

رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).



(١) أخرجه البخاري (٢٤٠٩)، ومسلم (١٨٢٩).

بيان وجوب الرفق بالرعية

١٥٠٤ - (وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَشَقَّ عَلَيْهِ، فَاشْتَقَّ عَلَيْهِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان وجوب الرفق بالرعية.

وفيه قصة: ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِمَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أَخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «اللَّهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْتَقَّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ».

فحديث الباب يدل على وجوب الرفق بالرعية، حيث أن النبي ﷺ دعا على من يشق عليهم بأن الله ﷻ يشق عليه، وهذا قد يشمل المشقة في الدنيا، والآخرة.

وفي الصحيحين: من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ، فقالوا: السام عليك، فقلت: بل عليكم السام واللعة، فقال: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» فلت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: " قلت: وعليكم

"^(٢)

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٢٧).

بيان وجوب الرفق بالرعية

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه، -، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حُرِمَ الرَّفْقَ، حُرِمَ الْخَيْرَ أَوْ مَنْ يُحْرَمُ الرَّفْقَ، يُحْرَمُ الْخَيْرَ»^(١).
وعن عائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» أخرجہ مسلم .

قوله: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا»: سواء كان هذا الشيء قليلاً، أم كثيراً، صغيراً، أم كبيراً، وسواء كانت الولاية عامة، أم الخاصة.
فعلى كل مسلم أن يتقى الله في نفسه، وأن يراقب الله صلى الله عليه وسلم في جميع شأنه.
والمراد بالأمة: أمة الإجابة.

شيئاً: نكرة في سياق الإثبات، فتفيد العموم كما تقدم.
قوله: «فَشَقَّ عَلَيْهِ، فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ» أي: أن الجزء من جنس العمل، فمن شق على المسلمين في ولايته عليهم شاق الله عليه في الدنيا، وفي الآخرة.
ومن رفق بالمسلمين رفق به في الدنيا، وفي الآخرة، والله الموفق.



(١) أخرجہ مسلم (٢٥٩٢).

بيان تحريم الضرب في الوجه

١٥٠٥ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَتَجَنَّبِ الْوَجْهَ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان تحريم الضرب في الوجه.

حديث الباب يدل على تحريم ضرب الوجه عند المقاتلة .

و وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الوسم في الوجه .

ففي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث جابر - رضي الله عنه -، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، عَنِ الضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ، وَعَنِ الْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ»^(٢).
فإن أكرم ما في الإنسان وجهه.

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ

الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾^(٣).

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم وضرب الوجه حتى مع زوجته.

لما جاء في سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث معاوية القشيري رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟، قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، أَوْ اكْتَسَبْتَ، وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحَ، وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ»^(٤)، قَالَ

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٩)، ومسلم (٢٦١٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (٢١١٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٢١٤٢)، وقال الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف أبي داود: حسن صحيح.

وحسنه الإمام الوادعي رضي الله عنه في الصحيح المسند (١١١٣).

بيان تحريم الضرب في الوجه

أبو داود: " وَلَا تُبَحِّحْ أَنْ تَقُولَ: قَبَحَكَ اللَّهُ ".

فلا يجوز ضرب الوجه بحال، حتى في حال القتال مع الكفار والمشركين.

لأن النبي ﷺ نهى عن المثلة.

ففي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث بُرَيْدَةَ بن الحصيْب - رضي الله عنه - قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْ صَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا»^(١).

وتتمة الحديث: «إن الله خلق آدم على صورته»، وقد اختلف العلماء في معنى الحديث فقال بعضهم الضمير يعود إلى آدم عليه السلام، وقال بعضهم الضمير يعود إلى الله ﷻ .

وأي كان فإن الصورة ثابتة لله ﷻ على ما يليق بوجهه، من هذا الحديث أو غيره.



(١) أخرجه مسلم (١٧٣١).

التحذير من الغضب

١٥٠٦ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) - : "أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْصِنِي. فَقَالَ: «لَا تَغْضَبُ»، فَرَدَّدَ مَرَارًا. قَالَ: «لَا تَغْضَبُ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الحديث لبيان التحذير من الغضب.

قوله: «وَعَنْهُ أَنْ رَجُلًا»: جارية بن قدامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فعند الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسنده: من طريق الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَمِّ لَهُ يُقَالُ لَهُ: جَارِيَةُ بِنُ قُدَامَةَ السَّعْدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي قَوْلًا يَنْفَعُنِي، وَأَقْلِلْ عَلَيَّ لَعَلِّي أَعْمِيهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَغْضَبُ"، فَأَعَادَ عَلَيْهِ حَتَّى أَعَادَ عَلَيْهِ مَرَارًا كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ: "لَا تَغْضَبُ"^(٢).

قوله: «قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْصِنِي».

فيه: استحباب طلب الوصية من العالم، والفاضل، والأب، وأهل الشأن.

قوله: "فَقَالَ: «لَا تَغْضَبُ»": وهذه الوصية من جوامع الكلم التي أوتيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقد جمع في هذه الوصية القليلة الكلمات معاني الدين كله.

لأن الغضب يجر على صاحبه الوقوع في كثير من المعاصي، والكبائر، والذنوب، والخطايا، والسيئات.

فقد يقتل، وقد يظلم، وقد يطلق زوجته، وقد يعتدي، وقد يسب، وقد يشتم، وقد يغتاب، وقد ينم، وقد يحسد، وقد يغل، وقد يبغض، وقد يكره، وقد يسيء الظن، وقد

(١) أخرجه البخاري (٦١١٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٣٥٧).

التحذير من الغضب

يفعل المنكرات، وكل هذا بسبب الغضب.

قوله: «فَرَدَّدَ مِرَارًا» أي: أن النبي ﷺ كرر قوله لا تغضب؛ لما في هذه الوصية من النفع في الدنيا، والآخرة.

قوله: "قَالَ: «لَا تَغْضَبُ»".

أخرج الإمام أحمد رحمه الله في مسنده: عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - رحمه الله - قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي؟ قَالَ: "لَا تَغْضَبُ" ^(١).
قَالَ: قَالَ الرَّجُلُ: "فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَ، فَإِذَا الْعِزْبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ".



(١) أخرجه أحمد (٢٣١٧٢).

بيان تحريم التخوض في مال الله ﷻ بغير حق

١٥٠٧ - (وَعَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ^(١) فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان تحريم التخوض في مال الله ﷻ بغير حق.

التخوض في مال الله ﷻ بغير حق له طرق:

الأولى: أن يصرف في الحرام. الثانية: أن يؤخذ ويكتسب من الحرام.

الثالثة: أن يقع في صرفه ولو في الحلال والمباح المجاوزة والإسراف والتبذير.

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:

«لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»^(٣).

والمال شأنه عظيم حتى أن المرء في القيامة يُسأل عنه في حالين:

الحال الأول: من أين اكتسبه، أمن حلال، أم من حرام.

الحال الثاني: وفيما أنفقه، أفي الحلال، أم في الحرام.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ

(١) أي: يتصرفون في مال المسلمين بالباطل.

(٢) أخرجه البخاري (٣١١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٨٣).

بيان تحريم التخوض في مال الله بغير حق

عَلِمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»^(١).

والمال أيضًا له أحكامه، ويدخل فيه كل ما يتمول، سواء كان من النقدين: الذهب، أو الفضة، أو كان من غيرهما.

قوله: «إِنَّ رَجَالًا»: خرج مخرج الغالب، وإلا فالحكم يشمل الرجال والنساء.

قوله: «بِتَخَوُّصُونَ فِي مَالِ اللَّهِ»: والتخوض في مال الله ﷻ يكون بعدة أشياء:

الأول: في جمعه من غير حله .

الثاني: في صرف، ونفقته في غير حله .

الثالث: منع الزكاة الواجبة منه .

الرابع: منع النفقة الواجبة فيه على الزوجة، والأولاد، والأبوين إن كانا فقراء

محتاجين .

الخامس: البخل في إخراج الصدقة المستحبة منه: للفقراء، وللمساكين، واليتامى،

والأرامل، وغيرهم من المحتاجين.

السابع: أن يستخدم المال في أذية المسلمين بالرشوة، وغير ذلك.

قوله: «بِغَيْرِ حَقٍّ»: خرج بذلك لو كان التخوض فيه بحق.

ما إذا أنفق المال في أوجه الخير، واكتسبه من الحلال .

ومن كان هذا هو حاله فإن الله ﷻ قد أثنى عليه في آيات كثيرات.

يقول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَكْتَسِبُونَ كَسْبًا طَيِّبًا يَكْفُونَ لَهُمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ فِي حَقِّ مَا كَسَبُوا مِنْهُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَبْذُلُونَ صَدَقَاتِهِمْ سِرًّا وَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَكْفُونَ صَدَقَاتِهِمْ سِرًّا وَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ويقول الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف الترمذي.

بيان تحريم التخوض في مال الله بغير حق

وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

قوله: «فَلَهُمْ» أي: جزاء صنيعهم وتخوضهم في مال الله ﷻ بغير حق.

قوله: «النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»: قال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ
الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ
هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].



بيان تحريم الظلم

١٥٠٨ - (وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ - قَالَ: «يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»^(١)). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان تحريم الظلم .

وقد تقدم معنا في أحاديث سابقة أن الظلم من الكبائر؛ لما جاء فيه من الوعيد، وأنه يكون على أصحابه يوم القيامة ظلمات.

قوله: «وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: وهو جندب بن جنادة رحمه الله.

قوله: «عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ -»: أي: أن هذا الحديث هو حديث قدسي.

قوله: «يَا عِبَادِي»: إضافة ملك وخلق وقهر .

قوله: «إِنِّي حَرَمْتُ»: أي: منعت .

قوله: «الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي»: وتحريم الظلم على نفسه يدل على عدله، وعلى كرمه، وإحسانه، وجوده، وتفضله على عباده.

يقول الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، وهو طرف من حديث طويل.

بيان تحريم الظلم

ويقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٤٤).

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٤٩).

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَابِعٍ ﴾ (١٠١).

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٧٦).

بيان معنى الظلم:

والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه.

والله ﷻ الملك ملكه، والخلق خلقه، وكلهم وتحت تصرفه وتديره، وأفعاله على مقتضى حكمته عمله.

وفي سنن الإمام ابن ماجه ﷺ: من طريق عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ، خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ دِينِي وَأَمْرِي، فَأَتَيْتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: أبا المُنْذِرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ، فَخَشِيتُ عَلَى دِينِي وَأَمْرِي، فَحَدَّثَنِي مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَدَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَدَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ جَبَلٍ أُحُدٍ ذَهَبًا، أَوْ مِثْلُ جَبَلٍ أُحُدٍ تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا قَبِلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ» وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ أَخِي عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَتَسْأَلَهُ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ، فَسَأَلْتُهُ، فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ أَبِي وَقَالَ لِي: وَلَا

بيان تحريم الظلم

عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِي حُدَيْفَةَ، فَأَتَيْتُ حُدَيْفَةَ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَا، وَقَالَ: أَنْتَ زَيْدُ بَنِ ثَابِتٍ، فَسَأَلْتُهُ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ كُلِّهِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ»^(١).

﴿ بيان هل يجوز لله ﷻ أن يعذب بغير ذنب؟ ﴾

ذهب أهل البدع من الجبرية وغيرهم، إلى أن الله ﷻ يجوز له أن يعذب بغير ذنب، واستدلوا على ما ذهبوا إليه بمثل الحديث المذكور .

حتى قال السفاريني ﷻ:

من غير ما ذنب ولا جرم جرى

وجاز للمولى يعذب الورى

لأنه عن فعله لا يسأل

فكل ما منه تعالى يجمل

وإن يعذب فبمحض عدله

فإن يثب فإنه من فضله

والحديث وما كان في بابه، معناه لو أن الله أخذ العباد، وجعل أعمالهم مقابلة

لنعمه، ومقاصة لها؛ لكانت نعم الله ﷻ أكثر.

ولكن الله ﷻ يكرم عباده، ويعفو، ويتجاوز عنهم؛ بكرمه، وجوده، وإحسانه،

وفضله العظيم.

قوله: «وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا» أي: في جميع الأديان، والملل.

(١) أخرجه ابن ماجه (٧٧)، وأبو داود (٤٦٩)، ولكن بلفظ أخصر منه. وصححه الإمام الألباني ﷻ في

صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي ﷻ (٣٥٠).

بيان تحريم الظلم

فهو مما اتفقت على تحريمه الشرائع .

ففي المعجم الأوسط للإمام الطبراني رحمه الله: من حديث جابر رضي الله عنه - قال: «لَمَّا قَدِمَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رضي الله عنه - مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، تَلَقَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا نَظَرَ جَعْفَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَجَلَ إِعْظَامًا مِنْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: «يَا حَبِيبِي، أَنْتَ أَشْبَهُ النَّاسِ بِخُلُقِي وَخُلُقِي، وَخُلِقْتَ مِنَ الطِّينَةِ الَّتِي خُلِقْتُ مِنْهَا، يَا حَبِيبِي، حَدَّثَنِي عَنْ بَعْضِ عَجَائِبِ أَرْضِ الْحَبَشَةِ» قَالَ: نَعَمْ، يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ فِي بَعْضِ طُرُقِهَا، إِذَا أَنَا بَعَجُوزٍ عَلَى رَأْسِهَا مِكَتَلٌ، وَأَقْبَلَ شَابٌّ يَرْكُضُ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَزَحَمَهَا، وَأَلْقَى الْمِكَتَلَ عَنْ رَأْسِهَا، فَاسْتَوَتْ قَائِمَةً، وَأَتْبَعْتَهُ الْبَصَرَ، وَهِيَ تَقُولُ: الْوَيْلُ لَكَ غَدًا إِذَا جَلَسَ الْمَلِكُ عَلَى كُرْسِيِّهِ، فَاقْتَصَّ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ. قَالَ جَابِرٌ - رضي الله عنه -: فَظَنَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ صلى الله عليه وسلم وَإِنَّ دُمُوعَهُ لَتَنْحَدِرُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِثْلَ الْجِمَارِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا قَدَسَ اللَّهُ أُمَّةً لَا يَأْخُذُ الْمَظْلُومُ حَقَّهُ مِنَ الظَّالِمِ، غَيْرَ مُتَمَتِّعٍ»^(١).

﴿ بيان أن دعوة المظلوم مستجابة: ﴾

دعوة المظلوم مستجابة، فليس بينها وبين الله صلى الله عليه وسلم حجاب.

لما جاء في الصحيحين: من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فَتَرُدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ،

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٥٥٩)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب للإمام الألباني رحمه الله

بيان تحريم الظلم

فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَآتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١).

وفي السنن: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(٢).

وفي سنن الإمام ابن ماجه -رضي الله عنه-: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تَرُدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ، حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللَّهُ دُونَ الْعَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لَا نُضْرَنَّاكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(٣).

وفي المعجم الكبير للإمام الطبراني -رضي الله عنه-: من حديث خزيمة بن ثابت -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْعَمَامِ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا نُضْرَنَّاكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(٤).

قوله: «فَلَا تَطَّالَمُوا»: وهذا نهى من الله ﷻ، والنهي يقتضي التحريم، وهذا لفظ عام سواء كانت المظالم في الأموال أو الدماء أو غيرها.

والمظالم إن لم تود إلى أصحابها في الدنيا؛ فإنها ستؤدى إليه في الآخرة.

ففي صحيح الإمام مسلم -رضي الله عنه-: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٣٦)، والترمذي (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٨٦٢)، وحسنه الإمام الألباني -رضي الله عنه- في صحيح السنن.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادي -رضي الله عنه- (١٣٥٨)، وأخرجه الترمذي (٣٥٩٨). وصحح الإمام الألباني -رضي الله عنه- الشرط الأول منه في صحيح وضعيف السنن.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٧١٨/٨٤/٤)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب للإمام الألباني -رضي الله عنه-، وفي الصحيحة (٨٧٠).

بيان تحريم الظلم

قَالَ: «اتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِزِّهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحَمِلَ عَلَيْهِ»^(٢).

و تتمه حديث الباب: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُمْكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُحْطِثُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

بيان تحريم الظلم

الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا،
فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(١).

قَالَ سَعِيدٌ: "كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَى
رُكْبَتَيْهِ".

وهذا من أشرف الأحاديث التي رواها أهل الشام.



(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

بيان تحريم الغيبة

١٥٠٩ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «اتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهْتَهُ» (١).

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه هذا الحديث لبيان تحريم الغيبة.

وحديث الباب يدل على تحريم الغيبة، وهي ذكرك أخاك بما يكره.

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

فجعل الله صلى الله عليه وسلم المغتاب كالأكل من لحم الرجل الميت، وهذا مما يدل على حرمتها، والتحذير الشديد منها، وبشاعتها.

وقد سبق معنا في حديث المفلس كيف تؤخذ حسنات من يغتاب المسلمين يوم القيامة، ثم يطرح عليه من سيئاتهم والعياذ بالله صلى الله عليه وسلم.

وهي تعتبر من ظلم الأعراس.

وهي من الكبائر؛ للوعيد الذي جاء فيها؛ فإنها من أسباب عذاب القبر.

وجاء في سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).

بيان تحريم الغيبة

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا عَرَجَ بِي مَرَزْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ يَخْمُسُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ، قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»^(١).

وفي سنن أبي داود رحمه الله: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ - رضي الله عنه - فَخَرَجَ إِلَيْنَا فَجَلَسَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنُهُ اللَّهُ رَدَعَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»^(٢).

بيان أن الغيب محرمة بالكتاب وبالسنة وبالإجماع:

أما من الكتاب: فقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

وأما من السنة: فالأحاديث السابقة، وحديث الباب الذي في سنن الإمام أبي داود رحمه الله: عن عَائِشَةَ - رضي الله عنها -، قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةَ، فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: «مَا أَحَبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا»^(٤).

وأما الإجماع: فقد انعقد الإجماع على تحريم الغيبة إذا كانت لغير مصلحة

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٧٨)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود، وفي الصحيحة (٥٣٣). وهو في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٣٩). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١١٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٩٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود رحمه الله، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٧٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٧٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٥٩٤).

بيان تحريم الغيبة

شرعية.

فينبغي للإنسان أن يتحرز من هذه البلية العظيمة التي قل ما يسلم منها المؤمن.

قوله: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟**» أي: الغيبة المحرمة الممنوعة التي تحاسبون عليها عند

الله ﷻ يوم القيامة.

قوله: «**قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**»: وهكذا كان الصحابة ﷺ في حال حياة النبي

ﷺ يردون العلم إلى الله ﷻ، وإلى رسوله ﷺ؛ لأنه هو المبلغ عن الله ﷻ، ولكن في

الأمر الشرعية فقط.

أما في الأمور الغيبية، فلا يقال إلا الله ﷻ أعلم .

أما بعد موت النبي ﷺ فيقال الله أعلم، وهذا هو المعروف عن السلف الصالح

رضوان الله عليهم، سواء كان ذلك في الأمور الغيبية، أم في الأمور الشرعية.

وبعض أهل العلم يجيز أن يقال الله ورسوله أعلم في الأمور الشرعية حتى بعد

موت النبي ﷺ.

لكن لم ينقل عن الصحابة ﷺ أن أحداً منهم قال ذلك بعد موت النبي ﷺ .

قوله: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ**»: وهذا ضابط الغيبة المحرمة.

كأن يقال فيه: بخيل، أو قصير، أو يمشى كمشيته إذا كان أعرج وهو يكره ذلك، أو

يوصف بشيء هو يكرهه، أو غير ذلك مما يكون فيه ذم للمسلم.

قوله: «**قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَحْيٍ مَا أَقُولُ؟**» أي: إذا قيل في المسلم ما هو فيه،

كأن يقال فيه: هو قصير، أو فلانة قصيرة، وهما فيهما القصر فعلاً، أو يقال فلانة غير

جميلة، أو يقال فيه عور، أو فيها عيب في الخلقة، وهكذا.

قوله: «**قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ**»: فبين النبي ﷺ للصحابة ﷺ أنه

إن كان فيه ما يقال فيه، وهو حق، وصدق، ولكنه يكره أن يقال فيه ذلك، أو يوصف

بيان تحريم الغيبة

بذلك، فهذه هي الغيبة.

قوله: «وَأِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهْتَهُ»: وبين النبي ﷺ أن الغيبة إذا لم تكن بحق، وصدق،

وكان فيها الكذب، والمبالغة، وغير الحق، فهي من البهت .

لأنه جمع بين الغيبة والكذب .

فمن تكلم في أخيه بغير حق، يكون قد جمع بين كبيرتين كبيرة الغيبة، وكبيرة

الكذب والبهتان .

يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ

أَحْتَمَلُوا بُهْتَنَا وَإِنَّمَا مِثْلُنَا﴾.

بيان حكم النميمة:

والنميمة محرمة في الشرع، وهي كبيرة من كبائر الذنوب، وعظيمة من عظام

الآثام وهي أخت الغيبة.

ولكن النميمة: هي القالة بين الناس.

أي نقل الكلام من شخص إلى آخر من أجل الإفساد بينهم، أو من أجل زرع

الخلاف والشقاق بينهم، أو من أجل التفريق بينهم، ولا سيما إذا كانوا جيران، أو

أصدقاء، أو أخوة، أو غير ذلك.

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم: ^(١) من طريق هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ

يُنْقَلُ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمِيرِ، فَكُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: الْقَوْمُ هَذَا مِمَّنْ يُنْقَلُ

الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمِيرِ، قَالَ: فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا فَقَالَ حُذَيْفَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: سَمِعْتُ رَسُولَ

اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ».

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

بيان تحريم الغيبة

﴿ والقَات: هو النمام.﴾

وقد جاء مصرحاً به في رواية الإمام مسلم رضي الله عنه في صحيحه: من حديث حُذَيْفَةَ - رضي الله عنه -، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنْمُ الْحَدِيثَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ».

فهذا الوعيد يدل على أن النميمة من كبائر الذنوب، ومن عظام الآثام. فصاحب النميمة متوعداً بعدم دخول الجنة، إما دخولاً أولياً، أو يحمل على الوعيد والزجر عن مثل هذا الفعل الخبيث الذي يفسد بين الناس، وربما يؤدي إلى القتال، وسفك الدماء، وغير ذلك من المفاسد.

﴿ والنميمة من أسباب عذاب القبر:﴾

ففي الصحيحين: من حديث ابن عباس رضي الله عنهما -، قَالَ: "مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِحَائِطٍ مِنْ حَيْطَانِ الْمَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الْآخَرَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ». ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَبْسَا» أَوْ: «إِلَى أَنْ يَبْسَا»^(١).

وقد ذكرها الإمام المجدد في كتاب التوحيد في باب السحر دليل على أن التمام قد يفعل ما لا يفعله الساحر من الفساد والإفساد.



(١) أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

بيان تحريم الحسد والنجش والتباغض والتدابير

١٥١٠ - (وَعَنْهُ - ﷺ) - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْدُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ، - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان تحريم الحسد والنجش والتباغض والتدابير وما

في بابه .

قوله: «لَا تَحَاسَدُوا» فيه: تحريم الحسد وأنه أيضًا من كبائر الذنوب، وعظائم الآثام.

وقد تقدم بيان حكم الحسد، وأضراره.

والحسد: هو تمنى زوال النعمة عن الغير.

وهو من أسباب تولد الحقد بين المسلم وأخيه، ومن أسباب الكراهة، والبغضاء بين المسلمين.

قوله: «وَلَا تَنَاجَشُوا» والنجش: هو الزيادة في ثمن السلعة دون قصد الشراء، وإنما لقصد الإضرار بالغير.

فهو نوع من أنواع البيوع المحرمة؛ لأنه يدخل على الناس في أسعارهم الزيادة في الثمن دون قصد الشراء منه .

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

فيشتريها المشتري بثمن زائد على سعرها، وهذا فيه حيلة، وأذية للمسلمين.

﴿ بيان حكم النجش: ﴾

والنجش لا يجوز، بل هو محرم لنهي النبي ﷺ عنه كما في هذا الحديث، وفي غيره من الأدلة.

وكل شيء فيه أذية وضرر على المسلمين؛ فهو محرم.

ورواية أخرى في الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا...»**^(١).

﴿ بيان الفرق بين التجسس والتجسس: ﴾

قيل: بأن التجسس: يكون في السر.

والتجسس: يكون في الأمور العلنية.

يقول الله ﷻ: ﴿يَبْنِيْ اٰذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُوسُفَ وَاٰخِيْهِ وَلَا تَأْتِسُوْا مِنْ رَّوْحِ اٰلِهٖ

اِنَّهٗ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْحِ اٰلِهٖ اِلَّا الْقَوْمُ الْكٰفِرُوْنَ ﴿٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

﴿ بيان حكم التجسس والتجسس: ﴾

وكلاهما لا يجوز، بل هما من الأمور العظيمة الذي نهى النبي ﷺ؛ لما فيهما من كشف عورات المسلمين، وفضحهم.

والنبي ﷺ حث ورغب في الستر على المسلمين، وبين أن من ستر مسلماً في الدنيا ستره الله ﷻ في الدنيا وفي الآخرة.

﴿ بيان حكم التجسس على المسلمين للكفار وللمشركين: ﴾

والتجسس على المسلمين لصالح الكفار والمشركين يوجب قتل صاحبه أما ردة

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣).

وإما حداً .

ففي الصحيحين: من طريق عبيد الله بن أبي رافع، قال: سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه، يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَا وَالزُّبَيْرُ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ رضي الله عنه، -، قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاحٍ، فَإِنَّ بِهَا طَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا»، فَاذْهَبْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلَنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالطَّعِينَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَاتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ آتَخِدَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ صَدَقَكُمْ»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ" ^(١).

• **والشاهد:** أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرادته قتله.

ولكن بين لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن حاطبًا رضي الله عنه من أهل بدر، وأنه من الصحابة رضي الله عنهم، وأن أهل بدر قد شملهم الله صلى الله عليه وسلم بمغفرته؛ حتى أن أحدهم لو وقع في ذنب من الذنوب؛ فإنه يوفق للتوبة منه، أو أنهم يوقفون لعدم الوقوع في الذنب أصلاً.

وجاء في رواية أخرى في صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، -،

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «وَلَا تَنَافَسُوا»^(١).

بيان حكم التنافس:

والتنافس في أمور الآخرة، والمسارعة إلى الخيرات، والمسابقة إلى القربات، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة، من الأمور المطلوبة من المؤمن، والتي تدل على كمال إيمانه، وعلى عظم يقينه بربه سبحانه وتعالى.

ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿خْتَمَهُمُ مِّسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(٢).

وأما ما جاء من النهي عن التنافس، فهو التنافس في أمور الدنيا الذي تسبب للمسلمين سفك الدماء، وانتهاك الأعراض، والشحناء، والبغضاء، والكرهية، والغل، والحسد، والحققد، وغيرهما من الأمراض.

فالتنافس في أمور الدنيا، والأموال المحرمة: من جمع الأموال ولو من غير حلها، ومن التباهي بالمساكن، وبالسيارات، وأمور الدنيا.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغِضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ»^(٣).

قوله: «وَلَا تَبَاغِضُوا» التباغض: هو تنافر القلوب الذي يؤدي إلى تدابر الأبدان، وإلى الأعراض فيما بين المسلمين مع بعضهم بعضاً.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٢).

قوله: «وَلَا تَدَابَرُوا» والتدابير: يكون في الأبدان، كما أن التباغض يكون في القلوب، وكلاهما محرم وكبيرة.

قوله: «وَلَا يَبِعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ»: لما يورث من الشحنة والبغضاء، والفرق بين هذا البيع والنجش أن البيع على بيع الأخ يريد الشراء، والنجش لا يريد الشراء، إنما يريد رفع ثمن السلعة، وكلاهما يجر إلى مفسد دينية ودنيوية . فالواجب على المسلم أن يعامل المسلمين بما يحب أن يعامل به، وأن يحب للمسلمين من الخير ما يحب لنفسه، وأن يكره لهم من الشر ما يكره لنفسك.

قوله: «وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»: وهذا إجمال بعد تفصيل، فالواجب على المسلمين أن يكون عباد الله ﷻ إخواناً فيما بينهم في جميع شأنهم. وأن لا يتسببوا بضعف هذه الأخوة الإسلامية بأي عمل من الأعمال التي تتسبب في الشقاق، والمخاصمة، والبغضاء، والغل، والحسد، والحقد، والأمراض القلبية التي تضعف من قوة المسلمين.

قوله: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ».

و يكون الأخ عوناً لأخيه: في أمور دنياه، وأمور دينه، وأمور آخرته.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

فهذه أخوة الدين الذي أثبتها الله ﷻ في كتابه، وأثبتها النبي ﷺ في سنته والأخ مع أخيه يكون في شأنه كله على أحسن حال.

وفي الصحيحين: من حديث أبي موسى -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(١). "وَسَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ".

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٦)، مسلم (٢٥٨٥).

وفي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرَ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(١).

قوله: «لَا يَظْلِمُهُ»: فلا يجوز للمسلم أن يظلم أخيه المسلم في نفسه، ولا في ماله، ولا في عرضه، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» أخرج مسلم، وقد تقدم بيان فساد الظلم ومضرته الدينوية والأخروية.

قوله: «وَلَا يَخْذُلُهُ»: ولا يجوز للمسلم أن يخذل أخيه المسلم في رفع المظلمة عنه من أخيه المسلم الذي اعتدى عليه، وهو قادر على رفع المظلمة عنه.

وفي صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه: من حديث أَنَسِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجِرُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»^(٢).

وجاء الحديث في صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث جَابِرٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: "اقتتلَ غُلَامَانِ غُلَامٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَغُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَنَادَى الْمُهَاجِرُ أَوْ الْمُهَاجِرُونَ، يَا لَلْمُهَاجِرِينَ وَنَادَى الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «مَا هَذَا دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ غُلَامَيْنِ اقْتَتَلَا فَكَسَعَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، قَالَ: «فَلَا بَأْسَ وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ، فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٤).

قوله: «وَلَا يَحْقِرُهُ» أي: لَا يَحْتَقِرُهُ فَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَصْغِرُهُ.

سواء كان المسلم ضعيفاً، أو فقيراً، أو جاهلاً، أو وضعياً ليس له أسرة تحميه، أو غير ذلك، فالمسلم قوي بأخيه المسلم، فلا يجوز الاحتقار له بأي وجه من الوجوه.

فالتقوى ميزان التفاضل بين الناس عند الله ﷻ، يقول الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾»، والمؤمن خير من ملء الأرض من الكفار، والمشركين، والملحدن، والمنافقين الاعتقاديين، ومن إليهم.

ففي صحيح الإمام البخاري: من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ، - قَالَ: "مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»^(١).

قوله: «التَّقْوَىٰ هَا هُنَا، - وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ» ففي الصحيحين: من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - ﷺ، - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٢).

قوله: «بِحَسَبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ» أي: يكفي الإنسان أن يكون شره احتقار المسلم،

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

فكيف إذا ضربه أو شتمه أو انتهك عرضه .

قوله: «أَنْ يَحْقِرَ أَحَاهُ الْمُسْلِمَ»: فذكر النبي ﷺ الاحتقار؛ حتى ينبه على أن ما

فوقه .

قوله: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»: فلا يجوز ظلمه في

عرضه: بقذفه، وسبه، وشتمه، ولا يجوز ظلمه في ماله: بأخذ ماله، أو بسرقة، ولا
يجوز ظلمه في دمه: بقتله، أو جرحه، فالمسلم محرم على أخيه المسلم، فلا يجوز له
أن يفعل به شيء يتأذى منه.

وحق الحديث أكثر من هذا، ولكن هذه إشارة تغني عن كثرة العبارة .

والحمد لله رب العالمين



الاستعاذة من منكرات الأخلاق

١٥١١ - (وَعَنْ قُطْبَةَ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَذْوَاءِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَاللَّفَّظُ لَهُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان منكرات الأخلاق .

قوله: «قطبة بن مالك»: هو قطبة بن مالك الثعلبي ويقال الثعلبي والأول أصح من بني ثعلبة ويقال الذياني كوفي روى عنه زياد بن علاقة يقال هو عم زياد توفي في حدود الستين وروى له مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.

قوله: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -»: تفيد اللزوم والاستمرار.

قوله: «يَقُولُ» أي: يقول هذا في دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي» أي: باعد بيني وبين هذه الأمور المذكورة .

قوله: «مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ» أي: سيء الأخلاق .

وهي كل خلق يخالف ما جاء بالكتاب، والسنة النبوية الثابتة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهي صفات ذميمة فيها تعدي حق الخالق، حق المخلوق.

فالمنكر: كل ما أنكره الشرع .

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنْ رَسُولِ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٥٩٤)، والترمذي (٣٥٩١)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح

وضيف الترمذي (٣٥٩١)، وفي المشكاة (٢٤٧١)، والإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند

(١٠٨٤).

الاستعاذة من منكرات الأخلاق

اللَّهُ ﷻ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ،...»^(١).

فكان النبي ﷺ يدعو الله ﷻ أن يهديه إلى أحسن الأخلاق .

كما يدعو أن يجنبه منكرات الأخلاق، وهذا تعليم للأمة وللحاجة إلى ذلك فقد قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ** " ، فالإنسان بخلقه في الدنيا والآخرة، والأخلاق منها الجبلي والمكتب، كما تقدم، ومنها أعظم أسباب حصول المطلوب الدعاء وأشمله ما دل عليه هذا الحديث .

قوله: «وَالْأَعْمَالِ» أي: النبي ﷺ دعا ربه أن يجنبه منكرات الأعمال: سواء القولية، أو الفعلية، أو الاعتقادية، إذ أن الأعمال تكون بهذه الجوارح فقول أهل السنة في الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح ، فمن أعمال القلوب السيئة سوء الظن، والحسد، والحقد، ونحو ذلك، ومن أعمال اللسان: السب، والشتم، والكذب، ومن أعمال الجوارح: السرقة، والقتل، ونحو ذلك .
فتضمن هذا الدعاء الاستعاذة من كل سيء من الأعمال .

قوله: «وَالْأَهْوَاءِ»: ودعا النبي ﷺ ربه سبحانه وتعالى أن يجنبه أيضًا منكرات الأهواء.

والأهواء: هي التي تهوي بصاحبها إلى البدع، والمحدثات، والخرافات، وربما أوصلته إلى الشركيات والعياذ بالله ﷻ .

يقول الله ﷻ: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ .

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

الاستعاذة من منكرات الأخلاق

ويقول الله ﷻ: ﴿أَفْرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عَٰلَمٍ وَخَمَّ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ

عَلَىٰ بَصَرِهِ عِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾

ويقول الله ﷻ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ

هَوْنَهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

ويقول الله ﷻ: ﴿فَإِنَّكَ فَادِعٌ وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا نَبِيَّ أَهْوَاءَهُمْ﴾

• ويدخل في الاستعاذة من الأهواء الاستعاذة من البدع والشركيات، وما في بابها، فكم أفسدت الأهواء من عقائد الناس ومعايشهم، بل وديانهم وأخراهم .

وفي حديث معاوية بن أبي سفيان، عند أبي داود (٤٥٩٧) أنه قام فينا، فقال: ألا إن رسول الله - ﷺ - قام فينا، فقال: "ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفرق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة - زاد ابن يحيى وعمرو في حديثيهما: - وإنه سيخرج في أمي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه - وقال عمرو: "الكلب بصاحبه - لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله".

وفي سنن الدارمي (١ / ٢٣١): عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: "إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلَ الضَّلَالَةِ، وَلَا أَرَىٰ مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ، فَجَرَّبَهُمْ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَتَحَلَّى قَوْلًا أَوْ قَالَ: حَدِيثًا فَيَتَنَاهَىٰ بِهِ الْأَمْرَ دُونَ السَّيْفِ. وَإِنَّ النَّفَاقَ كَانَ ضُرُوبًا، ثُمَّ تَلَا: ﴿

وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَيْتَ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [التوبة:

٧٥]، ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ

يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [التوبة: ٥٨]، ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ

خَيْرٌ لَّكُمْ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة: ٦١] فَاخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ وَاجْتَمَعُوا، فِي الشُّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، وَإِنَّ

الاستعاذة من منكرات الأخلاق

هُؤُلَاءِ اخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ وَاجْتَمَعُوا فِي السَّيْفِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ " وأخرج الدارمي (١ / ٣٤٤): عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: " مَا أَذْرِي أَيُّ النَّعْمَتَيْنِ عَلَيَّ أَعْظَمُ: أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، أَوْ عَافَانِي مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ ".

• ومن أعظم وقوع المرء في الهوى مجالسة أهله، وكان طريق السلف ما قال أبو قلابه: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ» أخرجه الدارمي (٤٠٥).

قوله: «وَالْأَدْوَاءِ» والأدواء: الأمراض والأسقام التي تؤذي الإنسان. وربما لا يجد لها دواء، أو يكون لها دواء ولا يستطيع أن يتوصل إليه لسبب، أو لغيره.

وفي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه وغيره: من حديث أنس رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُدَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ»^(١).

فالإنسان عليه أن يلجأ إلى الله تعالى في دفع الشر قبل أن يقع به، وفي رفعه إذا وقع ونزل به، والله المستعان.



(١) أخرجه أبو داود (١٥٥٤)، والنسائي (٥٤٩٣)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رضي الله عنه (٢٩).

بيان النهي عن المراء والجدال وخلف الوعد

١٥١٢ - (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «لَا تُمَارِ أَخَاكَ، وَلَا تُمَارِزْهُ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفْهُ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ فِيهِ ضَعْفٌ).

الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه هذا الحديث لبيان النهي عن المراء والجدال.

وفي حديث الباب تحريم إخلاف الوعد بدون عذر شرعي.

مع أن حديث الباب لم يثبت، ويغني عنه أدلة أخرى ما في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَيُّهُ الْمُنَافِقُ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ حَانَ»^(٢).

وفي الصحيحين أيضًا: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُؤْتِمِنَ حَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٣).

بيان حكم المراء بين الأخوة:

وفيه النهي عن المراء والجدال.

والحديث ضعيف، ولكن تغني عن أدلة أخرى فإن كان الماء في القرآن ففي سنن

(١) أخرجه الترمذي (١٩٩٥) بإسناد ضعيف، من طريق ليث بن أبي سليم، ضعيف ومختلط.

وضعه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف الترمذي (١٩٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»^(١).

المراء به: المراء والجدال في القرآن الذي قد يوصل صاحبه إلى الكفر، حيث أنه قد ينكر بعض ما جاء فيه .

فإذا كان المراء يؤدي إلى رد القرآن، أو رد بعض آياته، أو إلى تحريف معاني القرآن والسنة فهو باطل أما إن كان سيؤدي إلى إظهار الحق؛ فهذا محمود .

ففي سنن أبي داود رحمه الله أيضًا: من حديث أبي أمامة رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»^(٢).

قوله: «لَا تُمَارِ أَخَاكَ»: على ما سبق أي لا تجادله مجادلة تؤدي بك، أو تؤدي به إلى الوقوع في الباطل، أو رد الحق .

قوله: «وَلَا تُمَارِحْهُ»: أي: لا تمازح أخاك بمزاح يؤدي إلى أذيته .

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»^(٣).

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من طريق عبد الله بن السائب بن يزيد، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٣)، وقال الإمام الألباني رحمه الله فيه: حسن صحيح .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن .

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٠٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٤٥٦).

بيان النهي عن المراء والجدال وخلف الوعد

جَدِّهِ - ﷺ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ عَصَا أَخِيهِ لَاعِبًا أَوْ جَادًّا، فَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيُرِدَّهَا إِلَيْهِ»^(١).

قوله: «وَلَا تَعِدُهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفْهُ»: يقول الله ﷻ: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّهُ اللَّهُ عَلَّمَ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ [التوبة: ٧٥-٧٨]..

والله المستعان



(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٠)، وأبو داود (٥٠٠٣)، وحسنه الإمام الألباني ﷺ في صحيح السنن. وفي الإرواء (١٥١٨). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي ﷺ (١٢٠٢).

ذم البخل وسوء الخلق

١٥١٣ - (وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَصَلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ، وَسُوءُ الْخُلُقِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان ذم البخل وسوء الخلق. والحديث ضعيف في سنده صدقة بن موسى الدقيقي ضعيف، وعلى فرض ثبوته يكون معناه: المؤمن كامل الإيمان لا يكون بخيلاً، ولا ذا خلق سيء. إذ أن المؤمن قد يكون عنده نوع بخل، وقد يكون فيه سوء خلق.

قوله: «حَصَلَتَانِ» أي: خلتان.

قوله: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ»: خبر يراد به النهي أي ينبغي أن لا يجتمعان في المؤمن.

قوله: «الْبُخْلُ»: فالبخل صفة ذميمة لا تليق بمؤمن، إذ أنه من صفات المنافقين، واليهود ومن إليهم.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (١٩٦٢) وقال: «غريب لا نعرفه إلا من حديث صدقة بن موسى»، وهو

الدقيقي، ضعيف. وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي (١٩٦٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

ذم البخل وسوء الخلق

وفي الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله: من حديث جابرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلِمَةَ؟» قُلْنَا: جُدُّ بَنِي قَيْسٍ، عَلَى أَنَا بُخْلُهُ، قَالَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟ بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ»، وَكَانَ عَمْرُو عَلَى أَصْنَامِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يُؤْلِمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَزَوَّجَ" (١).

قوله: «وَسُوءُ الْخُلُقِ» أي: سيء الأخلاق، وقد تقدم ذكر بعضها .

فينبغي للمسلم أن يلازم الأخلاق الحسنة، وأن يكتسبها اكتساباً إذا لم تكن فيه جبلة.

وقد كان النبي ﷺ كما سبق يدعو الله ﷻ أن يهديه لأحسن الأخلاق.
والله أعلم.



(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد (٢٢٦/٢٩٦). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٢٢٦).

بيان النهي عن سب، وعن الاعتداء على المسلمين

١٥١٤ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا، فَعَلَى الْبَادِي، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان النهي عن السب.

قوله: «الْمُسْتَبَانِ»: سواء كانوا من الرجال، أو النساء، أو كانوا من الرجال والنساء فيما بينهم.

وحديث الباب فيه النهي عن السب، وأنه من المحرمات؛ لأنه ظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة.

قوله: «مَا قَالَا» أي: من الأقوال التي فيها السب، والشتم، وفيها التعدي على العرض، أو النفس، أو المال.

قوله: «فَعَلَى الْبَادِي» أي: يكون الإثم على من بدأ في السب، والشتم، والاعتداء.

قوله: «مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»: فإذا حصل من المظلوم التجاوز والاعتداء. فالاعتداء: قد يكون قولاً، أو فعلاً.

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾، ويقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ

لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾.

قال النووي شرح النووي على مسلم (١٦ / ١٤١): الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا فعلى

(١) أخرجه مسلم (٢٤٨٧).

البادئ مالم يعتد المظلوم) معناه أن إثم السبب الواقع من اثنين مختص بالبادئ منهما كله إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار فيقول للبادئ أكثر مما قال له وفي هذا جواز الانتصار ولا خلاف في جوازه وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة قال الله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل وقال تعالى والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ومع هذا فالصبر والعفو أفضل قال الله تعالى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور وللحديث المذكور بعد هذا ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً واعلم أن سبب المسلم بغير حق حرام كما قال ﷺ سبب المسلم فسوق ولا يجوز للمسبوب أن ينتصر إلا بمثل ما سبه مالم يكن كذباً أو قذفاً أو سباً لأسلافه فمن صور المباح أن ينتصر بيا ظالم يا أحمق أو جافي أو نحو ذلك لأنه لا يكاد أحد ينفك من هذه الأوصاف قالوا وإذا انتصر المسبوب استوفى ظلامته وبرئ الأول من حقه وبقي عليه إثم الابتداء أو الإثم المستحق لله تعالى وقيل يرتفع عنه جميع الإثم بالانتصار منه ويكون معنى على البادئ أي عليه اللوم والذم لا الإثم . اهـ

والله أعلم



بيان تحريم إدخال الضرر والمشقة على المسلمين

١٥١٥ - (وَعَنْ أَبِي صِرْمَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ شَاقَّ مُسْلِمًا شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ).

شرح:

ساق المصنف رضي الله عنه هذا الحديث لبيان تحريم إدخال الضرر والمشقة على المسلمين.

قوله: «عن أبي صرمة»: هو قيس بن مالك بن أنس الأنصاري أبو صرمة هو مشهور بكنيته واختلف في اسمه قيل قيس بن مالك وقيل مالك بن قيس روى عنه ابن محيريز ولؤلؤة ومحمد بن كعب القرظي **وفي حديث الباب:** النهي عن مضارة المسلم، والنهي عن إدخال المشقة عليه، وتحريم ذلك.

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم على من يفعل ذلك بأن الله صلى الله عليه وسلم يجازيه من جنس عمله. **ففي سنن الإمام ابن ماجه رضي الله عنه وغيره:** من حديث ابن عباس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»^(٢).

وهذا الحديث يعتبر قاعدة من قواعد الدين العظيمة التي جاء بها؛ لحماية أعراض الناس، وأموالهم، ودمائهم، وأنفسهم، وعقولهم، ودينهم. فقد جاء ديننا الإسلامي بحماية الضروريات الخمس: "الدين، والنفس، والمال،

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٣٥)، والترمذي (١٩٤٠)، بسند ضعيف، فيه لؤلؤة مجهولة. وحسنه الإمام

الألباني رضي الله عنه في الإرواء (٨٩٦) بشواهد.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٣٤١)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في الإرواء (٨٩٦).

والعرض، العقل".

فلا يجوز للمسلم أن يضر بنفسه، ولا يجوز له أن يضر بغيره، وهذا من أحسن ما فسر به هذا الحديث من كلام أهل العلم، وله تفاسير كثيرة.

قوله: «مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّهُ اللَّهُ» أي: من أدخل الضرر على المسلمين، أو تسبب في ذلك قاصدًا للأذية عليهم، فإن جزاءه سيكون من جنس عمله فالله ﷻ سيشتق عليه في الدنيا، وفي الآخرة.

قوله: «وَمَنْ شَاقَّ مُسْلِمًا شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ»: وهذا فيه أن الجزاء من جنس العمل، ومن تسبب في إدخال المشقة على المسلمين، وتعمد ذلك، وقصد الأذية فإن الله ﷻ سيشتق عليه في الدنيا، وفي الآخرة.

فليحذر المسلم على نفسه من أن يتسبب في إضرار المسلمين، وإدخال المشقة على المسلمين.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنْهَا الْبُعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبُعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «اللَّهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّنِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْتَقَّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّنِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»^(١).



(١) أخرجه مسلم (١٨٢٨).

بيان تحريم الفحش في الكلام والبذاءة واللعن

١٥١٦ - (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبِدِيءَ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ).

١٥١٧ - (وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - رَفَعَهُ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ، وَلَا اللَّعَانُ، وَلَا الْفَاحِشَ، وَلَا الْبِدِيءَ»^(٢). وَحَسَنَتْهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَرَجَّحَ الدَّارَقُطْنِيُّ وَفَّقَهُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان تحريم الفحش والبذاءة في الكلام. وأحاديث الباب تدل على تحريم ذلك.

وفي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث عائشة - رضي الله عنها -، قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَنَسُ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ: «وَعَلَيْكُمْ» قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمْ السَّامُ وَالذَّامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: يَا عَائِشَةُ «لَا تَكُونِي فَاحِشَةً» فَقَالَتْ: مَا سَمِعْتُ مَا قَالُوا؟ فَقَالَ: "أَوْلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذِي قَالُوا، قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ"^(٣).

وأخرجه بلفظ: «مَهْ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفْحُشَ» "وَزَادَ فَانزَلَ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ".

قوله: «أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه -»: وهو عويمر الأنصاري رضي الله عنه.

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٢)، وفي سنده يعلى بن مملك مجهول حال، وله شواهد. وصححه الإمام

الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف الترمذي (٢٠٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٧٧) والحاكم (٢٩) وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في

صحيح وضعيف الترمذي (١٩٧٧)، والإمام الوادعي رضي الله عنه في الصحيح المسند (٨٢٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٦٥).

قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ» فيه: إثبات صفة البغض لله ﷻ، وهي صفة تليق به سبحانه وتعالى لا تشبه صفات المخلوقين، ولا تماثلهما، ولا تكيف، ولا تحرف، ولا تعطل.

يقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ أَنْبِعَانَّهُمْ فَتَبَطَّهْمُ وَقِيلَ لَهُمْ أَعِدُّوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

ونبت لله ﷻ صفة الكراهية، وهي صفة تليق به سبحانه وتعالى من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تكيف.

ويقول الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢-٣].

وكذلك نبت لله ﷻ صفة المقت، وهي صفة تليق به سبحانه وتعالى من غير تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تكيف.
والمقت: أشد الكراهة.

قوله: «الْفَاحِشُ الْبِذِيءُ».

الفاحش: في فعله.

والبذيء: بلسانه، وقوله.

والفحش: هو كل ما عظم فحشه وقبحه في الشرع، واللغة، والعرف.

وذكر المصنف هذه الأحاديث للتحذير من مساوئ الأخلاق.

ففي الصحيحين: من حديث عائشة ؓ: «أَخْبَرْتُهُ قَالَتْ: "اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَيَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اُذُنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، أَوْ ابْنُ الْعَشِيرَةِ» فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْكَلَامَ؟ قَالَ: «أَيُّ عَائِشَةَ،

إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ، أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ، اتَّقَاءَ فُحْشِهِ»^(١).

وقد أشار المصنف رحمه الله في هذا الباب مع صغره إلى عشرات المساوي. والحمد لله رب العالمين.

قوله: «وَلَهُ» أي: للحاكم في مستدركه

«مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَفَعَهُ-» أي: إلى النبي صلى الله عليه وسلم

قوله: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ» فيه: تحريم الطعن في المسلمين .

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ -رحمه الله-، حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «"أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفُحْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ " وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدَرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»^(٢).

وقد جاء في سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رحمه الله-، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَةُ اللَّهِ رَدَعَةَ الْخِبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»^(٣).

وجاء تفسير ردغة الخبال بأنها عصارة أهل النار.

وفي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله: من طريق ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رحمه الله-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ وَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٤)، ومسلم (٢٥٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٩٣٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٥٩٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٧٥٥).

صَبَاحًا، وَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ، فَشَرِبَ، فَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ، فَشَرِبَ، فَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ، أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ رَدْعَةِ الْخَبَالِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رَدْعَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: «عُصَاةُ أَهْلِ النَّارِ»^(١).

قوله: «وَلَا اللَّعَانُ» أي: كثير اللعن، ويراد به الطرد والإبعاد عن رحمة الله ﷻ.

﴿ بيان حكم اللعن بالعين: ﴾

وحدیث الباب فیہ النهی عن اللعن بالعیین .

وقد ذهب جماهير أهل العلم إلى تحريم اللعن المعين الحي: سواء كان الملعون مسلمًا أو كافرًا؛ لأنه دعاء بالطرد وبالإبعاد عن رحمة الله ﷻ. وذهب بعض أهل العلم إلى أنه في حق المسلم العاصي يكون دعاء بالطرد المؤقت.

وقد بسطت القول في ترجيح هذه المسألة في كتابي: "فتح الوهاب في شرح كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب".

﴿ بيان حكم اللعن بالوصف: ﴾

وأما اللعن بالوصف، فهو جائز؛ للزجر من الأفعال القبيحة.

فنقول: لعنة الله على الكاذبين، والظالمين والكافرين، والقرآن مليء بمثل هذا.

يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٣٧٧)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف ابن ماجه. وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي ﷺ (٧٨٦).

أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ .

ويقول الله ﷻ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ .

ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ .

ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ .

ويقول الله ﷻ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ إلى غير ذلك .

والنبي ﷺ قد لعن في الخمر عشرة.

ففي سنن الإمام الترمذي ﷺ: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - ﷺ - قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْخَمْرِ عَشْرَةً: عَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَآكِلَ ثَمَرِهَا، وَالْمُشْتَرِيَ لَهَا، وَالْمُشْتَرَاةَ لَهَا»^(١).

ولعن النبي ﷺ الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، والفالجة .

ففي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ

(١) أخرجه الترمذي (١٢٩٥)، وابن ماجه (٣٣٨١)، وقال الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف

الترمذي: حسن صحيح. و صححه في صحيح وضعيف ابن ماجه. وحسنه الإمام الوادعي ﷺ في

الصحيح المسند (٦١).

وَالْمُوتَشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ». فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللُّوحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتُ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتَ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهَوْا﴾ [الحشر: ٧]؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ، قَالَ: فَادْهَبِي فَاَنْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَظَهَرَتْ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا، فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا^(١).

وفي صحيح الإمام البخاري ﷺ: من حديث أبي هريرة - رضى الله عنه -، عن النبي ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ»^(٢).
ففي الصحيحين: من حديث أسماء بنت أبي بكر - رضى الله عنها -، قَالَتْ: «لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ»^(٣).

وجاء في الصحيحين: من حديث ابن عمر رضى الله عنهما لعن الواشمت والمستوشمت والنامصات والمتنمصات

وفي مسلم: من طريق زيد بن أسلم، أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، بَعَثَ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ - رضى الله عنها - بِأَنْبَاجٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنَ اللَّيْلِ، فَدَعَا خَادِمَهُ، فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَعَنَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُكَ اللَّيْلَةَ، لَعَنْتَ خَادِمَكَ حِينَ دَعَوْتَهُ، فَقَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٣٦)، ومسلم (٢١٢٢).

شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَيَّ الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»^(٢).

قوله: «وَلَا الْفَاحِشَ»: ولا يجوز أيضاً الفحش ويكون الفحش في الأفعال.

قوله: «وَلَا الْبُذِيَاءَ»: وتكون البذاءة باللسان: أي في الأقوال.

والله أعلم.



(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٩).

بيان تحريم سب الأموات لغير مقصد شرعي

١٥١٨ - (وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضُوا إِلَى مَا قَدَّمُوا»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان تحريم سب وشم الأموات لغير مقصد شرعي.

وفي لفظ للإمام الترمذي رحمه الله في سننه: من حديث المغيرة بن شعبة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَتُوذُوا الْأَحْيَاءَ»^(٢).

وحديث الباب، ومع حديث المغيرة بن شعبة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، فهما تحريم سب الأموات؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك. ولما فيه من الأذية على أقربائهم الأحياء، وأذيه المسلم محرمة.

بيان سب نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سب الأموات:

ونهي النبي ﷺ عن سب الأموات لأمر:

الأول: أنهم قد أفضوا إلى ما قدموا من العمل.

الثاني: أنهم عاجزون عن الرد عما قد يتهموا به من الأقوال، ومن الأفعال.

الثالث: أن في سبهم أذية لأقربائهم من الأحياء، كما جاء في حديث المغيرة بن

شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٣).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٨٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي. وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١١٣٤).

بيان حكم السب:

السب من أصله محرم، ولا يجوز؛ لما فيه من أذية على المسلمين .
بل هو من الفسوق، ففي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(١).

ولو تأملنا ما عليه حال أكثر المسلمين اليوم، ولا سيما في وسائل التواصل الاجتماعي: من الفيسبوك، والتساب، والتلجرام، وغير ذلك.
نجد أنهم يسبون الأموات، والأحياء، ويخالفون مثل هذه الأحاديث، ولا يباليون في ذلك.

ويعيرون الأبناء بما فعله آبائهم، وهذا من الظلم؛ لأن الإنسان وإن فعل الفعل القبيح، أو المعصية؛ فإن ولده لا دخل له في فعل أبيه؛ إلا إذا كان فعله مثل فعل أبيه.

بيان أن الجرح والتعديل ليس فيه سب، ولا شتم، لا للأموات، ولا للأحياء:

وليس من سب وشتم الأموات والأحياء جرح أهل البدع، والتحذير من بدعهم، ومخالفتهم لدين الله صلى الله عليه وسلم.

بل هذا فيه النصح للأمة؛ حتى لا يقعوا في مثل ما وقع به أهل البدع والمحدثات، وأهل الفسق، والمعاصي.

ومن يجرح أهل البدع لا يسبهم، أو يشتمهم، وإنما يبين حالهم في الدين، وما كانوا عليه حتى يحذر من فعلهم، وبدعهم، ومخالفتهم لدين الله صلى الله عليه وسلم.

وما يزال أهل العلم يتكلمون فيمن مضى من رواة الحديث، والآثار، وفي أصحاب البدع والأهواء والمحدثات.

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

بيان تحريم سب الأموات لغير مقصد شرعي

ممن كان كذاباً، أو متهمًا بالكذب، أو ممن كان مبتدعًا ويدعو إلى بدعته، أو ممن كان ضعيفاً سيء الحفظ، أو غير ذلك.

قوله: «لا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ»: هذا هو الأصل في تحريم سب الأموات، فلا يجوز.

إلا ما كان من تبين حال أهل البدع والمحدثات حتى يحذرهم الناس .

قوله: «فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا» أي: حال الأموات أنهم قد وصلوا إلى المجازاة على أعمالهم، فلا حاجة لذكرها.



بيان تحريم النميمة وأنها من الكبائر

١٥١٩ - (وَعَنْ حُدَيْفَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح:

ساق المصنف رضي الله عنه هذا الحديث لبيان تحريم النميمة.

حديث الباب يدل على تحريم النميمة، وأنها من كبائر الذنوب وعظائم الآثام؛ للوعيد المذكور في الحديث. والنميمة خلق سيء، تؤدي إلى قطع أواصر الإخاء، والمحبة، والألفة بين المسلمين.

وقد تؤدي إلى سفك الدماء بين الناس .

ولذلك قرن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النميمة بالسحر في كتابه التوحيد.

وقد قيل: يفعل النمام ما لا يستطيع أن يفعله ألف ساحر.

والنمام: هو الذي ينقل الكلام من قوم إلى قوم للإفساد بينهم.

فيجب على المسلم أن يصون نفسه عن مثل هذه الأخلاق الذميمة السيئة. التي لا يتصف بها الكرماء من الناس .

بيان أن الغيبة أهون من النميمة:

والغيبة مع أنها من الكبائر؛ إلا أنها أهون من النميمة في الشر؛ لأنها قد تقتصر على إنسان بعينه، فيذكر ما فيه من الشر.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

بيان تحريم النميمة وأنها من الكبائر

بخلاف النميمة، فإنها قد ينقل الكلام من قوم إلى قوم؛ وهذا الكلام كذب وزور، ولم يقع أصلاً؛ حتى يفسد بينهم، ويزرع بينهم العداوة، والشحناء، والحقد، والغل، وربما تطور بهم الأمر إلى المضاربة، وإلى القتال والعياذ بالله ﷺ. ومن أضرار النميمة أيضاً أنه قد يقع بسببها الطلاق بين الأزواج، ويقع الشر بين الأب مع أبنائه، والأخوة، والأقرباء، والجيران، والقبائل والعشائر، والمسلمين جميعاً.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ مَا الْعِصَةُ؟ هِيَ النَّمِيمةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» أخرجہ مسلم.



بيان فضل كف الغضب

١٥٢٠ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ، كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»).

١٥٢١ - (وَلَهُ شَاهِدٌ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عِنْدَ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا^(٢)).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان فضل كف الغضب.

وفي الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يُؤَلِّدُ لَهُ، قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ بِالرَّقُوبِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا» قَالَ: «فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرْعَةَ فِيكُمْ؟» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجَالُ، قَالَ: «لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٤).

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٣٢٠)، بلفظ: «مَنْ دَفَعَ غَضَبَهُ دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ، وَمَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ»، وأبو يعلى (٤٣٣٨)، من طريق خالد بن برد، قال الذهبي في الميزان: "مجهول".
والحديث قد أنكر عليه. وفيه عبد السلام قال أبو حاتم: "ليس بالقوي"، وقال فيه عمرو بن علي الفلاس: "لا قطع على أحد بالكذب إلا عليه". وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في الضعيفة (٤٦٤٧)، وهو في الصحيحة (٢٣٦٠).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢١) من طريق هشام بن أبي إبراهيم، وهو مجهول.

(٣) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٠٨).

بيان فضل كف الغضب

وجاء في معجم الطبراني الأوسط رحمه الله: من حديث ابن عمر رضي الله عنهما -: «أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ اللَّهُ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَيَّ اللَّهُ سُورُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَيَّ مُسْلِمًا، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْرِدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنَّ أَمْسِيَّ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمِضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَتَيْتَهَا لَهُ أَتَيْتَهَا اللَّهُ صلى الله عليه وسلم قَدَمَهُ عَلَيَّ الصَّرَاطِ يَوْمَ نَزَلَ فِيهِ الْأَقْدَامُ»^(١).

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث سهل بن معاذ، عن أبيه معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيَّ أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم عَلَيَّ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ»^(٢).

والحديث فيه مجهول الحال، وهو سهل بن معاذ، ولكن قد حسنه بعض أهل العلم.

فكل هذه الأحاديث فيها فضل كظم الغيظ لمن كان قادر على إنفاذه، وأنه له أجر عظيم عند الله صلى الله عليه وسلم، قال الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].



(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٠٢٦)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله (٩٠٦)، وحسنه في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١)، وابن ماجه (٤١٨٦)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

بيان الزجر الشديد للخب، وللبخل، ولسوء الملكة

١٥٢٢ - (وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خَبٌّ، وَلَا بَخِيلٌ، وَلَا سَيِّئُ الْمَلَكَةِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفَرَّقَهُ حَدِيثَيْنِ، وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ).

شرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان الذم الشديد للخب، وللبخل، ولسوء الملكة.

قال الصنعاني في سبل السلام (٢ / ٦٧٩): «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ (خَبٌّ) بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ مَفْتُوحَةً وَبِالْمُوحَدَةِ الْخِدَاعِ ... (وَلَا سَيِّئُ الْمَلَكَةِ)، وَهُوَ مَنْ يَتْرُكُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ الْمَمَالِكِ أَوْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي عُقُوبَتِهِمْ، وَمِثْلُهُ تَرَكُهُ لِتَأْدِيبِهِمْ بِالْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ تَعْلِيمِ فَرَائِضِ اللَّهِ وَغَيْرِهَا وَكَذَلِكَ الْبَهَائِمُ سُوءُ الْمَلَكَةِ يَكُونُ بِإِهْمَالِهَا عَنِ الْأَطْعَامِ وَتَحْمِيلِهَا مَا لَا تُطِيقُهُ مِنَ الْأَحْمَالِ، وَالْمَشَقَّةِ عَلَيْهَا بِالسَّيْرِ وَالضَّرْبِ الْعَنِيفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . اهـ



(١) أخرجه الترمذي (١٩٤٧، ١٩٦٤) وفيه فرق بن يعقوب السبخي «ضعيف».

بيان تحريم التجسس على المسلمين

١٥٢٣ - (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَسَمَّعَ حَدِيثَ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْأَنْكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي: الرَّصَاصَ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان تحريم التجسس على المسلمين .

قال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٦٧٩): لَفُظُ الْبُخَارِيِّ مَنْ اسْتَمَعَ، وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ اسْتِمَاعِ حَدِيثِ مَنْ يُكْرَهُ سَمَاعُ حَدِيثِهِ وَيُعْرَفُ بِالْقَرَائِنِ أَوْ بِالتَّضْرِيحِ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ مِنْ رِوَايَةِ سَعِيدِ الْمُقْبِرِيِّ قَالَ: مَرَزْتُ عَلَى ابْنِ عُمَرَ وَمَعَهُ رَجُلٌ يَتَحَدَّثُ فَقُمْتُ إِلَيْهِمَا فَلَطَمَ صَدْرِي وَقَالَ: إِذَا وَجَدْتَ اثْنَيْنِ يَتَحَدَّثَانِ فَلَا تَقُمْ مَعَهُمَا حَتَّى تَسْتَأْذِنَهُمَا. قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى الْمُتَنَاجِحِينَ فِي حَالِ تَنَاجُهِهِمَا قَالَ الْمُصَنِّفُ: وَلَا يَنْبَغِي لِلدَّاخِلِ عَلَيْهِمَا الْقُعُودُ عِنْدَهُمَا وَلَوْ تَبَاعَدَ عَنْهُمَا إِلَّا بِإِذْنِهِمَا؛ لِأَنَّ افْتِتَاحَهُمَا الْكَلَامَ سِرًّا، وَلَيْسَ عِنْدَهُمَا أَحَدٌ دَلَّ عَلَى أَنََّّهُمَا لَا يُرِيدَانِ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ، وَقَدْ يَكُونُ لِبَعْضِ النَّاسِ قُوَّةٌ فَهَمَّ إِذَا سَمِعَ بَعْضَ الْكَلَامِ اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى بَاقِيهِ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرِّضَا، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي الْإِذْنِ حَيَاءٌ وَفِي الْبَاطِنِ الْكَرَاهَةُ وَيَلْحَقُ بِاسْتِمَاعِ الْحَدِيثِ اسْتِنْسَاقُ الرَّائِحَةِ وَمَسُّ الثُّوبِ وَاسْتِخْبَارُ صِغَارِ الدَّارِ مَا يَقُولُ الْأَهْلُ، وَالْجِيرَانُ مِنْ كَلَامٍ أَوْ مَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَأَمَّا لَوْ أَخْبَرَهُ عَدْلٌ عَنْ مُنْكَرٍ جَازَ لَهُ أَنْ يَهْجُمَ وَيَسْتَمَعَ الْحَدِيثَ لِإِزَالَةِ الْمُنْكَرِ. اهـ

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٢).

بيان أن الإنسان يجب عليه أن ينشغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره

١٥٢٤ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان أهمية انشغال المرء بعيوبه عن عيوب الناس.

والحديث في مسند البزار بلفظ أطول من هذا: من طريق مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُفَضَّلِ الْحِرَافِيِّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ الْمَهْلَبِ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَرَّرِ الْأَزْدِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «حَطَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاقَتِهِ الْعُضْبَاءِ وَلَيْسَتْ بِالْجِدْعَاءِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَيَّ غَيْرِنَا كُتِبَ وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَيَّ غَيْرِنَا وَجَبَ وَكَأَنَّمَا نُشِيعُ مِنَ الْمَوْتِ سَفَرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِنِنَا رَاجِعُونَ نُبُوءُهُمْ أَجْدَانُهُمْ وَنَأْكُلُ ثُرَانَهُمْ كَأَنَّكُمْ مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ قَدْ نَسِيتُمْ كُلَّ وَاعِظَةٍ وَأَمْتُمْ كُلَّ جَائِحَةٍ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ، عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَتَوَاضَعَ لِلَّهِ فِي غَيْرِ مَنْقَصَةٍ وَأَنْفَقَ مِنْ مَالٍ جَمَعَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَخَالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَجَانِبَ أَهْلَ الشُّكِّ وَالْبِدْعَةِ وَصَلَحَتْ عَلَانِيَتُهُ وَعَزَلَ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ».

قال الصنعاني: سبل السلام (٢ / ٦٨٠): طُوبَى مَصْدَرٌ مِنَ الطَّيِّبِ، أَوْ اسْمٌ شَجْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ يَسِيرُ الرَّابُّ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَالْمُرَادُ أَنَّهَا لِمَنْ شَغَلَهُ

(١) أخرجه البزار (٦٢٣٧)، بسند ضعيف، فيه النضر بن محرز. وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في

الضعيفة (٣٨٣٥).

بيان أن الإنسان يجب عليه أن ينشغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره

النَّظْرُ فِي عُيُوبِهِ وَطَلَبِ إِزَالَتِهَا أَوْ السَّتْرِ عَلَيْهَا عَنِ الْإِشْتِغَالِ بِذِكْرِ عُيُوبِ غَيْرِهِ وَالتَّعَرُّفِ لِمَا يَصُدُّرُ مِنْهُمْ مِنَ الْعُيُوبِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُقَدَّمَ النَّظْرُ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْيبَ غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَرُدُّعُهُ عَنِ ذِكْرِ غَيْرِهِ. اهـ

قوله: «طوبى»: اختلف أهل العلم في معنى هذه الكلمة.

فقيل: هي شجرة في الجنة.

وهذا هو قول كثير من أهل العلم، ولكن الحديث الذي جاء في أن طوبى شجرة في الجنة إلى آخره، لا يثبت.

وقيل: هي الجنة نفسها.

والمعنى أعم من ذلك، فكأن المعنى: من اتصف بهذا الوصف، فإن الله ﷻ سيجعله من أهل الجنة، ومن أهل النعيم، ومن أهل الرضوان، ومن المتطيين في العيش.

يقول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَا أَجْرُهُ﴾، فكأن طوبى هي من أسماء الجنة، أو هي وصف لما في الجنة من النعيم ومن التطيب في العيش، والخلو من المكدرات، والله أعلم.

قوله: «لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنِ عُيُوبِ النَّاسِ» أي: انشغل بإصلاح عيوب نفسه عن عيوب الناس، بحيث أنه لا يغتاب أحداً من المسلمين، ولا ينم على أحد، ولا يسب، ولا يشتم، ولا يسخر، ولا يستهزأ، ولا يفعل شيئاً من المحرمات.

ومع ذلك يجب على المسلم أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويبدل النصيحة لكل مسلم بقدر ما يستطيع: إما بيده، أو بلسانه، أو بقلبه وهذا هو أضعف مراتب الإنكار للمنكر.



بيان تحريم التعاضم، والاختيال

١٥٢٥ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَاخْتَالَ فِي مَشِيَّتِهِ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ»^(١). أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان النهي عن التعاضم في النفس، والاختيال في المشيء واللباس ونحوه، وعن الكبر، وبيان أن كل ما ذكر من كبائر الذنوب؛ للوعيد المذكور في الحديث.

قوله: «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ» أي: رأى نفسه عظيمًا عن قبول الحق، وعظيمًا على

غيره .

مع أن الرفعة بالتقوى، قال الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]

وقد أمر المؤمن بالتواضع .

ففي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ - رضي الله عنه - قَالَ: "قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» أخرجه مسلم .

قوله: «وَاخْتَالَ فِي مَشِيَّتِهِ» أي: تبختر وافتخر وتكبر على الناس.

(١) أخرجه الحاكم (١٩٨) والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٩). وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في

صحيح الأدب المفرد (٤٢٧/٥٤٩)، والإمام الوادعي رضي الله عنه في الصحيح المسند (٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

بيان تحريم التعاضم، والاختيال

يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا

﴿٣٧﴾ .

ويقول الله ﷻ مخبراً عن وصية لقمان الحكيم لولده: ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا

تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ

أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان: ١٨١٩]..

كما قال الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ .

قوله: «لَقِيَ الله وهو عليه غضبان»: وهذا يدل على أن التعاضم في النفس،

والاختيال في المشي من كبائر الذنوب، وعظام الآثام.

وفيه: إثبات صفة الغضب لله ﷻ، وهي من الصفات الفعلية.

على ما يليق به سبحانه وتعالى من غير تكيف، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا

تعطيل .

وفيه: إثبات الرؤية لله ﷻ؛ لأن اللقي يتضمن الرؤية لله ﷻ.

وفي ذم ذلك ما في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ

ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجَّلٌ جَمْتُهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ

يَتَجَلَجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

وفي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث أَبِي جَرِيٍّ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ:

"وَأَرْفَعُ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَيْتَ فِإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

بيان تحريم التعاضم، والاختيال

مِنَ الْمَخِيلَةِ»^(١).

فكل هذه الأدلة تدل على أهمية التواضع في النفس، وفي المشي، وفي اللبس،
والهيئة، ونحو ذلك .

يقول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾.

فالتقوى هي ميزان التفاضل بين الناس عند الله سبحانه وتعالى في الدنيا، والآخرة
فكل ما كان العبد أتقى .
كان أفضل في الدنيا، والآخرة.



(١) أخرجه أبو داود (٤٠٨٤)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في
الصحيح المسند للإمام الوادعي ﷺ (١٩٦).

بيان أن العجلة في الأمور الدنيوية من الشيطان

١٥٢٦ - (وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان أن العجلة في الأمور الدنيوية من الشيطان. الحديث له تنمة: ففي سنن الإمام الترمذي رضي الله عنه: من حديث سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «الْأَنَاةُ مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ». ثم قال رضي الله عنه: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

وَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي عَبْدِ الْمُهَيْمِنِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ وَضَعْفَهُ مِنْ قَبْلِ حِفْظِهِ.

وَالْأَشْجُ اسْمُهُ الْمُنْدَرُ بْنُ عَائِدٍ.

وجاء في مسند الإمام أبي يعلى رضي الله عنه: من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم قَالَ: «التَّائِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا شَيْءٌ أَكْثَرَ مَعَاذِيرَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحَمْدِ»^(٢).

وحديث الباب يشهد له وحديث أنس رضي الله عنه.

وعلى كل فالمعنى صحيح، فالعجلة في أمور الدنيا من الشيطان.

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٢) من طريق عبد المهيم بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي، عن أبيه، عن جده، به. وعبد المهيم متروك. وضعفه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف الترمذي (٢٠١٢).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٤٢٥٦)، وحسنه الإمام الألباني رضي الله عنه في الصحيحة (١٧٩٥)، وفي صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٧٧).

يقول الله ﷻ: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (٣٧).

• وليست كل عجلة مذمومة، فالمذموم منها ما كان في أمور الدنيا؛ لأن العجلة والطيش في الأمور الدنيوية يكون حليفه الفشل، والخطأ، وربما تقع المصائب على المستعجل أكثر من المتأن في أموره.

وأما في الأمور الأخروية، فإن العجلة والمسارعة والمسابقة والمبادرة إلى الأعمال الصالحة مطلوبة من العبد المؤمن.

لأن الموت يأتي فجأة، فلهذا يجب عليه أن يستعد لذلك بالأعمال الصالحة التي ترضي الله ﷻ عنه، وتكون سبباً في نجاته من عذاب الله ﷻ، وسبباً في دخوله إلى جنة الله ﷻ.

يقول الله ﷻ مخبراً عن قصة موسى عليه السلام مع قومه: ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ

قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴾ (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءَ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ [طه: ٨٣-٨٤].

ويقول الله ﷻ: ﴿ فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ آيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ

وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٢) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ

وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال:

«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُضْحِكُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ

يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُضْحِكُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(١).

(١) أخرجه مسلم (١١٨).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله أيضاً: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَةِ، وَخُويَصَّةَ أَحَدِكُمْ»^(١).

وقد أخرج الحاكم رحمه الله في مستدركه: من طريق قبيصة بن جابر الأسدي قال: «كُنْتُ مُحْرِمًا فَرَأَيْتُ ظَبِيًّا فَرَمَيْتُهُ فَأَصَبْتُهُ، فَمَاتَ فَوْقَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَأَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه - أَسْأَلُهُ، فَوَجَدْتُ إِلَى جَنْبِهِ رَجُلًا أَبْيَضَ رَقِيقَ الْوَجْهِ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه - فَسَأَلْتُ عُمَرَ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ رضي الله عنه -، فَقَالَ: تَرَى شَاةً تَكْفِيهِ، قَالَ: «نَعَمْ»، فَأَمَرَنِي أَنْ أَذْبَحَ شَاةً، فَلَمَّا قُمْنَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ: صَاحِبُ لِي: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يُفْتِكَ حَتَّى سَأَلَ الرَّجُلَ، فَسَمِعَ عُمَرُ بَعْضَ كَلَامِهِ، فَعَلَاهُ عُمَرُ بِالدَّرَّةِ ضَرْبًا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ لِيَضْرِبَنِي فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي لَمْ أَقُلْ شَيْئًا، إِنَّمَا هُوَ قَالَهُ، قَالَ: فَتَرَكَنِي، ثُمَّ قَالَ: «أَرَدْتُ أَنْ تَقْتَلَ الْحَرَامَ، وَتَتَعَدَّ بِالْفُتْيَا»، ثُمَّ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنه: «إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَشْرَةَ أَخْلَاقٍ، تِسْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَوَاحِدٌ سَيِّئٌ، وَيُفْسِدُهَا ذَلِكَ السَّيِّئُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِيَّاكَ وَعَثْرَةَ الشَّبَابِ»^(٢).

والله المستعان



(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨٢٣٩)، والحاكم في مستدركه (٥٣٥٥)، والبيهقي في الكبرى

(٩٨٦٢).

بيان أن من أعظم أسباب الشؤم هو سوء الخلق

١٥٢٧ - (وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «الشُّؤْمُ: سُوءُ الْخُلُقِ»^(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان أن الشؤم سوء الخلق.

والحديث في سننه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف ولكن معناه صحيح. فسوء الخلق من الشؤم.

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا عُدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْفَرَسِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالِدَّارِ»^(٢). فشؤم المرأة: في خلقها السيء.

وشؤم الفرس: في نفورها، وعدم سهولتها في الركوب عليها. وشؤم الدار: في ضيقها على أهلها.

بيان الشؤم الحقيقي:

وليس التشاؤم بالنظر إلى وجه سيء الخلق، فهذا قد يكون من الطيرة المحرمة، والتي كان يفعلها أهل الجاهلية.

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

(١) أخرجه أحمد (٢٤٥٤٧) وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم ضعيف، وفيه انقطاع بين حبيب بن عبيد

الحمصي وعائشة. وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في الضعيفة (٧٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٧٢).

بيان أن من أعظم أسباب الشؤم هو سوء الخلق

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا». "وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ" (١).
وإنما الشؤم في سوء تصرفه، وسوء فعله على من يخالطه، فإنه سيؤذيهم بكلامه،
وسوء تصرفه، وسوء خلقه، وغير ذلك من الأذية.
والله أعلم



(١) أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وصححه الإمام الألباني رحمته الله في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمته الله (٨٥٨).

بيان النهي عن كثرة اللعن

١٥٢٨ - (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان النهي عن كثرة اللعن.

حديث الباب فيه النهي عن كثرة اللعن، ولا سيما إذا كان لغير حاجة، وإذا كان بنية الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى.

قوله: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ»: على صيغة المبالغة من كثرة اللعن.

قوله: «لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ» أي: لأهل الكبائر من المسلمين.

قوله: «وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أي: على غيرهم يوم القيامة كما هو حال المؤمنين أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول الله صلى الله عليه وسلم: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ».

وفي مثل هذا الزمان، كثير من الناس يلعن حتى نفسه، ويلعن زوجته، وسيارته، وأبناءه، وأقاربه، وجيرانه، وغير ذلك.

وربما لعن أصحابه الذي يجلسون معه من باب المزاح معهم، وهم لا يتضررون من ذلك لجهلهم.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).

بيان النهي عن كثرة اللعن

المهم على المؤمن أن يتخلق بالأخلاق النبيلة، ويكتسب تلك الأخلاق اكتساباً
إذا لم تكن فيه متأصلة.

ويكون بالعلم ومجالسة العلماء، وطلبة العلم، والصالحين.

فيعود نفسه على أن لا يتلفظ إلا بالألفاظ الشرعية في غضبه، ورضاه.

وأن يتخلق بالأخلاق الحميدة التي بعث بها النبي ﷺ.



بيان النهي عن تعبير العاصي بذنبه

١٥٢٩ - (وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَسَنَدُهُ مُنْقَطِعٌ).

الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان النهي عن تعبير العاصي بذنبه الذي يعمل.

حديث الباب موضوع، ويعني عنه ما ثبت عن النبي ﷺ.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفِضِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ».

قَالَ: "وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ: «مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ»^(٢).

فالمسلم لا يعير غيره من أهل الذنوب والمعاصي، ولا سيما بعد التوبة منها، فالتعبير يكون أشد إثمًا.

بيان ما يقال عند رؤية المبتلى؟

في سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٠٥) من طريق خالد بن معدان، ولم يدرك معاذ بن جبل، وفي إسناده محمد

بن الحسن الهمداني (كذاب)، وحكم عليه الإمام الألباني رحمه الله في الضعيفة (١٧٨) بالوضع.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٣٢)، وقال الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي: حسن صحيح.

بيان النهي عن تعبير العاصي بذنبه

مَمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً، إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ كَأَنَّ مَا كَانَ مَا عَاشَ»^(١).

ويقول ذلك في نفسه؛ حتى لا يحزن صاحب البلاء .

وإن كان صاحب البلاء من أهل البدع والمعاصي فيقولها في نفسه؛ حتى لا ينفره

عن السنة .

إلا إذا كان من أجل الزجر عن المعصية، أو عن البدعة، ورأى المصلحة في قولها

له بصوت يسمعه حتى ينكف، فلا بأس بذلك.

فالمؤمن يسأل الله ﷻ العافية من مثل هذه الابتلاءات، والذنوب والمعاصي لا

يسلم منها أحد، إلا من رحم الله ﷻ.

وإلا فالذنوب قد تطرأ على الإنسان بسبب شبهة، أو شهوة.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي ذرٍّ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى

عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه-، عَنِ رَسُولِ

اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ، قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَكُمْ، لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ

ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا لَهُمْ»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ أيضاً: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ

اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ،

فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣١)، وحسنه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

بيان النهي عن تعبير العصاة بذبّه

قوله: «لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ» أي: أنه بسبب معصية تعبير المسلم بالذنب، قد

يبتليه الله ﷻ بنفسه هذا الذنب فيفعله قبل موته .

فلهذا ينبغي لنا أن نتعد عن مثل هذا التعبير، وإنما نكون بين الأمر بالمعروف،

والنهي عن المنكر، وبذل النصيحة برفق وبلين، وهذا هو الأصل.

ونسأل الله ﷻ العافية وقد ألف ابن رجب رسالة في الفرق بين النصيحة والتعبير .



بيان النهي عن الكذب في المزاح

١٥٣٠ - (وَعَنْ بَهْرِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ، فَيَكْذِبُ؛ لِيَضْحَكَ بِهِ الْقَوْمُ، وَيَلُّ لَهُ، ثُمَّ وَيَلُّ لَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ الثَّلَاثَةُ، وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ).

الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان النهي المزاحه بالكذب.

لأن الكذب صفة ذميمة، وقد تقدم أنها تهدي إلى النار.

كما في الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «وَيَاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»^(٢).

بيان بعض ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في مزاحه وهو حق.

وقد أخرج الإمام البيهقي رضي الله عنه: من حديث عَائِشَةَ - رضي الله عنها -، قَالَتْ: دَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى عَائِشَةَ، وَعِنْدَهَا عَجُوزٌ فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: إِحْدَى خَالَاتِي. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْعَجْزُ، فَدَخَلَ الْعَجُوزُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً خَلَقًا آخَرَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ». ثُمَّ قرأ النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّا [ص: ٢١٧] أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً» [الواقعة:

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩٠) والنسائي في التفسير (١٤٦، ٦٧٥)، والترمذي (٢٣١٥)، بسند حسن،

وحسنه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

وفي الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه -، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكْحَلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً» (٢).

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا، مُرْدًا، بِيضًا، جِعَادًا، مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ، سِتُونَ ذِرَاعًا فِي عَرَضِ سَبْعِ أذْرُعٍ» (٣).

وقد ذكر الإمام أبي داود رحمه الله في سننه شيئاً من مزح النبي صلى الله عليه وسلم.

ففي حديث أَنَسٍ - رضي الله عنه -، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْمِلْنِي، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ» قَالَ: وَمَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقَ» (٤).

ومن حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ - رضي الله عنه -، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قَبَّةٍ مِنْ آدَمَ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ وَقَالَ: «ادْخُلْ» فَقُلْتُ: أَكُلِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «كُلِّكَ» فَدَخَلْتُ (٥).

ومن حديث أَنَسٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ» (٦).
فيجوز من المزاح ما كان حقاً .

وعلى المؤمن أن يتقي الله تعالى في نفسه، فلا يكذب في مزاح، ولا في جده .

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٣٤٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٤٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٩٨).

(٣) أخرجه أحمد (٧٩٣٣)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٠٠).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٩٨)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود.

(٥) أخرجه أبو داود (٥٠٠٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود.

(٦) أخرجه أبو داود (٥٠٠٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود.

فالكذب محرم، وكبيرة من كبائر الذنوب .

قوله: «وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ.»

📖 قال الصنعاني في سبل السلام (٢ / ٦٨٣): الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ

الْكَذِبِ لِأَضْحَاكِ الْقَوْمِ، وَهَذَا تَحْرِيمٌ خَاصٌّ. وَيُحَرِّمُ عَلَى السَّامِعِينَ سَمَاعَهُ إِذَا عَلِمُوهُ كَذِبًا؛ لِأَنَّهُ إِفْرَازٌ عَلَى الْمُنْكَرِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِمُ النَّكِيرُ أَوْ الْقِيَامُ مِنَ الْمَوْقِفِ، وَقَدْ عُدَّ الْكَذِبُ مِنَ الْكَبَائِرِ قَالَ الرَّوْيَانِيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّهُ كَبِيرَةٌ، وَمَنْ كَذَبَ فَضْدًا رُدَّتْ شَهَادَتُهُ، وَإِنْ لَمْ يَضُرَّ بِالْغَيْرِ؛ لِأَنَّ الْكَذِبَ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ وَقَالَ الْمَهْدِيُّ: إِنَّهُ لَيْسَ بِكَبِيرَةٍ وَلَا يَتِمُّ لَهُ نَفْيُ كِبَرِهِ عَلَى الْعُمُومِ، فَإِنَّ الْكَذِبَ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - أَوْ لِأَضْرَارِ مُسْلِمٍ أَوْ مُعَاهِدٍ كَبِيرَةٌ وَقَسَمَ الْعَزَالِيُّ الْكَذِبَ فِي الْإِحْيَاءِ إِلَى وَاجِبٍ وَمُبَاحٍ وَمُحَرَّمٍ وَقَالَ: إِنَّ كُلَّ مَقْصِدٍ مَحْمُودٍ يُمَكِّنُ التَّوَصُّلَ إِلَيْهِ بِالصِّدْقِ، وَالْكَذِبِ جَمِيعًا، فَالْكَذِبُ فِيهِ حَرَامٌ، وَإِنْ أَمَكَّنَ التَّوَصُّلَ إِلَيْهِ بِالْكَذِبِ وَحَدَهُ فَمُبَاحٌ إِنْ أُنتَجَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ الْمَقْصُودِ، وَوَاجِبٌ إِنْ وَجَبَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ، وَهُوَ إِذَا كَانَ فِيهِ عِصْمَةٌ مَنْ يَجِبُ إِتْقَادُهُ، وَكَذَا إِذَا خَشِيَ عَلَى الْوَدِيعَةِ مِنْ ظَالِمٍ وَجَبَ الْإِنْكَارُ، وَالْحَلْفُ وَكَذَا إِذَا كَانَ لَا يَتِمُّ مَقْصُودُ حَرْبٍ أَوْ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ أَوْ اسْتِمَالَةِ قَلْبِ الْمَجْنُونِ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْكَذِبِ فَهُوَ مُبَاحٌ، وَكَذَا إِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ فَاحِشَةٌ كَالزُّنَى وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَسَأَلِهِ السُّلْطَانُ فَلَهُ أَنْ يَكْذِبَ وَيَقُولَ مَا فَعَلْتَ، ثُمَّ قَالَ: وَيَنْبَغِي أَنْ تُقَابِلَ مَفْسَدَةَ الْكَذِبِ بِالْمَفْسَدَةِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى الصِّدْقِ

فَإِنْ كَانَتْ مَفْسَدَةُ الصِّدْقِ أَشَدَّ فَلَهُ الْكَذِبُ، وَإِنْ كَانَتْ بِالْعَكْسِ أَوْ شَكَّ فِيهَا حُرْمَ الْكَذِبِ، وَإِنْ تَعَلَّقَ بِنَفْسِهِ اسْتَحَبَّ أَنْ لَا يَكْذِبَ، وَإِنْ تَعَلَّقَ بِغَيْرِهِ لَمْ تَحْسُنِ الْمُسَامَحَةُ بِحَقِّ الْغَيْرِ، وَالْحَزْمُ تَرْكُهُ حَيْثُ أُبِيحَ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجُوزُ الْكَذِبُ اتِّفَاقًا فِي ثَلَاثِ صُورٍ كَمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: لَمْ أَسْمَعْ بِرَخْصٍ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ

بيان النهي عن الكذب فيه المزاج

النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبِ، وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: لَا خِلَافَ فِي جَوَازِ الْكَذِبِ فِي هَذِهِ الثَّلَاثِ الصُّوَرِ. أَخْرَجَ ابْنُ النَّجَّارِ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ مَرْفُوعًا: «الْكَذِبُ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الرَّجُلُ يَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا بِذَلِكَ، وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ»

(قُلْتُ): أَنْظِرْ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ لِاجْتِمَاعِ الْقُلُوبِ كَيْفَ حَرَّمَ النَّمِيمَةَ وَهِيَ صِدْقٌ لِمَا فِيهَا مِنْ إِفْسَادِ الْقُلُوبِ وَتَوَلِيدِ الْعَدَاوَةِ، وَالْوَحْشَةَ وَأَبَاحَ الْكَذِبِ، وَإِنْ كَانَ حَرَامًا إِذَا كَانَ لِيَجْمَعَ الْقُلُوبَ وَجَلِبِ الْمَوَدَّةَ وَإِذْهَابِ الْعَدَاوَةَ . اهـ



بيان كفارة الغيبة

١٥٣١ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «كَفَّارَةُ مَنْ اغْتَابَتْهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ»^(١). رَوَاهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ).

الشرح: ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان كفارة الغيبة.

حديث الباب موضوع ، في سنده عنبيه بن عبد الرحمن القرشي متروك وعليه جماهير أهل العلم.

مع اختلاف أهل العلم إلى أقوال:

الأول: قال بعضهم: إن كان من اغتبهته قد وصلت إليه الغيبة، فتطلب منه المسامحة، وتحلل منه.

الثاني: إن كانت لم تصل إليه الغيبة فلا تخبره بها فتجمع له بين الغيبة، وبين ما يضيق صدره ، لكن يستغفر له، ويذكره بالجميل .

الثالث: قال بعضهم: تستسمح منه مطلقا .

والقول الثاني هو المقدم، وعليه شيخنا مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله، وابن كثير رحمه الله، وقد نقلناه في كتابنا: "شروط التوبة إلى الله"، عن بعض أهل العلم.

فهذا ليس تحللاً، وإنما هو سوء صنيع، وسوء فقه، فالإنسان واجب عليه أن يستر نفسه، وغيره من المسلمين، ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة - رحمه الله -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »^(٢).



(١) أخرجه الحارث (١٠٨٠) وفي سنده عنبيه بن عبد الرحمن القرشي متروك، كما في الميزان. وكان يضع الحديث. وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في الضعيفة (١٥١٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

بيان تحريم الخصومة الشديدة بين المسلمين

١٥٣٢ - (وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «أَبْغَضُ الرَّجَالِ إِلَيَّ اللَّهُ الْأَلَدُ الْخَصِمُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان تحريم الخصومة الشديدة بين المسلمين. حديث الباب يدل على تحريم الخصومة الشديدة والمبالغة فيها فيما بين المسلمين. وأن الله ﷻ يبغض من هذا حاله .

وفيه: إثبات صفة البغض لله ﷻ، وهي من الصفات الفعلية على ما يليق بالله ﷻ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١١).

قوله: «أَبْغَضُ الرَّجَالِ إِلَيَّ اللَّهُ»: خرج مخرج الغالب، وإلا فإن الحكم واحد في حق الرجال، وفي حق النساء. **قوله:** « الْأَلَدُ الْخَصِمُ ».

الألد الخصم: أي شديد الخصومة، والمبالغ فيها، فيما بينه وبين المسلمين. والفجور في الخصومة من صفات المنافقين، كما تقدم . فلا يجوز للمسلم أن يفجر في خصومته، بل يلزم الحق في الغضب والرضا . وينبغي للمسلم أن يكون ليناً، متواضعاً، سهلاً، مع أخوته المسلمين. وإن كان له حق يأخذ حقه بالطرق الشرعية بغير فجور ونحوه .

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٨)، بل والبخاري (٧١٨٨).

بيان تحريم الخصومة الشديدة بين المسلمين

وعليه أن ينصف غيره من نفسه، وينصف نفسه من غيره، هذا هو خلق المؤمن الذي يتخلق بأخلاق الشرع.

ففي مسند البزار رحمه الله: من حديث عَمَّارٍ - رحمه الله -: "ثَلَاثٌ مِنَ الْإِيمَانِ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَبَدْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ"^(١).

وقد روي الحديث موقوفا ومرفوعا، والصحيح الوقف.
والحمد لله رب العالمين.



(١) أخرجه البزار في مسنده (١٣٩٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في تحقيق الإيمان لابن تيمية موقوفاً على عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

باب الترغيب في مكارم الأخلاق

الشرح:

الترغيب: هو الحث والتحريض على الشيء.

ومكارم الأخلاق: أي الأخلاق الحميدة الممدوحة في الكتاب والسنة.

وأحسنها: أن تتخلق بالقرآن، وأن تتأسى بالنبي ﷺ، فلا أكمل من ذلك أبداً.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من طريق حكيم وهشام بن عامر أنها دخلا على عائشة - رضي الله عنها -، فاستأذنا عليها، فأذنت لنا، فدخلنا عليها، فقالت: «أحكيم؟» فعرفته، فقال: نعم، فقالت: «من معك؟» قال: سعد بن هشام، قالت: «من هشام؟» قال: ابن عامر، فترحمت عليه، وقالت خيراً - قال قتادة: وكان أصيب يوم أُحُدٍ - فقالت: يا أم المؤمنين أنبيئي عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: «ألست تقرأ القرآن؟» قلت: بلى، قالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»^(١)، وفي الصحيحين: من حديث أنس - رضي الله عنه -، قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً»^(٢).

وكان النبي ﷺ يحسن إلى القريب، والبعيد وكان لا يغضب لنفسه.

وكان ديدنه الرفق بالناس، بل قد أحسن ﷺ إلى المنافقين مع شدة ما إيذائهم له.

فكم أكرمهم ومع ذلك تمالؤا عليه.



(١) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

الأمر بلزوم الصدق

١٥٣٣ - (عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان الدعوة إلى التحلي بالصدق ظاهرًا وباطنًا. المراد بالصدق صدق الأقوال، والأفعال، والمعتقدات.

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١١٩).

ويقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِعِينَ وَالصَّانِعَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَنَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣٥).

ويقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١١٩) [المائدة: ١١٩].

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

بيان أعظم الصدق:

والصدق له ثلاث مراتب:

الأولى: الصدق مع الله ﷻ بتوحيده، وإفراده بما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وهكذا لزوم طاعته وتقواه .

المرتبة الثانية: الصدق في متابعة النبي ﷺ، في جميع: "أقواله، وأفعاله، ومعتقداته".

المرتبة الثالثة: الصدق مع الناس في الأقوال، والأفعال، وفي جميع أنواع المعاملات .

قوله: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ» أي: الزموا الصدق في جميع شأنكم: في الأقوال، والأفعال، والمعتقدات.

وهذه الوصية خطب بها أبو بكر الصديق ﷺ لما تولى الخلافة.

قوله: «فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ» البر: اسم جامع لكل خير.

فالصدق يهدي إلى كل خير، وإلى كل طاعة، وإلى كل ما يحب الله ﷻ ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة، والباطنة.

وإلى كل ما يصلح القلوب، والأقوال، والأفعال.

وإلى صلاح الظاهر، والباطن بإذن الله ﷻ.

وقد قال الله ﷻ في بيان البر: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ

الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ

الأمر بلزوم الصدق

﴿١٧٧﴾ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ .

فالبر يشمل الخير كله، والدين كله، والطاعة كلها .

قوله: «وَأَنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ»: فسييل الجنة هو طاعة الله ﷻ في فعل ما أمر به، وفي ترك ما نهى عنه سبحانه وتعالى .

وكما قيل:

تدري أخي أين طريق الجنة طريقها القرآن ثم السنة
وفيه: دليل على أن الجنة لا تُنال إلا بالعمل الصالح، وهو سبب من الأسباب في دخول الجنة.

يقول الله ﷻ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ .

ويقول الله ﷻ: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ .

ويقول الله ﷻ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ ﴿٢٤﴾ .

قوله: «وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ»: وذكر الرجل خرج مخرج الغالب، وإلا فإن المرأة يشملها هذا الحكم .

وفيه: أن الصدق يكون بالتعود .

وفيه: تحري الصدق؛ فإن الإنسان قد يزل كلامه، ويخرج فيه عن الصدق .

قوله: «حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا» والصديق: من صيغ المبالغة، أي كثير

الصدق: في كل قول، وفعل، ومعتقد، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ

مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ

رَفِيقًا ﴿٦١﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء: ٦٩-٧٠] .

قوله: «وَأَيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ» أي: احذروا الكذب، واجتنبوه .

الأمر بلزوم الصدق

قوله: «فَإِنَّ الْكُذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ» الفجور: اسم جامع لكل شر.

فالكذب يهدي إلى الفجور، ويقود إليه .

ويكون الفجور في مخالفة الكتاب، والسنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ، قولاً،

وفِعلاً، واعتقاداً.

وفي دعوة نوح عليه السلام: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (٦١) إِنَّكَ

إِنْ تَذَرْنَاهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (٢٧) [نوح: ٢٦-٢٧]..

قوله: «وَأَنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ»: فالفجور طريق وسبيل إلى النار وبئس

القرار، والعياذ بالله ﷻ.

وقد يكون الفجور بالشرك بالله ﷻ، وهذا أعظم الفجور على الإطلاق .

وقد يكون بالبدع والمحدثات، وقد يكون بالكبائر والعظائم، وقد يكون

بالمعاصي والخطايا والذنوب وهكذا .

قوله: «وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكُذِبَ»: وكذلك المرأة، فيشمئها

الحكم أيضاً.

قوله: « حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»: وهذه أعظم فضيحة؛ أن المرء يكتب عند الله

ﷻ كذاباً فيعيش عليها، ويموت عليها، ويبعث عليها .

وإذا كتب العبد كذاباً كان من المبعدين المقصيين، ولا سيما إذا كان كذبه في

الطاعات، والقربات التي يتقرب بها إلى الله ﷻ، كما قال الله ﷻ مخبراً: ﴿ إِذَا جَاءَكَ

الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ

لَكَذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ

بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ [المنافقون: ١-٣].



بيان أن سوء الظن أكذب الحديث

١٥٣٤ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان أن من حسن الخلق ترك الظن السيء. وقد تقدم الكلام على هذا الحديث، بما يغني عن الإعادة، والله المستعان.



(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣).

بيان حق الطريق

١٥٣٥ - (وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطَّرِيقَاتِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا؛ نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: «فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ». قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان حق الطريق .

قوله: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطَّرِيقَاتِ» أي: احذروا واتركوا الجلوس في الطرقات؛ لما يؤدي الجلوس فيها من الأذية للمارين في الطريق، ولا سيما من النساء .

قوله: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا؛ نَتَحَدَّثُ فِيهَا» أي: أن الطريق هي من الأماكن العامة التي يلتقي فيها الناس، ويجتمعون فيها؛ من غير كلفة، ومشقة فيما بينهم؛ حتى يتحدثون فيها.

وليس في هذا اعتراض على النبي ﷺ، وإنما أرادوا أن يبينوا للنبي ﷺ بسبب جلوسهم .

قوله: " قَالَ: «فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ» " أي: إذا لم تتركوا الجلوس في الطرقات .

قوله: «فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» أي: الزموا شرع الله ﷻ في المكان الذي جلستم فيه .

قوله: «قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟» وفيه: السؤال فيما يجهل من أمر الدين .

قوله: " قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ» " : وبدأ النبي ﷺ بالأمر بغض البصر؛ لأن إطلاقه فيما

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٩)، ومسلم (٢١٦١).

حرم الله ﷻ سبب الفتنة بالنساء وما في باهها .

ويقول الله ﷻ : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَحَفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَحَفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور: ٣٠-٣١]..

وفي مسند الإمام أحمد ﷺ: من حديث عبادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رضي الله عنه-، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اضدُّقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أُتِمْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ»^(١).

وقد قال الشاعر:

كل الحوادث مبداهها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر

قوله: «وَكَفُّ الْأَذَى» أي: كيف الأذى عن المار في الطريق.

سواء كان الأذى القولي: كالسب والشتم، أو السخرية، وغير ذلك .

أو الأذى الفعلي: كالرمي، أو وضع الشوك في الطريق، أو غير ذلك من أنواع الأذى.

(١) أخرجه أحمد (٢٢٧٥٧)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني ﷺ (١٤٧٠).

بيان حق الطريق

قوله: «وَرَدُّ السَّلَامِ» أي: يرد السلام على من سلم، وقد تقدم بيان ذلك .
قوله: «وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» أي: ومن حق الطريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا يكون على حسب الاستطاعة، باليد واللسان والقلب، لحديث: أبي سعيد الخدري ت قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» أخرجه مسلم .

وهذا الحق لا يستطيع له إلا من كان قويا في دينه، ولهذا ينصح المؤمن بعدم الجلوس في الطريق؛ لأنه ربما أخل بهذا الباب، وبما بعده من النهي عن المنكر؛ فيأثم .

فالسلامة لا يعدلها شيء .

لأن عصاة المسلمين ولا سيما في زماننا هذا كثير، فهذا يمر مسبل في ملابسه .
وذاك يمر وهو يسمع الأغاني .

والمرأة تمر غير محتجبة بالحجاب الشرعي .

وهذا يمشي وهو يسب وشتم، وهذا يمشي وهو يؤذي غيره من المسلمين .

والله أعلم .



بيان فضيلة العلم ومنزلة الرفيعة

١٥٣٦ - (وَعَنْ مُعَاوِيَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان فضيلة العلم، ومنزلة الرفيعة.

قوله: «وَعَنْ مُعَاوِيَةَ - رضي الله عنه -»: هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر رضي الله عنه، هو وأبوه من الصحابة رضي الله عنهم.

وأخته أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد كان من كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم.

وهو ملك المسلمين وخليفتهم بعد أن تنازل له الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاهما بالخلافة.

قال شيخ الإسلام في المجموع (٤ / ٤٧٨): وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَفْضَلُ مُلُوكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَإِنَّ الْأَرْبَعَةَ قَبْلَهُ كَانُوا خُلَفَاءَ نُبُوَّةٍ وَهُوَ أَوَّلُ الْمُلُوكِ؛ كَانَ مُلْكُهُ مُلْكًا وَرَحْمَةً كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "يَكُونُ الْمُلْكُ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً ثُمَّ يَكُونُ مُلْكٌ وَرَحْمَةٌ ثُمَّ مُلْكٌ وَجَبْرِيَّةٌ ثُمَّ مُلْكٌ عَضُوضٌ" " وَكَانَ فِي مُلْكِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْحُلْمِ وَنَفْعِ الْمُسْلِمِينَ مَا يُعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ خَيْرًا مِنْ مُلْكِ غَيْرِهِ. اهـ

والرافضة يبغضونه ويتنقصونه بسبب ما حصل بينه وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من حروب.

قوله: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا»: إرادة كونية كما أنها شرعية.

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

بيان فضيلة العلم ومنزلة الرفيعة

فمن وفقه الله ﷺ لتفقه في دين الله ﷻ، وطلب العلم الشرعي، فقد أراد الله ﷻ به خيراً عظيماً، إذ أنه سبيل الرفعة والعزة والنصر والتمكين، وهو ميراث الأنبياء والمرسلين، وسبيل إلى جنة النعيم، فمن أراد خيري الدنيا والآخرة لزم غرزة، وعلم وعمل به، ثم دعا إليه، فمن فعل ذلك فقد كملت له طريق المكارم، ولي في ذلك وكن بالعلم محتفياً علو في الحياة وفي المعاد .

ومفهوم الحديث: أن من لم يتفقه في دين الله ﷻ ويوفق لذلك لم يرد الله ﷻ به خيراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قوله: «يُفْقَهُهُ» أي: يعلمه ويفهمه علم الكتاب والسنة؛ فيعبد الله ﷻ ويدعو إليه على بصيرة من أمره، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قوله: «في الدين» إذ أن العلم الممدوح: هو علم الدين، علم الكتاب والسنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ.

يقول الله ﷻ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [١١٤].

ويقول الله ﷻ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [٤٣].

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

ويقول الله ﷻ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَبِيرٌ﴾ [١١]، ويقول الله ﷻ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ

تَعَلَّمَ وَكَانَ فَضَّلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ .

ويقول الله ﷻ : ﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ .

ويقول الله ﷻ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَشَئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن

كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

يَنْفَكُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٣-٤٤] .

والمعنى الإجمالي للحديث: أن العلم مفتاح كل خير، كما أن الجهل مفتاح لكل

شر وضير، والله المستعان، وقد تكلم ابن القيم عن فضل العلم من أوجه كثيرة في

كتابه مفتاح دار السعادة لمن أراد مزيداً من ذلك، والحمد لله رب العالمين .



بيان فضل حسن الخلق

١٥٣٧ - (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ).

شرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان فضل حسن الخلق وأثره في الدنيا والآخرة. وقد تقدم بعض الأحاديث في ذلك.

قوله: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ»: وهو الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة له كفتان، وميزان حقيقي، قال الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَيْنَا بِهَا وَكُنْىٰ بِنَا حَسِيبَةً﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال في حق الكفار: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

قوله: «أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ» أي: أن الخلق الحسن من أفضل ما يكون من الأعمال التي تثقل بها الموازين يوم القيامة.

وقد تقدم أن حسن الخلق يكون مع الله صلى الله عليه وسلم بتوحيده، وحسن عبادته، وطاعته. بفعل أو امره، واجتناب نواهيه.

ويكون حسن الخلق مع الخلق: بكف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه. وفي سنن الإمام الترمذي رضي الله عنه: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف أبي داود (٤٧٩٩)، وفي الصحيحة (٨٧٦).

بيان فضل حسن الخلق

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنِ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْفَمُّ وَالْفَرْجُ»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا"، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»^(٢).

وفي سنن الإمام الترمذي رضي الله عنه: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفِيهِقُونَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفِيهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ»^(٣).

وَالثَّرَثَارُ: هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ، وَالْمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلَامِ وَيَبْذُو عَلَيْهِمُ.

ولو لم يكن من فضيلة حسن الخلق إلا أنه من سجية النبي ﷺ.
وفيه: دليل على وزن الأعمال يوم القيامة.

بيان الموزون يوم القيامة:

والذي يوزن يوم القيامة ثلاثة أمور:

الأول: العمل.

ودليله حديث الباب، وغيره من الأحاديث.

الثاني: العامل.

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وحسنه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف الترمذي.

بيان فضل حسن الخلق

ففي مسند الإمام أحمد رحمته الله: من حديث ابن مسعود رضي الله عنه -، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سَوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: " مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ " قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»^(١).

الثالث: الصحف التي فيها الأعمال.

ففي السنن: من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه -، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللَّهَ سَيَحْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سِجْلًا كُلُّ سِجْلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظَلَمُ "، قَالَ: «فَتَوْضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَتَقُلَّتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»^(٢).

ولا يلزم أن توزن الثلاثة لكل شخص؛ وإنما قد توزن في شخص بعضها، ويوزن لشخص آخر بعضها.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَأُوا: ﴿فَلَا

(١) أخرجه أحمد (٣٩٩١)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمته الله (٢٧٥٠)، وحسنه الإمام الوادعي

رحمته الله في الصحيح المسند (٨٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وصححه الإمام الألباني رحمته الله في صحيح السنن،

وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمته الله (٧٨٧).

بيان فضل حسن الخلق

نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥] ﴿١﴾.

ومعنى الآية: أن الكفار يوزنون؛ ولا يقام لهم وزن، لفساد أعمالهم، وسوء صنيعهم، وذهب بعض أهل العلم إلى أنهم لا يوزنون لكن ما تقدم هو الصحيح.

﴿٢﴾ بيان أن الميزان يوم القيامة هو واحد فقط:

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الميزان يوم القيامة حقيقي، وهو ميزان واحد عظيم وله كفتان.

والدليل على ذلك: ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه السابق وفيه: «أن السجلات توضع في كفة، وأن البطاقة توضع في كفة».

وذهب بعضهم إلى أنها موازين كثيرة، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِتَا حَسِيبِينَ﴾ ﴿٤٧﴾.

والصحيح القول الأول، وإنما جاءت الآية بلفظ الجمع؛ لكثرة ما يوزن به يوم القيامة.

وفي سنن الإمام الترمذي رحمته الله: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: "سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: «أَنَا فَاعِلٌ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «أَطْلُبُنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «فَأَطْلُبُنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: «فَأَطْلُبُنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُحْطِي هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ» ﴿٣﴾.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٣٣)، وصححه الإمام الألباني رحمته الله في صحيح وضعيف الترمذي، وهو في

الصحيحة (٢٦٣٠)، وحسنه الإمام الوادعي رحمته الله في الصحيح المسند (٣١).

بيان فضل حسن الخلق

فالنبي ﷺ أثبت في هذا الحديث أنه ميزان فقط، ولم يذكر أنها موازين، كما أن الحوض واحد، والصراط واحد، والله أعلم.

﴿ بيان من أنكر الميزان: ﴾

وأنكر الميزان الخوارج، والمعتزلة، والرافضة، وزعموا: بأن الميزان إنما يحتاج إليه الثوام، والبقال، تعال الله ﷻ عن قولهم علواً كبيراً.
والحق: أن الله ﷻ وضع الميزان لإظهار عدله وفضله، والله المستعان.



بيان فضيلة الحياء، وأنه من الإيمان

١٥٣٨ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان فضيلة الحياء، وأنه من الإيمان .

والحياء: خلق يحمل صاحبه على ترك كل قبيح وهو خلق قلبي عظيم.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من طريق أبي السَّوَّارِ، يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ - رضي الله عنه -، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»، فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ: أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا، وَمِنْهُ سَكِينَةٌ، فَقَالَ عِمْرَانُ: "أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَتَحَدَّثْتَنِي عَنْ صُحُفِكَ".

وفي لفظ لمسلم أيضا: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» قَالَ: أَوْ قَالَ: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ»^(٣).

وفي مستدرک الحاكم رحمه الله: من حديث ابن عمر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «الْحَيَاءُ

(١) أخرجه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (٣٧).

وَالْإِيمَانُ قُرْنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ»^(١).

📖 قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/ ٦٨٩):

الْحَيَاءُ فِي اللُّغَةِ: تَغْيِيرُ يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنْ خَوْفٍ مَا يُعَابُ بِهِ.

وَفِي الشَّرْعِ: خُلِقَ يَبْعَثُ عَلَى اجْتِنَابِ الْقَبِيحِ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الْحَقِّ.

وَالْحَيَاءُ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَكُونُ غَرِيزَةً فَهُوَ فِي اسْتِعْمَالِهِ عَلَى وَفْقِ الشَّرْعِ يَحْتَاجُ إِلَى اكْتِسَابِ وَعِلْمٍ وَنِيَّةٍ؛ فَلِذَلِكَ كَانَ مِنَ الْإِيمَانِ.

وَقَدْ يَكُونُ كَسْبِيًّا.

وَمَعْنَى كَوْنِهِ مِنَ الْإِيمَانِ: أَنَّ الْمُسْتَحْيَ يَنْقَطِعُ بِحَيَائِهِ عَنِ الْمَعَاصِي فَيَصِيرُ

كَالْإِيمَانِ الْقَاطِعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعَاصِي.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْحَيَاءَ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنْ اِزْتِكَابِ الْمَعَاصِي كَمَا يَمْنَعُ

الْإِيمَانَ؛ فَسُمِّيَ إِيْمَانًا كَمَا يُسَمَّى الشَّيْءُ بِاسْمِ مَا قَامَ مَقَامَهُ.

وَالْحَيَاءُ مُرَكَّبٌ: مِنْ جُبْنٍ وَعِفَّةٍ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ وَلَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ».

فَإِنْ قُلْتَ قَدْ يَمْنَعُ الْحَيَاءُ صَاحِبَهُ عَنِ انْكَارِ الْمُنْكَرِ؟

وَهُوَ إِخْلَالٌ بَعْضُ مَا يَجِبُ فَلَا يَتَمُّ عُمُومٌ " إِنَّهُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ "

(قُلْتَ) قَدْ أُجِيبَ عَنْهُ: بِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْحَيَاءِ فِي الْأَحَادِيثِ الْحَيَاءُ الشَّرْعِيُّ،

وَالْحَيَاءُ الَّذِي يَنْشَأُ عَنْهُ تَرْكُ بَعْضِ مَا يَجِبُ لَيْسَ حَيَاءً شَرْعِيًّا؛ بَلْ هُوَ عَجْزٌ وَمَهَانَةٌ.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٥٨)، ورواه البخاري في الأدب المفرد موقوفاً على ابن عمر رضي

الله عنهما (١٣١٣)، وصح الموقوف والمرفوع، كما قال ذلك الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الأدب

المفرد (٩٩١). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٧٥٢).

بيان فضيلة الحياء، وأنه من الإيمان

وَإِنَّمَا يُطَلَّقُ عَلَيْهِ الْحَيَاءُ لِمُشَابَهَتِهِ الْحَيَاءَ الشَّرْعِيَّ.
وَبِجَوَابِ آخَرَ: وَهُوَ أَنَّ مَنْ كَانَ الْحَيَاءُ مِنْ خُلُقِهِ فَالْخَيْرُ عَلَيْهِ أَغْلَبُ.
أَوْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْحَيَاءُ مِنْ خُلُقِهِ كَانَ الْخَيْرُ فِيهِ بِالذَّاتِ فَلَا يُنَافِيهِ حُصُولُ التَّقْصِيرِ فِي
بَعْضِ الْأَحْوَالِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُنَهَمِ شَرْحَ مُسْلِمٍ: وَكَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - قَدْ جُمِعَ لَهُ النَّوْعَانِ مِنَ
الْحَيَاءِ الْمُكْتَسَبِ وَالْغَرِيزِيِّ.

وَكَانَ فِي الْغَرِيزِيِّ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا، وَكَانَ فِي الْمُكْتَسَبِ فِي
الذُّرَّةِ الْعُلْيَا - ﷺ - . اهـ



بيان سوء قلة الحياء

١٥٣٩ - (وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان سوء قلة الحياء .

قوله: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ» أي: مما أدركه الناس ممن كان قبلهم، وتناقلوه فيما بينهم، وعاشوا عليه.

قوله: «مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى» أي: من كلام الأنبياء والرسل السابقين لمبعث النبي صلى الله عليه وسلم، ولعله من كلام عيسى عليه السلام .

قوله: «إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» أي: أن الإنسان إذا لم يكن عنده حياء يمنع من فعل القبيح فعل الشرور والآثام.

وليس هذا على سبيل الإقرار، وإنما على سبيل الإخبار بحال من قل حياؤه . وفي المثل اليمني عند عامة الناس: "إذا لم تستح فاصنع ما تشتهي" ومعناه موافق لمعنى الحديث لأن الحياء خلق جليل يمنع صاحبه من فعل القبيح، فالإنسان إذا لم يكن عنده حياء؛ فعل القبيح، والشر، والحرام، ولا يبالي بذلك.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها؛ وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم كان مراقباً لله تعالى في كل سكناته، وحركاته.

وعاملاً بما يرضي الله تعالى عنه صلى الله عليه وسلم، والله المستعان، والحمد لله رب العالمين



(١) أخرجه البخاري (٦١٢٠).

بيان قويا الإيمان من ضعيفه

١٥٤٠ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اخِرُضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنْ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان قويا الإيمان من ضعيفه، وذلك أن الناس يتفاوتون في الإيمان على قدر أعمالهم .

بيان أن الإيمان يزداد بالطاعة وينقص بالمعصية:

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وهذا أمر ثابت: بالكتاب وبالسنة وبالإجماع:

أما من الكتاب: فقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَّ جَمَعُوا لَكُمْ

فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

ويقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾

ويقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا

الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾

ويقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ .

ويقول الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ

جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ .

ويقول الله ﷻ: ﴿وَيَزِدَادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ .

ويقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ تَقَوُّهُمْ ﴿١٧﴾﴾ .

ويقول الله ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِينًا﴾ .

وأما من السنة:

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: عن أبي سعيد الخدري - ﷺ -: «أَمَا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث أبي سعيد الخدري - ﷺ -: «قَالَ: "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِبُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تُصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩، ٨٠).

بيان قوي الإيمان من ضعيفه

وأما الإجماع: فقد أجمع أهل السنة على أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان.

﴿ بيان أن الإيمان أركان وحدود وسنن: ﴾

علق البخاري في صحيحه^(١): " وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ: «إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ، وَحُدُودًا، وَسُنَنًا، فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشَ فَسَأَبِّئُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أَمِتَ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ» ."

قوله: «المؤمن القوي».

والمراد بالقوي هنا: أي القوي في إيمانه، ولا القوة البدنية .

إلا إذا جمع الله ﷻ للشخص بين القوة الإيمانية والبدنية كما كان حال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد جمع الله ﷻ له القوتين: قوة الإيمان، وقوة البدن .
فالقوة البدنية إن لم تكن مقارنة للقوة الإيمانية لا مصلحة فيها؛ لأن الإنسان ربما ظلم، وقتل، وضرب، وتعدي على المسلمين، وأفسد في الأرض بسبب قوته وضعف إيمانه، كحال الكافرين وكثير من عصاة المسلمين.

﴿ بيان إن اجتماع القوة البدنية مع القوة الإيمانية من أعلى المراتب: ﴾

فللقوة البدنية مع القوة الإيمانية مراتب ثلاث:

الأولى: وهي أعلى المراتب أن يجمع الله ﷻ القوة البدنية، مع القوة الإيمانية، والعلمية، والعملية .

الثانية: أن يكون المؤمن قويًا في إيمانه، ضعيفًا في بدنه .

(١) أخرجه البخاري معلقا (١ / ١١)

بيان قويم الإيمان من ضعيفه

الثالثة: وهي المرتبة الدنيا.

أن يكون قوياً في بدنه وضعيفاً في إيمانه .

الرابعة: أن يكون ضعيفاً في إيمانه وبدنه.

قوله: «خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ» أي: أنه يكون خير من المؤمن الضعيف في إيمانه.

وستكون أعماله التي يتقرب بها إلى الله ﷻ أكثر من أعمال غيره من المؤمنين، ولا سيما ممن كان قل إيمانه .

فالمؤمن القوي أحب إلى الله ﷻ من المؤمن الذي إيمانه أقل منه.

أعماله الصالحة الكثيرة التي يفعلها وتزيد في إيمانه .

قوله: «مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» أي: ضعيف الإيمان؛ لأن أعماله الصالحة التي

يتقرب بها إلى الله ﷻ أقل من أعمال غيره .

فالإيمان تضعفه المعاصي والذنوب والسيئات باختلاف أنواعها ودرجاتها.

فإن العبد كلما تقرب إلى الله ﷻ بالطاعات، وأكثر من فعل الخيرات والقربات زاد إيمانه .

وكلما أكثر من المعاصي والذنوب نقص إيمانه بقدر ذلك.

﴿ بيان طريقة معرفة زيادة الإيمان: ﴾

الأول: ما يجد في قلبه من الخشوع، ومن الرقة، والتذلل، والخضوع، والتواضع

والاستكانة لله ﷻ، وغير ذلك.

الثاني: الزيادة والمبادرة إلى الأعمال الصالحة.

الثالثة: التأثير في القلب والبدن؛ فإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد

كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب.

الرابع: ما يجد المؤمن في قلبه من الطمأنينة، والراحة، ولذة العبادات، والطاعات،

وغير ذلك .

قوله: «وَفِي كُلِّ خَيْرٍ» أي: أن المؤمن حاله كله خير، سواء كان قوياً في إيمانه وهو هو الأفضل . أو كان ضعيفاً في إيمانه .

فهو في الدنيا: خير من غيره من أهل الكفر، والشرك، والنفاق، والإلحاد، وغيرهم .
وفي الآخرة: خير من هؤلاء حيث أن مآله إلى الجنة .

قوله: «أَحْرَضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ» أي: أنه على كل مؤمن أن يكون حريصاً على ما ينفعه في أمر دينه، ودنياه، وآخرته .

وأن يحرص على ما يقربه من الله ﷻ .

قوله: «وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ» الاستعانة: هي طلب العون .

فيجب على المؤمن أن يستعين بالله ﷻ في كل شيء يريد: من أمور دينه، وآخرته، ودنياه .

إذ أن الاستعانة بالله ﷻ من أهم الأسباب في حصول المطلوب له: "وهو رضوان الله ﷻ، والنظر إلى وجهه الكريم، ودخول جنته" .

وفي النجاة من المهروب منه: "وهو عذاب الله ﷻ، وسخطه، وناره" .

يقول الله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .

فهذه الآية إليها يرجع الدين كله، كما ذكر ذلك الإمام ابن القيم ﷻ .

فإننا ما خلقنا في إلا لعبادة الله ﷻ وتوحيده؛ ولكن نعبد الله ﷻ كما يُحب؛ لا بد أن نستعين به .

إذا لم يكن من الله عون للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

فإن العبد وإن كان قد آتاه الله ﷻ العلم؛ فهو ضعيف وعاجز ويحتاج إلى توفيق من

الله ﷻ، وعونه .

قوله: «وَلَا تَعْجَرْ» أي: تعجز عن العمل، ويسيب الفتور .

ففي الصحيحين: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(١).

قوله: «وَأِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ» أي: من الأقدار التي تنوب الإنسان: من أمراض، وأسقام، ومصائب، ومحن، وفتن، ومحزونات، وسائر الابتلاءات .

قوله: «فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا» أي: معترضاً على القدر فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، إلا أنه ينبغي أن تعلم أن العبد مخير في الأمور الشرعية، ومسير في الأمور الكونية.

هذا هو الصحيح في جواب قولهم هل العبد مخير أم مسير؟

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [آل عمران: ١٥٦-١٥٧].

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٣)، ومسلم (٢٧٠٦).

بيان قويم الإيمان من ضعيفه

ويقول الله ﷻ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ .
قوله: «وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ» .

يقول الله ﷻ: ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢٣) .
 ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .
 ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .

قوله: «فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»: والإنسان المؤمن مأمور بإغلاق مداخل الشيطان، عليه ولا يسلم إلا من سلك ما أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ به .
 ويجوز قول (لو) في تمني الخير، وقد بوب البخاري في صحيحه باب قول لو، وفي كتاب التوحيد: باب ما جاء في لو أي من النهي والجواز .

ففي الصحيحين: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ، وَلَوْ لَا أَنْ مَعِيَ الْهَدْيَ لَأَخْلَلْتُ»^(١) .



(١) أخرجه البخاري (١٧٨٥)، ومسلم (١٢١٦) .

الحث على التواضع

١٥٤١ - (وَعَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْنِي أَحَدٌ عَلَيَّ أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَيَّ أَحَدٍ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث للحث على التواضع .

والحديث بطوله في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُم مَّا جَهَلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالًا، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَّتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَتْلِيكَ وَأَتْلِي بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُوهُ نَائِمًا وَيَقْظَانِ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذَا يَنْلَعُوا رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ، وَاعْزُهُمْ نِعْرَكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنَنْفِقَ عَلَيْكَ، وَأَبْعَثْ جَيْشًا نَبَعْتُ خَمْسَةَ مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَّصِدٌّ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِي هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

الحث على التواضع

يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ «وَذَكَرَ» الْبُخْلَ أَوْ الْكِذْبَ وَالسَّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ" (١) وآخره ما ساقه المصنف: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» أخرجه مسلم .

قوله: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ»: وقد يكون وحي الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى: ٥١] .

قوله: « أَنْ تَوَاضَعُوا » أي: أن التواضع مما أوحاه الله إلى النبي ﷺ .
وذلك لبيان لفضله.

يقول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١١) [لقمان: ١٨-١٩] .

بيان أنواع التواضع:

فالتواضع يكون على أنواع:

الأول: تواضع مع الله ﷻ، وذلك بقبول شرعه .

الثاني: تواضع مع خلق الله ﷻ؛ حتى لا يبغي المؤمن على غيره .

وما أحسن قول الشاعر:

على صفحات الماء وهو رفيع	تواضع تكن كالنجم لاح لناظر
إلى طبقات الجو وهو وضيع	ولا تك كالمدخان يعلو بنفسه

والتواضع سبب لرفعة العبد في الدنيا وفي الآخرة:

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

الحث على التواضع

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»^(١).

﴿ بيان أن الجزاء من جنس العمل: ﴾

ولما كان المتواضع يضع نفسه لله تعالى، ويتعامل معهم بما يوافق شرع الله تعالى، كان جزاؤه أن الله تعالى رفعه في الدنيا والآخرة.

ولما كان المتكبر يرفع نفسه بما يسخط الله تعالى، وضعه الله تعالى في الدنيا والآخرة. ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «يُحَسِّرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيَسْأَقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْبَارِ يُسْقُونَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْحَبَالِ»^(٢).

والأمر بالتواضع عام للرجال والنساء، الإنس والجن، أي لكل مكلف. فالمتواضع لا يفتخر بعلمه، ولا عمله، ولا جماله، ولا ماله، ولا منصبه، ولا جاهه، ولا قبيلته، ولا عشيرته، ولا بشيء من شؤون الدنيا. فالأمر لله تعالى وحده، إذ لو شاء سلب هذه النعم.

﴿ بيان معنى التواضع: ﴾

التواضع: عدم الكبر، والكبر: هو بطر الحق، وغمط الناس.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه -، عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٩٢)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي، وفي صحيح

الترغيب والترهيب (٢٩١١).

الحث على التواضع

قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَعَلُّهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرٌ الْحَقُّ، وَعَمَطُ النَّاسِ»^(١).

فالكبر: هو عدم قبول الحق، وتنقص الناس، والاستهزاء بهم، واحتقارهم، وغير ذلك.

والتواضع: قبول الحق، وهضم النفس، ولين الجانب، والتعامل مع المؤمنين بالرفق واللين، وعدم احتقارهم وغمطهم.

📖 قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/٦٩١): التَّوَّاضِعُ عَدَمُ الْكِبَرِ وَتَقَدَّمَ تَفْسِيرُ الْكِبَرِ.

وَعَدَمُ التَّوَّاضِعِ يُؤَدِّي إِلَى الْبَغْيِ؛ لِأَنَّهُ يَرَى لِنَفْسِهِ مَزِيَّةً عَلَى الْغَيْرِ فَيَبْغِي عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ وَيَفْخَرُ عَلَيْهِ وَيَزِدُّرِيهِ.

وَالْبَغْيُ وَالْفَخْرُ مَذْمُومَانِ، وَوَرَدَتْ أَحَادِيثٌ فِي سُرْعَةِ عُقُوبَةِ الْبَغْيِ مِنْهَا عَنْ أَبِي بَكْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَوْ أَحَقُّ مِنْ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَاهُ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ: «لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا عَصِيَ اللَّهُ بِهِ هُوَ أَسْرَعُ عُقُوبَةً مِنَ الْبَغْيِ». اهـ

قوله: «حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» أي: أن التواضع من أعظم أسباب السلامة من البغي والكبر هو السبب البغي، والتعدي، والظلم.

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا

(١) أخرجه مسلم (٩١).

بَغِيكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ .

قوله: «وَلَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»: تحريم الفخر والخيلاء والاستطالة على الخلق.

وجاء في الأدب المفرد للإمام البخاري رحمته الله: من طريق عتي بن ضمرة قال: "رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ - رحمته الله - رَجُلًا تَعَزَّى بِعِزِّهِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعَضَّهُ أَبِي وَلَمْ يَكُنْهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ قَالَ: كَأَنَّكُمْ أَنْكَرْتُمُوهُ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَهَابُ فِي هَذَا أَحَدًا أَبَدًا إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ تَعَزَّى بِعِزِّهِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعَضَّوهُ وَلَا تَكُنْهُ».

وفي صحيح الإمام مسلم رحمته الله: عن أبي هريرة رحمته الله -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»^(١).

وفي الصحيحين، واللفظ للإمام مسلم رحمته الله في صحيحه: من طريق المعرور بن سويد، قَالَ: "مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ - رحمته الله - بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: "يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمَّهِ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَلَقِيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ سَبَّ الرَّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَاطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَالْبَسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»^(٢).

و عن أبي هريرة رحمته الله، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ اللَّهَ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١).

الحث على التواضع

عِبْتَةُ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ،
لَيَدَعَنَّ رِجَالَ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ
مِنَ الْجِعْلَانِ، الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا التُّنَّ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ .



فضيلة من رد عن عرض المسلم

١٥٤٢ - (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَنَهُ).
١٥٤٣ - (وَلِأَحْمَدَ: مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ - رضي الله عنها - نَحْوَهُ^(٢)).

شرح

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان منزلة الرد على عرض المسلم في ظهر الغيب.

قال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٦٩٢): فِي الْحَدِيثَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى فَضِيلَةِ الرَّدِّ عَلَى مَنْ اغْتَابَ أَخَاهُ عِنْدَهُ وَهُوَ وَاجِبٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْإِنْكَارِ لِلْمُنْكَرِ وَلِذَا وَرَدَ الْوَعِيدُ عَلَى تَرْكِهِ كَمَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقِصُ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَدَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ» وَأَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْهُ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَكَاتَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] » وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي الشَّيْخِ أَيْضًا «مَنْ حَمَى عِرْضَ أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا بَعَثَ اللَّهُ لَهُ مَلَكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِيهِ مِنَ النَّارِ» وَأَخْرَجَ الْأَصْبَهَانِيُّ «مِنْ أُغْيِبَ عِنْدَهُ أَخُوهُ فَاسْتَطَاعَ نُصْرَتَهُ فَنَصَرَهُ نَصَرَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ لَمْ يَنْصُرْهُ أَذَلَّهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» بَلْ وَرَدَ فِي

(١) أخرجه الترمذي (١٩٣١)، وأحمد (٢٧٥٤٣)، وفي سنده مرزوق أبي بكر التيمي مجهول. وأخرجه أحمد (٢٧٥٣٦) من طريق ليث بن أبي سليم، عن شهر، عن أم الدرداء، وليث وشهر ضعيفان، ويشهد له ما بعده. وهو في الضعيفة للإمام الألباني رضي الله عنه (٥٨٠)، وقال في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٤٨): "صحيح لغيره".

(٢) أخرجه أحمد (٢٧٦٠٩)، بسند ضعيف؛ فيه شهر بن حوشب لكنه حسن بما قبله ولفظه: «مَنْ دَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْغَيْبَةِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ».

فضيلة من رد عن عرض المسلم

الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُسْتَمِعَ لِلْغَيْبَةِ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ فَمَنْ حَضَرَهُ الْغَيْبَةَ وَجَبَ عَلَيْهِ أَحَدُ أُمُورِ
الرَّدِّ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ وَلَوْ بِإِخْرَاجِ مَنْ اغْتَابَ إِلَى حَدِيثِ آخَرَ أَوْ الْقِيَامِ عَنْ مَوْقِفِ
الْغَيْبَةِ أَوْ الْإِنْكَارِ بِالْقَلْبِ أَوْ الْكِرَاهَةِ لِلْقَوْلِ وَقَدْ عَدَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ السُّكُوتَ كَبِيرَةً
لُورُودِ هَذَا الْوَعِيدِ وَلِدُخُولِهِ فِي وَعِيدٍ مَنْ لَمْ يُغَيِّرِ الْمُنْكَرَ؛ وَلِإِنَّهُ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ حُكْمًا
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُغْتَابًا لُغَةً وَشَرْعًا. اهـ

قوله: «وَلِأَحْمَدَ، مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ نَحْوُهُ». من طريق عبيد الله بن أبي

زياد، عن شهر بن حوشب، وكلاهما ضعيف.

• **تنبيه:** ليس من الكلام الممنوع الجرح والتعديل، فهو من النصيحة لدين الله ﷻ

وللمسلمين، فإن الجرح والتعديل سبيل عظيم للذب عن الدين وبيان حال المبطلين.



فضل الصدقة

١٥٤٤ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح: ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان أمور:

الأول: أن المال لا ينقص على صاحبه من الصدقة.

الثاني: أن العفو يزيد صاحبه عزاً في الدنيا وفي الآخرة.

الثالث: أن التواضع سبب للرفعة في الدنيا، والآخرة.

وحديث الباب يدل على أن المال لا ينقص على صاحبه بالصدقة؛ لأن الصدقة سبب للنماء والبركة .

و بيان أن البركة تنقسم إلى قسمين:

والبركة تنقسم إلى قسمين:

الأول: حسية بحيث أن الله صلى الله عليه وسلم يخلف على صاحبه المال الذي تصدق بمال

أفضل، وأعظم منه؛ فينمو ماله ويزيد، يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ

مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرْ لَهُ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾^(٣٩).

الثانية: معنوية، بحيث أن الله صلى الله عليه وسلم يبارك في المال فيحفظه من السرقة، والضياع،

والفساد، ويحفظ صاحبه: من الأمراض، والمصائب، والفتن .

قوله: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»: لما تقدم من الخلف والبركة فيه .

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) .

فضل الصدقة

والصدقة: اسم عام لواجبة: من زكاة الأموال، والأنعام، والحبوب والثمار أو مستحبة.

فالبركة: هي زيادة الخير الإلهي، ونماؤه، وكثرته.

﴿ بيان أن العفو يزيد صاحبه عند الله ﷻ عزاً:﴾

قوله: «وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»: وحديث الباب فيه أن العفو يزيد صاحبه عند الله ﷻ، وعند الناس عزاً، في الدنيا، والآخرة. والنبي ﷺ كان حريصاً على العفو .

ففي سنن الإمام أبي داود ﷺ: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ رُفِعَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فِيهِ قِصَاصٌ، إِلَّا أَمَرَ فِيهِ بِالْعَفْوِ»^(١).

وفي مسند الإمام أحمد ﷺ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبِرِ: «ازْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاعْفُوا يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَيُلْ لَأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيُلْ لِلْمُصْرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»^(٢).

قوله: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ»: والتواضع سبب لرفعة الله ﷻ لعبده في الدنيا، والآخرة، وكما أن المتكبر يضعه الله ﷻ ويذله في الدنيا، والآخرة.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنهم- قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَدْبَتَهُ»^(٣).



(١) أخرجه أبو داود (٤٤٩٧)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي ﷺ (٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (٦٥٤١)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٠)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح الأدب المفرد (٢٩٣/٣٨٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢٠).

فضل إفشاء السلام، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام

١٥٤٥ - (وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسَ نِيَامًا، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه هذا الحديث لبيان فضل إفشاء السلام، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام.

والحديث له قصة ففي سنن الإمام الترمذي: من في الحديث قصة عبد الله بن سلام - رضي الله عنه -، قَالَ: "لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبْنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمُ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسَ نِيَامًا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ».

قوله: «وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ - رضي الله عنه».

في صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: " فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ، وَقَدْ عَلِمْتُ يَهُودَ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَإِنِّي سَيِّدُهُمْ، وَأَعْلَمُهُمْ وَإِنِّي أَعْلَمُهُمْ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥) وابن ماجه (١٣٣٤، ١٣٣٥)، والدارمي (١٥٠١)، وأحمد

(٢٣٧٨٤)، وله شواهد وأعل بالانقطاع بين زرارة بن أوفى وابن سلام. وصححه الإمام الألباني

رضي الله عنه في الإرواء (٧٧٧)، وهو في أحاديث معلة ظاهرها الصحة للإمام الوادعي رضي الله عنه (١٩٤).

قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ. فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَيَلَكُمْ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ، فَأَسْلِمُوا»، قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ، قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ: «فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ؟» قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمْنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟»، قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسَلِّمَ، قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟» قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسَلِّمَ، قَالَ: «يَا ابْنَ سَلَامٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ»، فَخَرَجَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ، فَقَالُوا: كَذَبْتَ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(١).

وفي الصحيحين: من حديث سعد بن أبي وقاصٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: «مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ -رضي الله عنه-» قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف: ١٠] الْآيَةَ، قَالَ: «لَا أَدْرِي قَالَ مَالِكُ الْآيَةَ أَوْ فِي الْحَدِيثِ»^(٢).

وفي الصحيحين: من طريق قيس بن عبادٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ الْخُشُوعِ، فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ تَجَوَّزَ فِيهِمَا، ثُمَّ خَرَجَ، وَتَبِعْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنَّكَ حِينَ دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ قَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ، وَسَأَحَدْتُكَ لِمَ ذَاكَ: رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي فِي رَوْضَةٍ - ذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا

(١) أخرجه البخاري (٣٩١١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣).

وَخَضَرْتَهَا - وَسَطَهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ، أَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ، وَأَعْلَاهُ فِي السَّمَاءِ، فِي
أَعْلَاهُ عُرْوَةٌ، فَقِيلَ لِي: ارْقُ، قُلْتُ: لَا أَسْتَطِيعُ، فَأَتَانِي مِنْصَفٌ، فَرَفَعَ ثِيَابِي مِنْ خَلْفِي،
فَرَقَيْتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَاهَا، فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَقِيلَ لَه: اسْتَمْسِكْ فَاسْتَيْقَظْتُ، وَإِنَّهَا
لَفِي يَدِي، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «تِلْكَ الرَّوْضَةُ الْإِسْلَامُ، وَذَلِكَ الْعَمُودُ
عَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ عُرْوَةُ الْوُثْقَى، فَأَنْتَ عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى تَمُوتَ» وَذَلِكَ
الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ^(١).

قوله: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ!»: عام يراد به الخصوص، أي من آمن منهم.

كما قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

والناس: لفظ عام يشمل الجن والإنس.

وقد يرد به الإنس إذا قترن بالجن، كما في قول الله ﷻ: ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ

خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

قوله: «أَفْشُوا السَّلَامَ»: وهذا أمر وفيه فضيلة رد السلام لما فيها من المصالح

الدينية والدنيوية.

قوله: «وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ»: تقدم بيان أن صلة الأرحام من الأمور الواجبة، وأن قطع

الأرحام من الكبائر والعظائم، للوعيد الذي جاء في حق القاطع، وأنه لا يدخل الجنة.

وصلة الأرحام: تكون بالكلام، والزيارة، والإحسان إليهم، وتكون بالمواساة

بالمال ونحوه، وغير ذلك من أوجه الصلة.

قوله: «وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ»: ويدخل في ذلك جميع أنواع الإطعام، سواء كان ذلك

(١) أخرجه البخاري (٣٨١٣)، ومسلم (٢٤٨٤).

فضل إفشاء السلام، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام

على الفقراء، والمساكين، والمحتاجين، وعلى الأيتام، والأرامل، وغيرهم.
وسواء كان الطعام صدقة، أو من باب الضيافة، أو النفقة الواجبة: على الأولاد
والزوجة والأهل، أو النفقة المستحبة في وجوه الخير.

وفي فضل ذلك ما في الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ
لَمْ تَعْرِفْ»^(١).

قوله: «وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» أي قيام الليل، ففيه: الحث والترغيب على
قيام الليل، وقد تقدم الكلام في بيان فضله في بابه.

قوله: «تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» أي: أن ما ذكر في الحديث من أسباب دخول الجنة،
وهذا يدل على فضل هذه الأعمال المذكورة في الحديث، بشرط التوحيد.
والله الموفق



(١) أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

الدين النصيحة

١٥٤٦ - (وَعَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ - رضي الله عنه: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» ثَلَاثًا. قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان أن الدين النصيحة.

وفي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث تميم الداري - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(٢).

وجاء عند الإمام أبي داود رضي الله عنه بلفظ: من حديث تميم الداري - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ» قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «لِلَّهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، وَأَيِّمَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَامَّتِهِمْ، أَوْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»^(٣).

قوله: «تَمِيمِ الدَّارِيِّ - رضي الله عنه -»: هو أبو رقية رضي الله عنه، وكان نصرانياً ثم أسلم. وقد روى عنه النبي صلى الله عليه وسلم حديث الجساسة، وهذا يعتبر من رواية الأكابر عن الأصاغر.

قوله: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» "ثَلَاثًا": وهذا يعتبر حصراً للدين في النصيحة.

(١) أخرجه مسلم (٥٥)، وليس عنده لفظ: «ثلاثاً» ولا كررت جملة: «الدين النصيحة».

(٢) أخرجه مسلم (٥٥) (٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٤٤)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف أبي داود.

لأن النصيحة كلمة عامة: تفيد الخلوص بالعمل لله ﷻ.

ومعنى ذلك: أن جميع الدين: من أوامر، ونواهي، وقصص، وأخبار من النصيحة.

📖 قال النووي في شرحه على مسلم (٢ / ٣٧): قَالَ الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ

الْخَطَّابِيُّ ﷺ النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ مَعْنَاهَا حِيَاةُ الْحَظِّ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ قَالَ وَيُقَالُ هُوَ مِنْ وَجِيزِ الْأَسْمَاءِ وَمُخْتَصِرِ الْكَلَامِ وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ مُفْرَدَةٌ يُسْتَوْفَى بِهَا الْعِبَارَةُ عَنِ الْمَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةُ كَمَا قَالُوا فِي الْفَلَاحِ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ أَجْمَعَ لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْهُ قَالَ وَقِيلَ النَّصِيحَةُ مَاخُودَةٌ مِنْ نَصَحَ الرَّجُلُ ثَوْبَهُ إِذَا خَاطَهُ فَشَبَّهُوا فِعْلَ النَّاصِحِ فِيمَا يَتَحَرَّاهُ مِنْ صِلَاحِ الْمَنْصُوحِ لَهُ بِمَا يُسُدُّهُ مِنْ خَلَلِ الثَّوْبِ قَالَ وَقِيلَ إِنَّهَا مَاخُودَةٌ مِنْ نَصَحَتِ الْعَسَلِ إِذَا صَفَّيْتَهُ مِنَ الشَّمْعِ شَبَّهُوا تَخْلِيصَ الْقَوْلِ مِنَ الْغِشِّ بِتَخْلِيصِ الْعَسَلِ مِنَ الْخَلْطِ قَالَ وَمَعْنَى الْحَدِيثِ عِمَادِ الدِّينِ وَقِوَامِهِ النَّصِيحَةُ كَقَوْلِهِ الْحَجُّ عَرَفَةَ أَيَّ عِمَادُهُ وَمُعَظَّمُهُ عَرَفَةَ وَأَمَّا تَفْسِيرُ النَّصِيحَةِ). اهـ

📖 بيان أن النصيحة لها عام، وخاص:

فالمفهوم العام: ما ذكر في حديث الناس، فالدين كله بما جاء فيه من أوامر،

ونواهي، وأخبار، وقصص، كله من النصيحة.

والمفهوم الخاص: ما يبذله المسلم لأخيه المسلم من النصح، والإرشاد إلى

الخير، والتحذير من الشر، وأهله .

حتى أن النبي ﷺ كان يبايع أصحابه على النصيحة .

كما جاء ذلك في الصحيحين: من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: «بَايَعْتُ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^(١).

فلو أن الناس سلكوا هذا السبيل لكثر خيرهم، وقل شرهم بإذن الله ﷻ.

(١) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

ولفظ: ثلاثاً، جاءت في سنن الإمام الترمذي رحمه الله وهو صحيح، وقد عرف عن النبي صلى الله عليه وسلم إعادة الكلام ثلاثاً .

قوله: «قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» فيه: السؤال عما يشكل، وهكذا ينبغي لكل مسلم أن يسأل عما يشكل عليه في أمر دينه.

قوله: " قَالَ: «لِلَّهِ»."

 قال النووي شرحه على مسلم (٢ / ٣٨): قَالَ الْخَطَّابِيُّ رحمه الله وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْإِضَافَةِ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعَبْدِ فِي نُصْحِهِ نَفْسَهُ فَاللَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنِ نُصْحِ النَّاصِحِ وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِكِتَابِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَالْإِيمَانُ بِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى وَتَنْزِيلُهُ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْخَلْقِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ ثُمَّ تَعْظِيمُهُ وَتِلَاوَتُهُ حَقٌّ تِلَاوَتِهِ وَتَحْسِينُهَا وَالْخُشُوعُ عِنْدَهَا وَإِقَامَةُ حُرُوفِهِ فِي التَّلَاوَةِ وَالذَّبُّ عَنْهُ لِتَأْوِيلِ الْمُحَرِّفِينَ وَتَعَرُّضِ الطَّاعِنِينَ وَالتَّصَدِيقُ بِمَا فِيهِ وَالْوُقُوفُ مَعَ أَحْكَامِهِ وَنَفْهُمُ عُلُومِهِ وَأَمْثَالِهِ وَالْإِعْتِبَارُ بِمَوَاعِظِهِ وَالتَّفَكُّرُ فِي عَجَائِبِهِ وَالْعَمَلُ بِمُحْكَمِهِ وَالتَّسْلِيمُ لِمُتَشَابِهِهِ وَالبَحْثُ عَنْ عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ وَنَشْرُ عُلُومِهِ وَالدُّعَاءُ إِلَيْهِ وَالْيَاسِي مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ نَصِيحَتِهِ وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَتَصَدِيقُهُ عَلَى الرَّسَالَةِ وَالْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ وَطَاعَتُهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَنَصْرَتِهِ حَيَا وَمِيتَا وَمَعَادَاةُ عِنْدَ عَادَاةِ وَمُؤَالَاةُ مَنْ وَالَاهُ وَإِعْظَامُ حَقِّهِ وَتَوْقِيرُهُ وَإِحْيَاءُ طَرِيقَتِهِ وَسُنَّتِهِ وَبَثُّ دَعْوَتِهِ وَنَشْرُ شَرِيعَتِهِ وَنَفْيُ التُّهْمَةِ عَنْهَا وَاسْتِثَارَةُ عُلُومِهَا وَالتَّفَقُّهُ فِي مَعَانِيهَا وَالدُّعَاءُ إِلَيْهَا وَالتَّطَطُّفُ فِي تَعَلُّمِهَا وَتَعْلِيمِهَا وَإِعْظَامُهَا وَإِجْلَالُهَا وَالتَّادُّبُ عِنْدَ قِرَاءَتِهَا وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَاجْلَالِ أَهْلِهَا لِانْتِسَابِهَا إِلَيْهَا وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ وَالتَّادُّبُ بِأَدَابِهِ وَمَحَبَّةُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمُجَانَبَةُ مَنْ ابْتَدَعَ فِي سُنَّتِهِ أَوْ تَعَرَّضَ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَمَعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَطَاعَتُهُمْ فِيهِ وَأَمْرُهُمْ بِهِ وَتَنْبِيهِمْ وَتَذْكَيرُهُمْ

الدين النصيحة

بِرْفِقٍ وَلُطْفٍ وَإِعْلَامُهُمْ بِمَا غَفَلُوا عَنْهُ وَلَمْ يَبْلُغُهُمْ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ وَتَرْكُ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ وَتَأْلُفُ قُلُوبِ النَّاسِ لِبَطَاعَتِهِمْ قَالَ الْخَطَّابِيُّ رحمه الله وَمِنْ النَّصِيحَةِ لَهُمْ الصَّلَاةُ خَلْفَهُمْ وَالْجِهَادُ مَعَهُمْ وَأَدَاءُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ وَتَرْكُ الْخُرُوجِ بِالسَّيْفِ عَلَيْهِمْ إِذَا ظَهَرَ مِنْهُمْ حَيْفٌ أَوْ سُوءٌ عَشْرَةٌ وَأَنْ لَا يُغْرُوا بِالنِّسَاءِ الْكَاذِبِ عَلَيْهِمْ وَأَنْ يُدْعَى لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ الْخُلَفَاءُ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ يَقُومُ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْوِلَايَاتِ . اهـ

قوله: «وَلِكِتَابِهِ»: والنصيحة لكتابه: تكون بتعلمه، والعمل به، وتعلميه، والدعوة إليه، وامتنال أوامره بفعلها، واجتناب نواهيه بتركها، وبتصديق قصصه وأخباره، وبالاستشفاء به من أمراض القلوب، والشبهات، والشهوات، وبالتحاكم إليه عند الاختلاف، وبتلاوته: وتدبره، بخشوع، وبخضوع، وبحضور قلب.

يقول الله ﷻ: ﴿الْمَصَّ ۝١ كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: ١-٣]..

قوله: «وَلِرَسُولِهِ»: والنصيحة لرسوله: تكون بطاعته في أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله ﷻ إلا بما شرع، وبتصديق أخباره.

قوله: «وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ»: وهم حكام المسلمين، وخلفاؤهم، وملوكهم، ورؤسائهم، وأولياء أمورهم .

والنصيحة لهم: بطاعتهم في طاعة الله ﷻ، وعدم الخروج عليهم وإن جاروا وظلموا؛ لأن الخروج عليهم يؤدي إلى مفسد أعظم من ظلمهم وبغيهم، ويؤدي إلى سفك الدماء فيما بين المسلمين، ويؤدي إلى انتهاك الأعراس، وضياع الأموال، وانتشار الفوضى بين المسلمين، والخوف والرعب وعدم الأمن، وإلى مفسد لا

يعلم بها إلا الله ﷻ.

منها النصح لهم: من أهل العلم والفضل، والإرشاد والدعاء لهم.

وفي رواية في صحيح الإمام مسلم ﷺ: أن النبي ﷺ قَالَ لِلْآخِرِينَ قَوْلًا حَسَنًا، وَقَالَ: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»^(١).

قوله: «وَعَامَّتِهِمْ» والنصيحة لعامة المسلمين: تكون بالنصح، والتوجيه، والإرشاد إلى كل خير، وبالتحذير من كل شر، وأهله.

ومن النصح للعامة: عدم الغش لهم: سواء كان في أمور دينهم، أو في أمور دنياهم، ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ عَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَتَأَلَّتْ أَصَابِعُهُ بِلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ عَشَّنَا فَلَيْسَ مِنِّي»^(٣).

وغش عامة المسلمين من علماء أهل الضلال والبدع في أمر دينهم أعظم إثمًا من غش الرعية فيما بينهم في أمر البيع والشراء وغير ذلك من أمور الدنيا. وقد تكلم النووي ﷺ بكلام نفيس على هذا الحديث في شرح مسلم.



(١) أخرجه مسلم (١٨٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٢).

فضل التقوى وحسن الخلق

١٥٤٧ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان فضل التقوى وحسن الخلق.

قوله: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ» أي: من الأعمال الصالحة.

قوله: «تَقْوَى اللَّهِ»: وهو من أعظم الأعمال التي تدخل الجنة بعد توحيد الله صلى الله عليه وسلم.

لأن التقوى هي العمل بالدين كله، بحيث يجعل العبد بينه وبين عذاب الله صلى الله عليه وسلم وسخطه وناره وقاية، وتكون بفعل الأوامر، واجتناب النواهي والمحظور.

والأدلة من الكتاب ومن السنة على ذلك كثيرة.

فمنها قول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

ويقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾^(١٧).

ويقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ﴾^(٥٤).

ويقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

ويقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾^(٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا^(٣٢) وَكَوَاعِبَ أَزْرَابًا^(٣٣)، وَكَأْسًا دِهَاقًا^(٣٤) لَا

يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا^(٣٥) جَزَاءً مِمَّنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حَسَابًا^(٣٦) [النبا: ٣١-٣٦]..

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٩٦٩٦)، والحاكم (٧٩١٩)، من

طريق يزيد بن عبد الرحمن الأودي، ولم يوثقه إلا العجلي وابن حبان. وحسنه الإمام الألباني رضي الله عنه

في الصحيحة (٩٧٧).

فصل التقوى وحسن الخلق

قوله: «وَحُسْنُ الْخُلُقِ»: وهو من أثقل الأعمال الصالحة في الميزان، كما سبق.
ففي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:
«مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^(١).

و حسن الخلق كما سبق قسمين:

الأول: حسن الخلق مع الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يرادف معنى الإحسان .

ويكون بتوحيده، وبتجريد التوحيد من الشرك والتنديد .

الثاني: حسن الخلق مع الناس، وهذا يرادف في المعنى الإحسان إلى الخلق .

ويكون بكف الأذى، وبذل الندى وطلاقة الوجه .



(١) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح السنن،

وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رضي الله عنه (١٠٣٧).

بيان فضل حسن الخلق وبسط الوجه للناس

١٥٤٨ - (وَعَنْهُ - ﷺ) - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّكُمْ لَا تَسْعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان فضيلة حسن الخلق وبسط الوجه للناس.

قوله: «إِنَّكُمْ لَا تَسْعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ»: لأن الإنسان مهما كان عنده من الأموال إلا أنه سيعجز عن أن يكفي غيره من الناس في كل شيء يحتاجون إليه.

قوله: «وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ».

فبسط الوجه: من المعروف الذي أرشد إليه النبي ﷺ، وهو سهل على صاحبه، ويستطيع أن يبسط وجهه مع جميع المسلمين، ويسعهم بذلك.

إلا أهل البدع والمحدثات، والزنادقة، وأهل النفاق، والكفر، والشرك، فهؤلاء لا يبسط إليهم الوجه؛ إلا إذا كان من باب النصيحة لهم، والرفق فيهم تأليفاً لهم إلى الإسلام، ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي ذرٍّ - ﷺ -، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ

ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ»^(٢).

قوله: «وَحُسْنُ الْخُلُقِ»: وقد تقدم الكلام عليه.



(١) أخرجه الحاكم (٤٢٧)، وقال عقبه: "أخرجه سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ". وعبد الله بن

سعيد المقبري متروك. وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في الضعيفة (٦٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).

بيان أن المؤمن مرآة أخيه المؤمن

١٥٤٩ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ»^(١). [أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ] (١) وَابْنُ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَهُوَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسَمِّي الصَّحَابِيَّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن المؤمن مرآة أخيه المؤمن .
من حيث أنه إذا رأى عليه، أو ظهر له منه بعض الأخطاء، أو الزلات؛ فإنه ينصحه برفق ويوجهه إلى الخير، ويستر عيبه، ولا فضحه، ويرشده إلى ما يقربه إلى الله ﷻ.
والحديث رواه الإمام أبو داود رحمه الله: من أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكْفُ عَلَيْهِ ضِعْتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ».



(١) أخرجه أبو داود (٤٩١٨) وفي إسناده كثير بن زيد ضعيف. وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة (٩٢٦).

(٢) زيادة عن المخطوط.

بيان فضل خلطة الناس والصبر عليهم

١٥٥٠ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ»^(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَهُوَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: "إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ الصَّحَابِيَّ"^(٢)).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان فضل مخالطة الناس والصبر على آذاهم .
ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَىٰ مُعْسِرًا قَالَ لِغِيَابِهِ: تَجَاوَزُوا عَنِّي، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنِّي»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من طريق رُبَيْعِ بْنِ حِرَاشٍ، قَالَ: اجْتَمَعَ حُدَيْفَةُ، وَأَبُو مَسْعُودٍ - رضي الله عنه -، فَقَالَ حُدَيْفَةُ - رضي الله عنه -: «رَجُلٌ لَقِيَ رَبَّهُ، فَقَالَ: مَا عَمِلْتُ؟ قَالَ: مَا عَمِلْتُ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ رَجُلًا ذَا مَالٍ، فَكُنْتُ أَطَالِبُ بِهِ النَّاسَ فَكُنْتُ أَقْبَلُ الْمَيْسُورَ، وَاتَّجَاوَزُ عَنِ الْمَعْسُورِ، فَقَالَ: تَجَاوَزُوا عَنِّي»، قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ - رضي الله عنه -: هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ^(٤).

وقد ألف الخطابي رسالة في العزلة، وبين أن العزلة لا تكون إلا إذا فسد الزمان.

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٨) بسند صحيح، وأخرجه ابن ماجه (٤٠٣٢)، بسند ضعيف، فيه عبد الواحد بن صالح مجهول، وأخرجه الترمذي (٢٥٠٧) فقال: عن شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وحسنه الإمام الألباني رضي الله عنه في الصحيحة (٩٣٩).

(٢) الحديث زيادة عن المخطوط.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٧٨)، ومسلم (١٥٦٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٥٦٠).

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ، وَتَتَّخِذُهَا، فَأَصْلِحْهَا وَأَصْلِحْ رُعَامَهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، تَكُونُ الْغَنَمُ فِيهِ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ، يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، أَوْ سَعَفَ الْجِبَالِ فِي مَوَاقِعِ الْقَطْرِ، يَفْرُبُ بَدِينَهُ مِنَ الْفِتَنِ»^(١).

قوله: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ».

فالأذى ما سيسلم منه أحد من خلق الله صلى الله عليه وسلم، حتى الرسل والأنبياء وهم خير خلق الله صلى الله عليه وسلم ومع هذا لم يسلموا من الأذى.

بل لم يسلم الله صلى الله عليه وسلم من الأذى وهو الخالق القوي العزيز، يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧-٥٨].

حتى قيل في ذلك:

ما سلم الله من بريته ولا نبي الهدى فكيف أنا

وفي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم: «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»^(٢).

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم: من حديث أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ

(١) أخرجه مسلم (٣٦٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

لِيَعْفِيَهُمْ وَيَرْزُقَهُمْ» (١).

ولا مسبة أعظم من هذه المسبة، أن ينسب الله ﷻ الولد، ويشرك به، ومع ذلك يرزقهم ويعافيههم.

يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أٰتَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِيَّا الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكٰذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنزِلُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس: ٦٨-٧٠].
والله المستعان.



(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤).

الدعاء بحسن الخلق

١٥٥١ - (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي»^(١). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ).

الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان الدعاء بحسن الخلق .

قوله: «اللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي» أي: صورته التي خلقه الله عليها .

وفي الصحيحين: من حديث البراء - رضي الله عنه -، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث البراء - رضي الله عنه -، يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم رَجُلًا مَرْبُوعًا بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ عَظِيمَ الْجُمَّةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ صلى الله عليه وسلم»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه أيضًا: من حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه -، قَالَ: «لَمَّا اغْتَرَلَ نَبِيُّ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم نِسَاءَهُ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى، وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم نِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْحِجَابِ... فَلَمْ أَرَلْ أَحَدًا حَتَّى تَحَسَّرَ الْغَضَبُ عَنْ وَجْهِهِ، وَحَتَّى كَثُرَ فَضْحِكُكَ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ

(١) أخرجه أحمد (٣٨٢٣)، وابن حبان (٩٥٩)، وهو حديث صحيح بلفظ: "اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي،

فَأَحْسِنْ خُلُقِي". وله شاهد: أخرجه أحمد (٢٤٣٩٢) عن عائشة - رضي الله عنها - بسند صحيح.

وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في الإرواء (٧٤) حيث قال: "نعم لقد صح هذا الدعاء عنه صلى الله

عليه وسلم مطلقا دون تقييد بالنظر في المرأة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٦٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٣٧).

ثَغْرًا ...»^(١).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من طريق أبي إسحاق، قَالَ: سُئِلَ الْبَرَاءُ - رضي الله عنه - أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ، مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ (٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ - رضي الله عنه -، يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَمِطَ مُقَدِّمَ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ، وَكَانَ إِذَا ادَّهَنَ لَمْ يَتَّبِعَنَّ، وَإِذَا شَعَثَ رَأْسُهُ تَبَّيَّنَ، وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ اللَّحْيَةِ، فَقَالَ: رَجُلٌ وَجْهُهُ مِثْلُ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يُشْبِهُ جَسَدَهُ»^(٣).

﴿ وكما كان النبي صلى الله عليه وسلم في أحسن خلقه، فقد كان أيضاً أحسن الناس.

كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤).

وجاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عائشة رضي الله عنها، أنها لما سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: «أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»^(٥).

فجمع الله ﷻ لنيبه محمد ﷺ بين حسن الخلقة، وبين حسن الخلق، وهذه أعلى مراتب الإنسان.

﴿ بيان مراتب خلقة الإنسان وخلقته:

المرتبة الأولى: من جمع الله ﷻ له بين حسن الخلقة، وحسن الخلق.

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٤٤).

(٤) أخرجه مسلم (٧٤٦).

الدعاء بحسن الخلق

وعلى رأس هذه المرتبة نبينا محمد ﷺ.

ونبي الله يوسف عليه السلام، و آدم أبو البشر عليه السلام .

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ في حديث المعراج: من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه، في قصة المعراج، قال: «فُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ...»^(١).

وقد قال أهل العلم: إذا كان يوسف عليه السلام قد أوتي شطر الحسن، فإن نبي الله آدم عليه السلام قد أوتي الجمال كله؛ لأن الله خلقه بيده.

يقول الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّىْ خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِيْنٍ ﴿٧١﴾ فَاِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُّوْحِىْ فَقَعُوْا لَهٗۙ سٰجِدِيْنَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ اٰجَمُوْنَ ﴿٧٣﴾ اِلَّا اِبٰلِيْسَ اَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ ﴿٧٤﴾ قَالَ بٰتِیۡلِیْسُ مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِیَدِیْۙ اَسْتَكْبَرْتَ اَمْ كُنْتَ مِنَ الْعٰلِيْنَ ﴿٧٥﴾ قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِّنْهُۥ خَلَقْنِیْ مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِنْ طِيْنٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرِجْ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِيْمٌ ﴿٧٧﴾ وَاِنَّ عَلٰیكَ لَعْنَتِیْۙ اِلٰی یَوْمِ الدِّیْنِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص: ٧١-٧٨]..

المرتبة الثانية: من أعطاه الله ﷻ حسن الخلق، ولم يعطه حسن الخلق.

وهذه مرتبة أيضاً عظيمة، ولكنها دون المرتبة الأولى.

المرتبة الثالثة: من أعطاه الله ﷻ حسن الخلق، ولم يعطه حسن الخلق.

المرتبة الرابعة: من كان فيه سوء الخلق، وسوء الخلق.

وهذه أدنى المراتب.

ولا يتعارض هذا مع قول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِيْۢ اَحْسَنِ تَقْوِيْمٍ ﴿٤﴾﴾.

فالإنسان مكرم على سائر المخلوقات بعقله، ووجهه، وصفاته، يعتبر من أكمل

(١) أخرجه مسلم (١٦٢).

الدعاء بحسن الخلق

وأجمل أنواع المخلوقات .

وحال الناس في الآخرة على حسب العمل، يقول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ

وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧]..

فوجوه المؤمنين؛ أهل السنة والجماعة، يوم القيامة بيضاء مشرقة منورة سعيدة مطمئنة فرحة مستبشرة.

ووجوه الكفار والمشركين والمنافقين والملحدين والمبتدعة، مسودة تعلوها قفرة

غبرة، كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يُؤْمِنُ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرَهَقَهَا قَفْرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

[عبس: ٤٠-٤٢].

قوله: «فَحَسِّنْ خُلُقِي».

• **الشاهد من الحديث:** أن النبي ﷺ تميز بأعلى درجات ومراتب الجمال الحسي

والمعنوي، جمال الخلقة، وجمال الخلق، والله أعلم



باب الذكر والدعاء

[بَابُ الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ]

شرح الشرح:

والكلام على باب الذكر والدعاء من المهمات. إذ أن ما من عبادة شرعها الله ﷻ إلا ويكون فيها من الأذكار والأدعية ما يكون سبباً لسعادة الدارين.

بيان الفرق بين الذكر والدعاء:

والذكر من دعاء العبادة.

ودعاء العبادة: يشمل جميع العبادات من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وجهاد، وقراءة للقرآن، وتسبيح، وتحميد، وغير ذلك من العبادات وهي كثيرة، قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤] قال سعيد بن جبير: الذكر طاعة الله .

ومن عجب شأن الذكر أنه ما من عبادة إلا وفيها من الأذكار والأدعية الخير الكثير.

ودعاء المسألة: يراد به دعاء الطلب، وبيانه أن يسأله العبد بأسمائه الحسنی، وصفاته العلا، من خيرين الدنيا، والآخرة.

وقد صنف العلماء في باب الأدعية والأذكار المطولات، والمختصرات.

ومن أشهر ذلك: "كتاب الأذكار للنووي ﷺ".

وقد استفاد من كتابي: "عمل اليوم والليلة"، للإمام النسائي وابن السني رحمهما

الله تعالى.

وفي الصحيحين جملة من أبواب الذكر والدعاء، لا يستغنى عنها.

بيان أقسام الذكر:

والذكر والدعاء ينقسم إلى قسمين:

• الأول: الذكر والدعاء المطلق.

فمن المطلقات الحث على ذكر الله ﷻ ودعائه في كل وقت، وفي كل حين.

يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٦٠).

وهذا دعاء عام، فلم يُحدد الله ﷻ الدعاء في أي وقت، ولا في أي كيفية، ولا في أي مكان، وإنما هو عام في كل وقت، وفي كل مكان، وفي أي كيفية يريد العبد، ويحتاج إليها.

• والأفضل أن يدعو العبد بما ثبت عن النبي ﷺ، فإنه قد أوتي جوامع الكلم.

ويقول الله ﷻ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ (١٥٢).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث عائشة - رضي الله عنها -، قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»^(١).

• الثاني: الذكر والدعاء المقيد.

مثل أذكار الصباح والمساء، وأدبار الصلوات المفروضة، وقبل النوم، والاستيقاظ من النوم، والخروج من المنزل، ودخول الحمام، والجماع، وغيرها مما قيد في وقت وكيفية.

والدعاء المقيد: ما جاء مقيداً في وقت.

(١) أخرجه مسلم (٣٧٣).

مثل: الدعاء في السجود.

ففي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث عائشة -رضي الله عنها-، قالت: فقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةً مِنَ الْفَرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدَيَّ عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ»^(١).

والدعاء عقب التشهد الأخير:

ففي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٢).

وغيرها من الأدعية التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ففي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: «فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبُوحٌ قُدُوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(٣).
والذكر والدعاء من أعظم أبواب تحصيل الحسنات، وتكفير السيئات.

﴿ بيان أوقات الاستجابة: ﴾

الأول: الدعاء بين الأذان والإقامة.

ففي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه وغيره: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٥٨٨).

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٧).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُرَدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ»^(١).

الثاني: الدعاء دبر الصلاة، أي بعد التشهد قبل السلام بعد أن ذكر التشهد قال في الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: «ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ، فَيَدْعُو»^(٢).

الثالث: الدعاء في السجود.

في صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ ﷻ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهَدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»^(٣).
وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»^(٤).

الرابع: في آخر ساعة من يوم الجمعة.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ، قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وَقَالَ بِيَدِهِ: «يُقَلِّلُهَا يَزِيدُهَا»^(٥).

وهي آخر ساعة من اليوم.

ففي سنن الإمام أبي داود ﷺ: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رضي الله عنه-، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ - يُرِيدُ - سَاعَةً، لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ

(١) أخرجه أبو داود (٥٢١)، والترمذي (٢١٢)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح السنن.

(٢) أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢).

(٣) أخرجه مسلم (٤٧٩).

(٤) أخرجه مسلم (٤٨٢).

(٥) أخرجه مسلم (٨٥٢).

شَيْئًا، إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ ﷻ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»^(١).

وفي سنن الإمام ابن ماجه ﷺ: من حديث عبد الله بن سلام -رضي الله عنه-، قَالَ: قُلْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ: إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ: «فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا قَضَى لَهُ حَاجَتَهُ». قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَشَارَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ بَعْضُ سَاعَةٍ»، فَقُلْتُ: صَدَقْتَ، أَوْ بَعْضُ سَاعَةٍ. قُلْتُ: أَيُّ سَاعَةٍ هِيَ؟ قَالَ: «هِيَ آخِرُ سَاعَاتِ النَّهَارِ». قُلْتُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ سَاعَةً صَلَاةً، قَالَ: «بَلَى. إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا صَلَّى نَمَّ جَلَسَ، لَا يَحْبِسُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، فَهُوَ فِي الصَّلَاةِ»^(٢).

الخامس: في الثلث الأخير من الليل.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»^(٣).

السادس: الدعاء في الطواف حول البيت.

ففي سنن الإمام أبي داود ﷺ: من حديث عبد الله بن السائب -رضي الله عنه-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(٤).

السابع: الدعاء بين الصفا والمروة.

(١) أخرجه أبو داود (١٠٤٨)، والنسائي (١٣٨٩)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح السنن.

وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي ﷺ (٢٣٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١١٣٩)، وحسنه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف ابن ماجه، وفي صحيح

الترغيب والترهيب (٧٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٨٥).

(٤) أخرجه أبو داود (١٨٩٢)، وحسنه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف أبي داود.

ففي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه الطويل في حجة النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه قال: «ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَاءِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعَدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ: مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى آتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرَ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ...»^(١).

الثامن: الدعاء يوم عرفة.

ففي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث عائشة رضي الله عنها - رضي الله عنها -: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يَبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»^(٢).

التاسع: الدعاء عند الجمرات .

ففي البخاري^(٣): عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، كَانَ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الدُّنْيَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ، ثُمَّ يُكَبِّرُ عَلَى إِثْرِ كُلِّ حَصَاةٍ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ فَيَسْهَلُ، فَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ قِيَامًا طَوِيلًا، فَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الْوُسْطَى كَذَلِكَ، فَيَأْخُذُ ذَاتَ الشَّمَالِ فَيَسْهَلُ وَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ قِيَامًا طَوِيلًا، فَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرْمِي الْجَمْرَةَ ذَاتَ الْعَقْبَةِ مِنْ

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٧٥٢).

بَطْنِ الْوَادِي، وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا، وَيَقُولُ: «هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُ»
 العاشر: الدعاء في السفر .

ففي سنن أبي داود رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(١).
 الحادي عشر: دعاء الصائم.

ففي سنن الإمام ابن ماجه رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ، حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللَّهُ دُونَ الْعَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لَا أَنْصِرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(٢).

الثاني عشر: دعوة المظلوم.

ففي سنن أبي داود رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(٣).
 بل وفي الصحيح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: «وَأَتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» أخرجہ مسلم .

الثالث عشر: دعاء الوالد لولده، أو على ولده.

ففي صحيح مسلم: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤَافِقُوا مِنِ اللَّهِ سَاعَةً

(١) أخرجه أبو دود (١٥٣٦)، وحسنه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح أبي داود.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٢)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف ابن ماجه الشطر الأول منه، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رضي الله عنه (١٣٥٨).

(٣) أخرجه الإمام أبي دود في سننه (١٥٣٦)، حسنه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح أبي داود.

يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ» .

ففي سنن أبي داود رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(٣).

الرابع عشر: الدعاء في الاضطرار.

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ

الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٤).

وقد صنف أهل العلم في أوقات الاجابة.

فمعرفة هذا الباب من أهم المهمات؛ إذ أنه لا غنى لمكلف عن دعاء الله صلى الله عليه وسلم وذكره.

ولهذا كان من قول النبي صلى الله عليه وسلم ووصيته: «اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك»، أخرجه أحمد عن ابن مسعود ت، وجاءت له ألفاظ منها ما أخرجه أبي داود رضي الله عنه وغيره: من طريق عُبَيْدِ بْنِ مُسْلِمٍ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبْلِيُّ، عَنْ الصُّنَابِجِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: "أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ - رضي الله عنه - الصُّنَابِجِيِّ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِجِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٥).

وعند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه إذا أحب أحدكم أن يجتهد في الدعاء فليقل «اللهم

(٣) أخرجه أبو دود (١٥٣٦)، وحسنه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح أبي داود.

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح السنن.

وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رضي الله عنه (١١٠٧).

أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»

﴿ بيان حكم رفع اليدين عند الدعاء: ﴾

ويستحب رفع اليدين عند الدعاء في جميع المواطن، إلا المواطن التي دعا فيها النبي ﷺ ولم يرفع يديه فيها .

ففي الترمذي: من حديث سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَبِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْبِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ» ^(١).
ثم قال رضي الله عنه: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ وَلَمْ يَرْفَعَهُ".

ولما جاء في صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ^(٥١) [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يُمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ؟» ^(٢).

وأخرج البخاري (٣٥٦٥) ومسلم برقم (٨٩٥): عن أَنَسٍ رضي الله عنه، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ لَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ إِلَّا فِي الْإِسْتِسْقَاءِ، فَإِنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يَرَى بَيَاضَ إِبْطِيئِهِ».

وَقَالَ أَبُو مُوسَى: «دَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِيئِهِ».

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥٦)، وأبو داود (١٤٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه

في صحيح السنن.

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٥).

أي أن النبي ﷺ رفع يديه في الاستسقاء رفعاً مبالغاً فيه؛ حتى ظن الراوي أن النبي ﷺ جعل بطن كفيه إلى الأرض، وظهر كفيه إلى السماء؛ وليس كذلك.

❦ بيان بعض موانع استجابة الدعاء:

الأول: الاعتداء في الدعاء لقول رسول الله ﷺ "يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ فَلَا - أَوْ فَلَمْ - يُسْتَجَبْ لِي" أخرجه مسلم عن أبي هريرة ت.

يقول الله ﷻ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].

الثاني: التعجل في الاستجابة .

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»^(١).

الثالث: أن يدعو بإثم، أو بقطيعه رحم.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: «قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرِ يُسْتَجِبْ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ»^(٢).

الرابع: تعاطي الحرام لبسًا وشربًا وأكلًا.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ،

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٥).

وَمَطْعُمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَعُدْيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ
لِذَلِكَ؟^(١).

الخامس: الدعاء من قلب غافل لاه ساهٍ.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلِبِ
غَافِلٍ لَاهٍ»^(٢).

ثم قال رحمه الله: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ».

سَمِعْتُ عَبَّاسًا الْعَنْبَرِيَّ يَقُولُ: اكْتُبُوا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْجَمَحِيِّ فَإِنَّهُ ثِقَةٌ.

• **تنبيه:** لا يلزم من استجابة الدعاء حصول المطلوب بل إن له ثلاث حالات:

الأول: حصول المطلوب .

الثاني: دفع مثله من المرهوب .

الثالث: إدخار الأجر إلى يوم القيامة فعن أبي سعيد الخدري قال قال النبي

صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى

ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من

السوء مثلها» أخرجه الترمذي .



(١) أخرجه مسلم (١٠١٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي.

بيان تعين النطق بالذكر

١٥٥٢ - (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»^(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيْقًا).

الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن النطق شرط في الذكر .

ويغني عن هذا الحديث ما في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»^(٢).

قوله: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى» أي: في الحديث القدسي.

وفيه: إثبات أن الله ﷻ يتكلم بحرف وبصوت.

قوله: «أَنَا مَعَ عَبْدِي» المراد به: المؤمن، والعبودية هنا: عبودية تشریف.

قوله: «مَا ذَكَرَنِي»: سواء كان ذكره في نفسه أو في العامة يشترك فيها المؤمن

والكافر والبر والفجار، كما تقدم .

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٧٩٢)، وابن حبان (٨١٥)، بسند صحيح، وعلقه البخاري قبل حديث

(٣٧٩٢) بصيغة الجزم. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في سنن ابن ماجه (٣٧٩٢)، وفي صحيح

الترغيب والترهيب (١٤٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

بيان تعين النطق بالذكر

فإن كان الذاكر لله ﷻ في نفسه؛ فإن الله ﷻ يذكره في نفسه المقدسة .
 وإن كان الذاكر لله ﷻ في ملا؛ فإن الله ﷻ يذكر عبده ويشني عليه عند الملائكة .
قوله: «وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاؤُهُ» فيه: أن الذكر لا يكون إلا بالنطق بالشفيتين واللسان .
 وأما الذاكر بقلبه؛ فإنه لا يثاب على ذلك، كما يثاب من ذكر الله ﷻ بلسانه .
وبعض أهل العلم: يشترط أن يسمع الذاكر نفسه .
 ومعية الله ﷻ لعبده المؤمن معية خاصة به، يوفقه إلى الخير، ويحفظه، وينصره،
 ويكلؤه، ويرعاه، ويؤيده .

بيان أقسام معية الله ﷻ لعباده:

وتنقسم المعية إلى قسمين:

الأول: معية خاصة .

وهي معية الله ﷻ مع عباده المؤمنين، كما سبق بيانه .

يقول الله ﷻ: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٤٦) .

الثاني: معية عامة .

وهي معية الله ﷻ مع جميع خلقه .

وهي معية العلم، والإحاطة، والاطلاع والقهر وغير ذلك من خصائص الربوبية .

يقول الله ﷻ: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا

يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿٤٧﴾ .



بيان أن ذكر الله مما ينجي من عذاب الله ﷻ

١٥٥٣ - (وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَا عَمَلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَالطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان أن ذكر الله ﷻ مما ينجي صاحبه يوم القيامة من عذاب الله ﷻ.

قوله: «مَا عَمَلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا»: أي من الأعمال: القلبية، والبدنية، والقولية، وهذا بعد التوحيد والفرائض الواجبات .

قوله: «أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ»: أي: من أسباب السلامة من عذاب الله ﷻ .

قوله: «مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»: أي: أن ذكر الله ﷻ هو أكثر الأعمال التي تنجي صاحبها من عذاب الله ﷻ يوم القيامة .

والمعنى: أن الذكر من أسباب النجاة .

ومن أرجى الأعمال التي تنجي صاحبها يوم القيامة من عذاب الله ﷻ.

لأنه مشتمل على توحيد الله ﷻ من قوله: (لا إله إلا الله) ونحوها.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٤٥٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠ / ١٦٦ / ١٦٧) بسند ضعيف، فقال:

حدثنا أبو خالد الأحمر، عن يحيى بن سعيد، عن أبي الزبير، عن طاووس، عن معاذ، به. وأبو

الزبير مدلس، وقد عنعنه، وطاووس لم يسمع من معاذ كما في «المراسيل» لابن أبي حاتم، وربما

أخطأ فيه أبو خالد الأحمر، فقد أخرجه الطبراني في «الصغير» (٢٠٩) من طريقه، عن يحيى بن

سعيد الأنصاري، عن جابر، به!.

بيان أن ذكر الله مما يجيء من عذاب الله

ومشتمل على تنزيه الله ﷻ عن كل نقص وعيب وعن كل ما لا يليق به، من قوله: (سبحان الله) ونحوها .

ومشتمل على تعظيم الله ﷻ وتكبيره وتمجيده والثناء عليه، وذلك من قوله: (الله أكبر)، (والحمد لله رب العالمين)، ونحو ذلك.

ومشتمل على طلب المغفرة وطلب ستر الذنوب، وذلك من قوله: (استغفر الله)، وقوله: (اللهم اغفر لي وتب علي إنك أنت الغفور الرحيم)، ونحو ذلك .

ومشتمل على طلب الإعانة من الله ﷻ على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، وذلك من قوله: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، ونحو ذلك .

فإن الله ﷻ إذا ذكر عبده سلمه وعافاه واصطفاه واجتباها، وأعطاه ما يريد من أمور الدنيا، والآخرة.

وقد كان النبي ﷺ أرفع الناس منزلة، وأعظمهم قدرًا عند الله ﷻ؛ لكثرة ذكره لله ﷻ فعن عائشة، قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ» متفق عليه.

وربنا ﷻ يقول: ﴿وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ويقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾

وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢]، ويقول: ﴿وَالذِّكْرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾

وَالذِّكْرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

وفي الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ:

سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١).

والإمام مسلم رضي الله عنه في صحيحه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،

قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١ . ٢٦٩٢).

بيان أن ذكر الله مما ينجيه من عذاب الله

شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرَ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١).



(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٢).

بيان فضل ذكر الله ﷻ

١٥٥٤ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مُجَلِّسًا، يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَعَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان فضل الذكر.

والحديث بطوله في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»^(٢).

وجاء عنده: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَعَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

قوله: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ»: وبشرط البعد عن مجالس المبتدعة، وطريقتهم، وإنما

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

بيان فضل ذكر الله

على طريقة النبي ﷺ، وطريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم: من الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين، أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، إذ أن الصوفية والرافضة قد أحدثوا في دين الله ﷻ في هذا الباب، وفي غيره من الأبواب ما لم يأذن به الله ﷻ .

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-، قال: خرج معاوية -رضي الله عنه- على حلقة في المسجد، فقال: "ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال الله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إنني لم أستخلفكم نهمه لكم، وما كان أحد بمنزرتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن به علينا، قال: «الله ما أجلسكم إلا ذاك؟» قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: «أما إنني لم أستخلفكم نهمه لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني، أن الله ﷻ يباهي بكم الملائكة»^(١).

قوله: «مجلساً»: وهذا عام في المساجد وغيرها .

قوله: «يذكرون الله» أي: بلسان الحال والمقال وذكر الله ﷻ لفظ عام: فيدخل في ذلك من سبح، وحمد، وكبر، وهلل، وقرأ القرآن، وطلب العلم، واستمع للموعظة، وخطب، وحاضر، وفعل أي فعل فيه ذكر الله ﷻ بل من أعظم ذكر الله ﷻ: معرفة الحلال، والحرام، والتفقه في دين الله ﷻ .

فليس الذكر مخصوصاً: بالتسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير .

ولذلك كانت مجالس أهل الحديث مجالس ذكر كما هو تفسير غير واحد من السلف .

قوله: «إلا حفت بهم الملائكة» أي: أحاطت بهم .

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠١).

بيان فضل ذكر الله

كما جاء في سنن الإمام الترمذي رحمه الله: عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه - قال: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ» .

في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فَضُلًّا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلُتُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيُّ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَني؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^(١).

وفي الصحيحين أيضًا: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»^(٢).

قوله: «وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ» أي: رحمة الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليهم وتغشاهم، فيرجى لهم

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

بيان فضل ذكر الله

مغفرة الذنوب، وستر العيوب.

﴿ بيان الفرق بين الرحمة والمغفرة:

إذا اجتمعتا افترقتا في المعنى، وإذا افترقا اجتمعا .

فالمغفرة إذا اجتمعت مع الرحمة كان معنى المغفرة: التجاوز عما مضى من

الذنوب .

ومعنى الرحمة: التوفيق فيما يأتي على الإنسان .

وإذا افترقتا كانت المغفرة بمعنى الرحمة، وكانت الرحمة بمعنى المغفرة.

قوله: «وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»: وهذا شيء عظيم أن يذكر الله ﷻ عباده الذاكرين

له في الملا، عند ملائ خير منهم، وهم الملائكة، ويثني عليهم، ولو لم يكن من فضيلة

الذكر إلا هذه الخصلة لكفى بها شرفاً ومنزلة.



ذم مجالس الغفلة

١٥٥٥ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَسَنٌ».

شرح الشرح:

ساق المصنف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحديث لبيان ذم الغفلة عن ذكر الله، وذلك أن المجالس التي لا يذكر فيها الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا يصلى فيها على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها تكون يوم القيامة حسرة على أهلها.

ولفظه في الترمذي أيضا: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ عَفَّرَ لَهُمْ».

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: "تِرَةٌ": "يَعْنِي حَسْرَةً وَنَدَامَةً".

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالْعَرَبِيَّةِ: "التَّرَةُ هُوَ الثَّأْرُ".

قوله: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ»: عام في الرجال، والنساء، ويشترط أن يكون الذكر بعيداً عن الطرق المبتدعة، التي اخترعها الصوفية ومن إليهم. مثل الذكر الجماعي، وضرب الدفوف على ذلك، وهز الرؤوس، وربما حصل الاختلاط بين الرجال والنساء في المولد، ونحوه.

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٠) لكن بلفظ: «ما جلس قوم مجلساً»، واللفظ الذي ذكره الحافظ لأحمد

(٩٩٦٥). وصححه الإمام الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحة (٧٦، ٧٧، ٧٨).

ذم مجالس الغفلة

بل وصل الحد ببعضهم أنه يعتقد أن النبي ﷺ يخرج من قبره، ويحضر معهم الذكر، والمولد.

ولهذا تجد أن بعضهم يفرشون الفراش الأبيض، ويزعمونه للنبي ﷺ، وهذا هو الكفر بعينه.

ويقولون:

هذا النبي مع الأحباب قد حضرا
وسامح الكل في ما مضى وجرى
ويقول بعضهم:

مرحباً يا نور عيني مرحباً
مرحباً جد الحسين مرحباً

قوله: «مَقْعَدًا» أي: مجلساً من المجالس، سواء كان ذلك في الليل، أو النهار، واللفظ عام في كل ما كان من ذكر الله ﷻ، وذكر القعود لأنه أكثر حالات الذكر.

قوله: «لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ» أي: في مجلسهم سواء بلسان الحال أو المآل، وإنما أضاعوه في الكلام الذي لا ينفعهم.

بل ربما فيها يضرهم: من الغيبة، والنميمة، والكذب، والزور، والسب، والشتم، واللعن، ونحو ذلك من الكبائر والعظائم والعياذ بالله ﷻ من ذلك.

وتعاطي المحرمات: من الدخان، والخمر، والمسكرات، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﷻ.

وربما في مشاهدة المحرمات: من الأفلام، والمسلسلات، وسماع المعازف، والأغاني، ورؤية النساء الكاسيات العاريات إلى غير ذلك من بلاء المجالس.

قوله: «وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ -» فيه: فضيلة الصلاة على النبي ﷺ وقد جاء في ذم تاركها.

في سنن الإمام الترمذي ﷺ: من حديث حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - ﷺ - قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(١).

و الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سبب لصلاة الله ﷻ على العبد عشرة مرات .

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَدِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(٢).

بيان معنى صلاة الله ﷻ على عبده:

وأصح ما جاء في تفسير ذلك.

ما أخرجه الإمام البخاري ﷺ في صحيحه (١٢٠/٦): يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ

وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: "صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ".

وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: "الدُّعَاءُ".

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: ﴿يُصَلُّونَ﴾: يُبْرِكُونَ. اهـ.

قوله: «إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»: ولعل هذا التحسر يكون والله اعلم قبل

أن يدخلوا الجنة؛ لأن من دخلها فلا يحزن، ولا يتحسر، ولا يبأس، ولا يحصل له ما

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٦)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف الترمذي. وصححه

الإمام الألباني ﷺ في المشكاة (٩٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٤).

يكدر صفوه أبدأ.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى سَبَابُهُ»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا»، فَذَلِكَ قَوْلُهُ رحمه الله: ﴿وَتُودُوا أَنْ تَلِكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤٣) [الأعراف: ٤٣]^(٢).

ويقول الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بَالِغًا لِّحَقِّهِمْ وَتُودُوا أَنْ تَلِكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤٣).

فالله تعالى ينزع من قلوبهم كل غل، وحسرة، وندامة، وما يكدر صفوهم، ويجعلهم لا يتنعمون فيما أعد لهم في الجنة.

قوله: «يقوم القيامة»: هو يوم الجزاء على العمل، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وكم من الأوقات التي نضيعها في غير ما ينفعنا من ذكر الله تعالى ونحوه .
وكم هي المجالس التي نجلسها ولا نصلي فيها على النبي صلى الله عليه وسلم .

وما نزل البلاء بالناس؛ إلا بسبب البعد عن ذكر الله تعالى، وعن الصلاة على النبي

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٧).



ذم مجالس الغفلة



صلى الله
عليه
وسلم

وبسبب الذنوب، والمعاصي.

فإذا ذكرك الله ﷻ وصلك، وكنت محفوظاً بإذن الله ﷻ.



بيان فضل التهليل

١٥٥٦ - (وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ... ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان فضل من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرات.

والحديث في مسلم: من طريق عَمْرٍو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ». وَقَالَ سُلَيْمَانُ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي السَّفَرِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ خَثِيمٍ، بِمِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِلرَّبِيعِ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: مِنْ عَمْرٍو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ فَاتَيْتُ عَمْرٍو بْنَ مَيْمُونٍ فَقُلْتُ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ مِنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ فَاتَيْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى فَقُلْتُ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: مِنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ - رضي الله عنه - يُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

قوله: «مَنْ قَالَ» أي: من الرجال، أو النساء، من المسلمين.

قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: كلمة التوحيد، والإخلاص، وكلمة التقوى والعروة

الوثقى.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣) وعنده زيادة: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، وساقه مختصراً البخاري بلفظ: «مَنْ قَالَ عَشْرًا، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ».

بيان فضل التهليل

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله ﷻ .

والدليل: قول الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ

الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (١٢).

قوله: «وَحْدَهُ»: تأكيد للتوحيد، وتأكيد لكلمة الإخلاص .

قوله: «لَا شَرِيكَ لَهُ»: تأكيد للنفي .

قوله: «لَهُ الْمَلِكُ» أي: الملك المطلق العام الشامل لكل المخلوقات في الدنيا،

والآخرة، يقول الله ﷻ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ

تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]

ويقول الله ﷻ: ﴿بِزَكَّ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

قوله: «وَلَهُ الْحَمْدُ»: المستغرق لكل أنواع المحامد .

فالله ﷻ يحمد على جماله، وكماله، وإحسانه، وفضله سبحانه وتعالى .

والحمد: هو ذكر محاسن المحمود مع المحبة والتعظيم .

وقيل بأن الحمد: الثناء على الله ﷻ على الجميل الاختياري .

﴿ بيان أن حمد الله ﷻ يكون على أمرين:

الأول: يحمد لأنه أهل للحمد لعظيم جلاله وحسن فعاله .

الثاني: يُحمد الله ﷻ على ما ينعم به على عباده من نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى،

قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

قوله: «وهو على كل شيء قدير»: وهذا لفظ عام لا يخرج عنه شيء، فلا يعجزه

شيء؛ لكمال علمه، وقدرته، وقوته، ولكماله في جميع أسمائه، وصفاته .

يقول الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ

بيان فضل التهليل

قُوَّةٌ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ .

قوله: «عَشْرَ مَرَّاتٍ»: وهذا الذكر مطلق يقول العبد في أي وقت شاء .

وما جاء بتقيدها بعد صلاة الصبح، والمغرب، فلا يثبت في ذلك شيء، وقد تكلم العلماء عن تلك الأحاديث .

قوله: «كأنما أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»: فالمحروم من حرم مثل هذه الأجور، وهي يسيره العمل، وعظيمة الأجر، تعتبر غنيمة عظيمة يحرص عليها المؤمن أشد الحرص .

مع أن الذي يعتق رقبة له أجر عظيم عند الله ﷻ، فكيف بمن يعتق أربعة أنفس؛ بلا شك سيكون أجره أعظم .

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرْجِهِ»^(١).

وذكر في الحديث ولد إسماعيل لفضلهم على غيرهم؛ لأمر:

الأول: أنهم من نسل إبراهيم عليه السلام وهو أبو الأنبياء، وخليل الرحمن، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين بعد نبينا محمد ﷺ .

الثاني: أن إسماعيل عليه السلام كان من الأنبياء والرسل، وهو من أجداد النبي

ﷺ .

الثالث: أن إسماعيل عليه السلام هو أول من تكلم العربية الفصحى من الأنبياء والرسل؛ لأنه عاش في مكة مع أمه هاجر ﷺ عندما تركهم إبراهيم عليه السلام بأمر الله ﷻ .

(١) أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩).

بيان فضل التسبيح

📖 قال الحافظ في الفتح (١١ / ٢٠٥): وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ جَوَازُ اسْتِرْفَاقِ الْعَرَبِ خِلَافًا لِمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ قَالَ عِيَاضُ ذِكْرُ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْمِائَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا غَايَةٌ لِلثَّوَابِ الْمَذْكُورِ. اهـ

بيان فضل التسبيح

١٥٥٧ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

📖 الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان فضل ذكر الله ﷻ بالتسبيح ومنه بقولنا: "سبحان الله وبحمده".

وما ساقه المصنف هو اللفظ المتفق عليه .

وجاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتْ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»^(٢).

ويقال هذا الذكر مطلقاً: في أي وقت، وله الأجر المترتب عليه بفضل الله ﷻ.

ويقال مقيداً: في أذكار الصباح، والمساء.

📖 بيان بعض الأذكار المطلقة:

الأول: التسبيح مائة مرة، أو أكثر من ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١)، بزيادة: «في يوم».

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٢).

بيان فضل التسبيح

فمن قال: سبحان الله، كتب له من الأجر: عشر حسنات، ومن قال: سبحان الله مائة مرة، كتب له من الأجر: ألف حسنة، وهكذا كلما زاد في الذكر، زاد الله ﷻ له بفضلته وبكرمه وبإحسانه الأجر.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-، قال: "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَيَعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيَكْتُبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»^(١).

وهكذا في رواية الإمام مسلم جاء الحديث بالتخيير: يكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة.

وفي الترمذي بلفظ: «يُسَبِّحُ أَحَدُكُمْ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ تُكْتُبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، وَتُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ»^(٢).

قوله: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»: (سبحان الله): أي تنزيه الله ﷻ عن كل نقص وعيب، وعن كل ما لا يليق به سبحانه وتعالى. (الحمد لله): أي إثبات جميع المحامد لله ﷻ. فيجمع بين تنزيه الله ﷻ وإثبات جميع محامده.

قوله: «مِائَةَ مَرَّةً» أي: يقول ذلك: ويكررها مائة مرة؛ حتى يتحصل على الأجر المذكور في الحديث.

قوله: «حُطَّتْ خَطَايَاهُ» أي: أن فضل هذا الذكر أن الخطايا تحط عن قائله، ويغفرها له.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٣)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف الترمذي.

قوله: «وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»: (زبد البحر): أي ما يقذفه البحر .

📖 قال الحافظ في الفتح (١١ / ٢٠٦): وَيَأْتِي فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ مِنْ أَنَّ

الْأَفْضَلَ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ مُتَوَالِيًا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَفِي أَوَّلِ اللَّيْلِ .

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ الْكِنَايَةُ عَنِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْكَثْرَةِ .

قَالَ عِيَاضُ قَوْلُهُ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ مَعَ قَوْلِهِ فِي التَّهْلِيلِ

مُحِيَّتْ عَنْهُ مِائَةٌ سَيِّئَةٌ قَدْ يُشْعَرُ بِأَفْضَلِيَّةِ التَّسْبِيحِ عَلَى التَّهْلِيلِ يَعْنِي لِأَنَّ عَدَدَ زَبَدِ الْبَحْرِ

أَضْعَافُ أَضْعَافِ الْمِائَةِ لَكِنْ تَقَدَّمَ فِي التَّهْلِيلِ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ

فِيحْتَمَلُ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا بَأَنَّ يَكُونُ التَّهْلِيلُ أَفْضَلَ وَأَنَّهُ بِمَا زِيدَ مِنْ رَفْعِ الدَّرَجَاتِ

وَكَتَبِ الْحَسَنَاتِ ثُمَّ مَا جُعِلَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ عِتْقِ الرَّقَابِ قَدْ يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ

التَّسْبِيحِ وَتَكْفِيرِهِ جَمِيعِ الْخَطَايَا لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهَا

عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ فَحَصَلَ بِهَذَا الْعِتْقِ تَكْفِيرُ جَمِيعِ الْخَطَايَا عُمومًا بَعْدَ حَضْرٍ مَا عَدَدَ

مِنْهَا خُصُوصًا مَعَ زِيَادَةِ مِائَةِ دَرَجَةٍ وَمَا زَادَهُ عِتْقُ الرَّقَابِ الزِّيَادَةُ عَلَى الْوَاحِدَةِ وَيُؤَيِّدُهُ

الْحَدِيثُ الْآخَرُ أَفْضَلُ الذِّكْرِ التَّهْلِيلُ وَأَنَّهُ أَفْضَلُ مَا قَالَهُ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِهِ وَهُوَ كَلِمَةُ

التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ وَقِيلَ إِنَّهُ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ وَقَدْ مَضَى شَرْحُ التَّسْبِيحِ وَأَنَّهُ التَّنْزِيهِ

عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَجَمِيعُ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي ضَمْنِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَنْتَهَى مُلَخَّصًا .

قُلْتُ وَحَدِيثُ (أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ بِن

حَبَّانَ وَالْحَاكِمُ^(١) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ .

وَيَعَارِضُهُ فِي الظَّاهِرِ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَيَّ

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣) والنسائي (١٠٥٩٩) والحاكم (١٨٣٤) وابن حبان (٨٤٦).

بيان فضل التسبيح

اللَّهُ قَالَ إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَيَّ اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ^(١).
 وَفِي رِوَايَةٍ سُئِلَ أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ قَالَ مَا اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ
 وَقَالَ الطَّبِيُّ فِي الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ فِيهِ تَلْمِيحٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ
 الْمَلَائِكَةِ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ
 مُخْتَصَرًا مِنَ الْكَلِمَاتِ الْأَرْبَعِ وَهِيَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ
 لِأَنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ تَنْزِيَهُ لَهُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَتَقْدِيسٌ لِصِفَاتِهِ مِنَ النَّقَائِصِ فَيَنْدَرِجُ فِيهِ
 مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَقَوْلُهُ وَبِحَمْدِهِ صَرِيحٌ فِي مَعْنَى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِأَنَّ الْإِضَافَةَ فِيهِ بِمَعْنَى اللَّامِ فِي
 الْحَمْدِ وَيَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ مَعْنَى اللَّهُ أَكْبَرُ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كُلُّ الْفَضْلِ وَالْأَفْضَالِ لِلَّهِ وَمِنَ اللَّهِ
 وَلَيْسَ مِنْ غَيْرِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَكْبَرَ مِنْهُ وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ فَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ
 التَّسْبِيحُ أَفْضَلَ مِنَ التَّهْلِيلِ لِأَنَّ التَّهْلِيلَ صَرِيحٌ فِي التَّوْحِيدِ وَالتَّسْبِيحُ مُتَضَمِّنٌ لَهُ وَلِأَنَّ
 نَفْيَ الْأِلَهَةِ فِي قَوْلِ لَا إِلَهَ نَفْيٌ لِمُضْمَنِهَا مِنْ فِعْلِ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِثَابَةِ وَالْعُقُوبَةِ
 وَقَوْلِ إِلَّا اللَّهُ إِثْبَاتٌ لِذَلِكَ وَيَلْزَمُ مِنْهُ نَفْيُ مَا يَصَادُهُ وَيُخَالِفُهُ مِنَ النَّقَائِصِ فَمَنْطُوقٌ
 سُبْحَانَ اللَّهِ تَنْزِيَهُ وَمَفْهُومُهُ تَوْحِيدٌ وَمَنْطُوقٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَوْحِيدٌ وَمَفْهُومُهُ تَنْزِيَهُ يَعْنِي
 فَيَكُونُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَفْضَلَ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ أَصْلُ وَالتَّزْيِيهِ يُنْشَأُ عَنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ جَمَعَ الْقُرْطُبِيُّ بِمَا حَاصِلُهُ إِنَّ هَذِهِ الْأَذْكَارَ إِذَا أُطْلِقَ عَلَى بَعْضِهَا أَنَّهُ أَفْضَلُ
 الْكَلَامِ أَوْ أَحَبُّهُ إِلَى اللَّهِ فَالْمُرَادُ إِذَا انْضَمَّتْ إِلَى أَخَوَاتِهَا بِدَلِيلِ حَدِيثِ سَمُرَةَ عِنْدَ
 مُسْلِمٍ^(٢) (أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا
 إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ) وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكْتَفِيَ فِي ذَلِكَ بِالْمَعْنَى فَيَكُونُ مِنْ اقْتِصَارِ عَلَى

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣١).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٣٧).

بيان فضل التسبيح

بَعْضَهَا كَفَى لَأَنَّ حَاصِلَهَا التَّعْظِيمُ وَالتَّنْزِيهُ وَمَنْ نَزَّهَهُ فَقَدْ عَظَّمَهُ وَمَنْ عَظَّمَهُ فَقَدْ نَزَّهَهُ
انْتَهَى وَقَالَ النَّوَوِيُّ هَذَا الإِطْلَاقُ فِي الأَفْضَلِيَّةِ مَحْمُولٌ عَلَى كَلَامِ الأَدَمِيِّ وَإِلَّا فَالْقُرْآنُ
أَفْضَلُ الذِّكْرِ.

وَقَالَ البَيْضَاوِيُّ الظَّاهِرُ أَنَّ المُرَادَ مِنَ الكَلَامِ كَلَامَ البَشَرِ فَانِ لِلثَّلَاثِ الأَوَّلِ وَإِنْ
وُجِدَتْ فِي القُرْآنِ لَكِنَّ الرَّابِعَةَ لَمْ تُوجَدْ فِيهِ وَلَا يُفْضَلُ مَا لَيْسَ فِيهِ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ
قُلْتُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُجْمَعَ بِأَنْ تُكُونَ مِنْ مُضْمَرَةٍ فِي قَوْلِهِ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَفِي
قَوْلِهِ أَحَبُّ الكَلَامِ بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ لَفْظَ أَفْضَلٍ وَأَحَبُّ مُتَسَاوِيَانِ فِي المَعْنَى لَكِنَّ يَظْهَرُ مَعَ
ذَلِكَ تَفْضِيلُ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ لِأَنَّهَا ذُكِرَتْ بِالتَّنْصِيصِ عَلَيْهَا بِالأَفْضَلِيَّةِ الصَّرِيحَةِ وَذُكِرَتْ
مَعَ أَخَوَاتِهَا بِالأَحْبَبِيَّةِ فَحَصَلَ لَهَا التَّفْضِيلُ تَنْصِيصًا وَانْضِمَامًا وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ^(١) مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بَابَاهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ
إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ فَهِيَ كَلِمَةُ الإِخْلَاصِ الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلًا حَتَّى يَقُولَهَا
وَإِذَا قَالَ الحَمْدُ لِلَّهِ فَهِيَ كَلِمَةُ الشُّكْرِ الَّتِي لَمْ يَشْكُرِ اللهُ عَبْدًا حَتَّى يَقُولَهَا وَمِنْ طَرِيقِ
الأَعْمَشِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ بَنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ فَلْيَقُلْ عَلَى أَثَرِهَا الحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ . اهـ



(١) أخرجه في التفسير (١٧ / ٤٥٦).

بيان فضل ذكر الله ﷻ المضاعف

١٥٥٨ - (وَعَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: "قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «لَقَدْ قُلْتَ بِعَدِكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ، وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان فضل ذكر الله ﷻ المضاعف.

والحديث في مسلم: عن حديث جُوَيْرِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتِكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتَ بِعَدِكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِينَةَ عَرْشِهِ وَمَدَادَ كَلِمَاتٍ».

قوله: «جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ»: هي أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زوج النبي ﷺ.

كانت من سبي غزوة بني المصطلق، أعتقها النبي ﷺ، وتزوجها، وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذات بركة على أهلها.

فعن عائشة، قالت: وقعت جُوَيْرِيَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ بِنْتُ الْمُصْطَلِقِ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَّاسٍ، أَوْ ابْنِ عَمِّ لَهَا، فَكَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً مُلَاحَةً تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَاءَتْ تَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فِي كِتَابَتِهَا، فَلَمَّا قَامَتْ عَلَى الْبَابِ فَرَأَيْتُهَا كَرِهْتُ مَكَانَهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - سِيرَى مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وَأَنَا كَانَتْ مِنْ أَمْرِي مَا

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

بيان فضل ذكر الله المضاعف

لا يخفى عليك، وإني وقعتُ في سهم ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شمّاس، وإني كاتبُ على نفسي، فجتُّك أسألك في كتابتي، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «فهل لك إلى ما هو خيرٌ منه؟»، قالت: وما هو يا رسولَ الله؟ قال: «أُودِّي عَنْكَ كتابتكِ وأتزوجُكِ» قالت: قد فعلتُ، قالت: فتسامع -تعني الناس- أن رسولَ الله - ﷺ - قد تزوجَ جويريةَ، فأرسلوا ما في أيديهم من السَّبِي، فاعتقوهُم، وقالوا: أصهار رسولِ الله - ﷺ -، فما رأينا امرأةً كانت أعظمَ بركةً على قومها منها، أعتق في سببها مئةَ أهلِ بيتٍ من بني المُصطَلِق» أخرجه أبو داود .

قوله: «فَدُ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ» أي: ثلاث مرات .

قوله: «لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ»: وهذا دليل على فضلهن، وبركتهن، وعلى عظيم الأجر فيهن، وعظيم شأنهن .
وقد عد أهل العلم هذا الذكر من أذكار الصباح، ومع ذلك لو قال الإنسان في أي وقت جاز، وكتب الله ﷻ له الأجر العظيم .

وقد جاء في السنن الكبرى للإمام النسائي ﷺ: من حديث أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ صدي بن عجلان - ﷺ -: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ فَقَالَ: «مَاذَا تَقُولُ يَا أَبَا أُمَامَةَ؟» قَالَ: أَذْكَرُ رَبِّي قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ وَالنَّهَارِ مَعَ اللَّيْلِ، أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ»^(١).

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٩٩٢١)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني ﷺ (٢٥٧٨)، وفي صحيح

الترغيب والترهيب (١٥٧٥).

بيان فضل ذكر الله المضاعف

قوله: «لو وزنت» فيه: دليل على وزن الأعمال.

قوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ»: كلمة عظيمة متضمنة لتزويه الله ﷻ عن كل النقائص، والمعائب، ومستلزمة لإثبات جميع المحامد.

وبحمده: هي كلمة عظيمة لإثبات جميع الكمال لله ﷻ، وهي مستلزمة لنفي جميع النقائص والمعائب.

قوله: «عَدَدَ خَلْقِهِ»: ومخلوقات الله ﷻ لا يعلم عددها إلا هو .

قوله: «وَرِضًا نَفْسِهِ»: وهي صفة عظيمة تتضمن ما يرضي الله ﷻ عن عبده.

قوله: «وَزَنَةَ عَرْشِهِ»: وهذا مما يستدل به على أن أعظم مخلوقات الله ﷻ العرش.

يقول الله ﷻ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

فهذه الآية صريحة في أن الكرسي أعظم خلقاً، وأوسع خلقاً، من خلق السموات السبع، ومن خلق الأراضين السبع.

وقد جاء في العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ﷻ برقم (٤٥): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: "الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقَدَّرُ أَحَدُ قَدْرِهِ".

فالله ﷻ هو رب العرش العظيم الواسع المجيد.

ويقول الله ﷻ في وصفه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١١٦﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ

﴿١١٦﴾.

قوله: «وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»: يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ

بيان فضل ذكر الله المضاعف

نَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ .

ويقول الله ﷻ : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ

أَبْحُرٍ مَا نَفَذْتَ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ .

فهذا دليل على عظيم هذا الذكر .

📖 قال النووي في شرح مسلم (١٧ / ٤٤) : قَالَ الْعُلَمَاءُ وَاسْتِعْمَالُهُ هُنَا مَجَازٌ

لِأَنَّ كَلِمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى لَا تُحْصَرُ بَعْدَ وَلَا غَيْرِهِ وَالْمُرَادُ الْمُبَالَغَةُ بِهِ فِي الْكَثْرَةِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ

أَوَّلًا مَا يَحْصُرُهُ الْعَدُّ الْكَثِيرُ مِنْ عَدَدِ الْخَلْقِ ثُمَّ زِنَهُ الْعَرْشِ ثُمَّ ارْتَقَى إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ

مِنْ ذَلِكَ وَعَبَّرَ عَنْهُ بِهَذَا أَي مَا لَا يَحْصِيهِ عَدُّ كَمَا لَا تُحْصَى) اهـ



بيان الباقيات الصالحات

١٥٥٩ - (وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١). أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان الباقيات الصالحات.

وحديث الباب فيه ضعف، ويشهد .

وله ما في سنن الإمام النسائي الكبرى: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ قَوْلُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجَنَّبَاتٍ وَمُعَقَّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»^(٢).

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا

وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

والباقيات الصالحات: هي ذكر الله صلى الله عليه وسلم.

قوله: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»: سميت بالباقيات، لأنها باقيات في يوم لا ينفع فيه

(١) أخرجه أحمد (١٧١٣)، وابن حبان (٨٤٠)، والحاكم (١٨٨٩)، وهو ضعيف؛ من رواية دارج، عن أبي الهيثم، ودراج ضعيف، وروايته عن أبي الفتح أشد ضعفاً. وأخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في الصحيحة (٣٢٦٤).

(٢) أخرجه النسائي (١٠٦١٧)، وحسنه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٦٧).

بيان الباقيات الصالحات

مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم .

قوله: « لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ »: وهي كلمة التوحيد، وكلمة الإخلاص .

وهي الكلمة التي تفصل بين أهل الحق وأهل الباطل، وبين أهل الإسلام والكفر، وبين أهل الإيمان والنفاق، وبين أهل الصدق والكذب والفجور .

وهي أفضل الذكر .

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنه -، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ»^(١) .

وهي كلمة التقوى، والعروة الوثقى، وهي أول ما يدخل بها العبد الإسلام، وآخر ما يخرج بها من الأرض .

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عُثْمَانَ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢) .

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أخرجه مسلم .

قوله: « وَسُبْحَانَ اللهِ »: وهي كلمة تنزيه لله ﷻ عن كل نقص، وعيب، وعن كل ما لا يليق به سبحانه وتعالى .

وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل هذه الكلمة .

فمنها ما في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ»

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن،

وفي صحيح الترغيب والترهيب (١٥٢٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦) .

بيان الباقيات الصالحات

إِلَى مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٢).

ويؤتى بها للتعجب وللتنزيه، وغير ذلك.

كما جاء في صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه: من حديث أم سلمة - رضي الله عنها -، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللّٰئِلَةَ مِنَ الفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ، أَيَقْظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجْرِ، فَرَبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ»^(٣).

وفي الصحيحين: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَقِيَهُ فِي بَعْضِ طَرِيقِ المَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ، فَأَنخَسَتْ مِنْهُ، فَذَهَبَ فَاعْتَسَلَ ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: «أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» قَالَ: كُنْتُ جُنُبًا، فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ المُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ»^(٤).

قوله: «وَاللَّهُ أَكْبَرُ» فيه: تكبير الله، وتعظيمه، وبيان أن الله صلى الله عليه وسلم هو الكبير العظيم الواسع، الذي لا يعجزه شيء، ولا يكرهه شيء، ولم يأت في القرآن إلا بمعناها، كما قال تعالى: ﴿وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

قوله: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ» فيه: حمد الله صلى الله عليه وسلم لأنه يستحق الحمد لذاته، ولكماله، ولعظيم سلطانه.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (١١٥).

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٣)، ومسلم (٣٧١).

بيان الباقيات الصالحات

ويستحق الحمد على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وعلى آلائه، ومننه العظيمة الواسعة على خلقه أجمعين.

قوله: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» ومعنى ذلك: أنه لا حول لنا، ولا حيلة، ولا تحول، ولا قوة على أداء ما أوجب الله علينا، وعلى ترك ما نهى الله عنه، إلا بقوة من الله، ومعونة، وتوفيق منه ﷻ.

وهي كنز من كنوز الجنة.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ، قَالَ: "لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْبَعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ»، وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَكَأَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١).

وهذه الكلمات التي ذكرت في حديث الباب يقولها العبد إذا استيقظ من نومه.

ففي صحيح الإمام البخاري ﷺ: من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -ﷺ-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»^(٢)، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (١١٥٤).

بيان أحب الكلام إلى الله ﷻ

١٥٦٠ - (وَعَنْ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أحب الكلام إلى الله ﷻ.

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرِينَ حَسَنَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ عَشْرِينَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، أَوْ حُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي دَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله بلفظ آخر: من حديث أَبِي دَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ: "إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ".

(١) أخرجه مسلم (٢١٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (٨٠١٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادي رحمه الله (٤١٨، ١٣٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣١).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله أيضًا: من حديث عائشة رضي الله عنها - قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْكَ تَكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟» فَقَالَ: "خَيْرَ نَبِيِّ رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتَهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتَهَا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النصر: ١]، فَتُح مَكَّةَ، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]»^(١).

قوله: «وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رضي الله عنه -»: بن هلال بن حريج الفزاري .

قوله: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ» فيه: إثبات صفة المحبة لله صلى الله عليه وسلم .

ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وهو أبو سلمى - رضي الله عنه -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «بَخٍ بَخٍ، لِحَمْسٍ مَا أَثْقَلُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فِيحْتَسِبُهُ، وَالِدَاهُ " وَقَالَ: " بَخٍ بَخٍ لِحَمْسٍ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ مُسْتَتِيقًا بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ: يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْحِسَابِ»^(٢).

قوله: «لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ» أي: لا يلزم الترتيب في قولهن .

قوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ»: وموطن هذه الكلمات في أدبار الصلوات، والركوع،

والسجود.

وعند النزيل في السفر .

(١) أخرجه مسلم (٤٨٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٦٦٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٢٢٩).

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: «كُنَّا إِذَا صَعَدْنَا كَبْرَنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا»^(١).

وتقال عند التنزيه، والتعظيم، والتعجب.

وفي كفارة المجلس، وفي أذكار الصباح والمساء والنوم، وغيرها من المواطن.

قوله: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ»: ومواطنها كثيرة.

فتقال: عند النوم، والاستيقاظ، وفي دبر الصلاة المفروضة، وعند الرفع من

الركوع، وبعد الفراغ من الطعام والشراب، وعند الركوب، وغير ذلك من المواطن.

قوله: «وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» في الصحيحين: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم

وَمُعَاذٌ - رضي الله عنه - رَدِيْفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ

وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ

يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»،

قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذَا يَتَكَلَّمُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ

عِنْدَ مَوْتِهِ تَائِمًا"^(٢).

وأيضًا في صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - أنه قال: قِيلَ يَا

رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا

أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتَ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى

الْحَدِيثِ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ

نَفْسِهِ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (٩٩).

قوله: «وَاللَّهُ أَكْبَرُ». وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرَى أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانُ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(١).

وهذه الأذكار يستطيع أن يقولها الإنسان على أي حال، سواء كان راكبًا، أو ماشيًا، أو قاعدًا، أو مضطجعًا.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].
والله الموفق.



(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي، وفي صحيح الترغيب والترهيب (١٥٥٠).

بيان أن كلمة: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، كنز من كنوز الجنة

١٥٦١ - (وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)، زَادَ النَّسَائِيُّ: «وَلَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ»^(٢).

الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان أن (لا حول ولا قوة إلا بالله) كنز من كنوز الجنة.

قوله: «وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رضي الله عنه -»: عبد الله بن قيس الأشعري، وكان رضي الله عنه حسن الصوت بالقرآن ففي الصحيحين: من حديث أبي موسى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ: «يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»^(٣).

فيه: وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم، واهتمامه بهم.

قوله: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ» فيه: النداء لمن يتكلم معه باسمه، أو بكنيته؛ حتى يحصل له الانتباه للكلام.

قوله: «أَلَا أَدُلُّكَ» أي: ألا أدلك، وأرشدك، وأبين لك، كنز من كنوز الجنة.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٥٦) والسياق للنسائي.

(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» من حديث أبي هريرة (٣٥٨)، وضعفها الإمام الألباني رضي الله عنه في الضعيفة (٦٦٢٢)، وقال فيه: منكر بزيادة: "لا ملجأ...".

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣).

بيان أن كلمة: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، كنز من كنوز الجنة

قوله: « عَلَى كَنْزٍ »: الشيء المكنوز: من ذهب، أو فضة، ونحوه .

قوله: « مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ »: وهذا الكنز بلا شك أنه أعظم من الدنيا وما فيها .

قوله: « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » ومعناها: لا حيلة لنا في طاعة الله ﷻ، وفي إقامة ما

أمر الله ﷻ به، وترك ما نهى الله ﷻ عنه؛ إلا بقوة ومعونة وتوفيق من الله .

وقيل: لا تحول لنا من معصية الله ﷻ إلى طاعة الله ﷻ إلا بمعونة وتوفيق من الله

ﷻ .

وقيل: كلمة استرجاع، وهذا القول ضعيف؛ لأن كلمة الاسترجاع: (إنا لله وإنا إليه

راجعون) .

يقول الله ﷻ: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (١٥٦) أَوْلِيَّكَ عَلَيْهِمْ

صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧] .

ففي هذه الكلمة نفي الحول والقوة عن المخلوق إلا إذا أعانه الله ﷻ على ذلك .

ولهذا جاء في السنن: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا

غَزَا قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضْدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحْوَلُ، وَبِكَ أَصْوَلُ، وَبِكَ أَقَاتِلُ»^(١)، والله

الموفق .



(١) أخرجه أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤)، وصححه الإمام الألباني ﷻ في صحيح وضعيف

السنن . وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي ﷻ (٥٨) .

الدعاء هو العبادة

١٥٦٢ - (وَعَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١). رَوَاهُ الْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ).

١٥٦٣ - (وَلَهُ: مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بَلْفَظٍ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»^(٢)).

١٥٦٤ - (وَلَهُ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَفَعَهُ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ الدُّعَاءِ»^(٣). وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ).

الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان منزلة الدعاء، وأنه هو العبادة.

وكان الدعاء عبادة؛ لأنه مأمور به، ولأن الله ﷻ على كل شيء قدير.

يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٦٠).

بيان حكم الدعاء لغير الله في شيء لا يقدر عليه إلا الله:

وصرف الدعاء لغير الله ﷻ في شيء لا يقدر عليه إلا الله ﷻ يعتبر شرًا أكبرًا

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٠٠)، والترمذي (٣٢٤٧)، وابن ماجه

(٣٨٢٨)، وزادوا ثم قرأ: «وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي

سيدخلون جهنم داخرين» [غافر: ٦٠]. وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في

الصحيحة (١٣٢٩)، والإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (١١٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٧١) وفيه عبد الله ابن لهيعة ضعيف. وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في ضعيف

الترغيب والترهيب (١٠١٦)، وشيخنا الحجوري حفظه الله في الصبح الشارق (ص ٧٤).

(٣) أخرجه أحمد (٨٧٤٨)، والترمذي (٣٣٧٠)، وابن حبان (٨٧٠) والحاكم (١٨٠١)، وفي سننه

عمران القطان ضعيف. وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٢٩).

الدعاء هو العبادة

مخرجاً لصاحبه من الملة.

لأن الله ﷻ هو الخالق، القوي، العزيز، ويده تصريف الأمور، ويبد فعل كل شيء، وهو على كل شيء قدير، والعالم بكل شيء، ويده الخير كله. وغير الله ﷻ مخلوق عاجز ضعيف، ليس له من الأمر شيء، ولا يقدر على شيء إلا على ما قدره الله ﷻ، ولا يعلم إلا ما علمه الله ﷻ.

ولهذا تجد أن كثيراً من القصص القرآني قد تضمن الحث والترغيب في الدعاء.

قوله: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»: لما سبق معنا بيانه، فقد سمي الله ﷻ الدعاء عبادة،

وبين أن من يستكبر عن عبادته ودعائه سيكون من أهل النار المعذبين بها.

قوله: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»: الحديث ضعيف لم يثبت عن النبي ﷺ وفي سننه ابن

لهيعة، ويغني عنه حديث النعمان .

قوله: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»: يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾، ويقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿أَمَّنْ يُحِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ

الْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾.

وجاء في سنن الإمام الترمذي ﷺ: من حديث سلمان الفارسي -رضي الله عنه- قال: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ»^(١).

(١) أخرجه الترمذي (٢١٣٩)، وحسنه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف الترمذي. وفي صحيح

الترغيب والترهيب (١٦٣٩).

بيان أن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد

١٥٦٥ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ»^(١). أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَغَيْرُهُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان بعض الأوقات استجابة الدعاء.

ومنها: بين الأذان والإقامة.

وهذا من فضل الله ﷻ، وقد تقدم في أول الباب بيان أوقات الاستجابة فلا داعي

للتكرار .

قوله: «الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ»: وهو الإعلام بحضور وقت الصلاة.

قوله: «وَالْإِقَامَةُ»: وهي الإعلام بالصلاة، وتعتبر أذاناً ثانياً.

قوله: «لَا يُرَدُّ»: وهذا على الغالب وقد توجد بعض الموانع: من أكل الحرام، أو

شربه، أو لبسه، أو الاعتداء في الدعاء كما سبق بيان ذلك .

والله أعلم.



(١) أخرجه أبو داود (٥٢١)، والترمذي (٢١٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٧)، وابن حبان

(١٦٩٦)، وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٥٣٤).

بيان استحباب رفع اليدين في الدعاء

١٥٦٦ - (وَعَنْ سَلْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَجِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»^(١). أَخْرَجَهُ الْأَزْبَعَةُ إِلَّا النَّسَائِيَّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان استحباب رفع اليدين في الدعاء. وحديث الباب الراجح فيه الوقف، وهو مأخوذ من التوراة، فلا يقال له حكم الرفع.

وسلمان رحمه الله كان فارسياً مجوسياً، ثم أصبح نصرانياً، والتوراة عند النصارى تسمى بالعهد القديم، فكانوا يعظمونها، ويقرأون فيها. كما أن الإنجيل عندهم يسمى بالعهد الجديد.

قوله: «عَنْ سَلْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: هو سلمان الفارسي رحمه الله.

قوله: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ»: فهذا الإخبار عن الله ﷻ بأن من أسمائه: الحيي. والحيي: هو المتضمن لصفة الحياء على ما يليق به سبحانه وتعالى من غير تكيف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تحريف.

قوله: «كَرِيمٌ»: والكريم، والأكرم من أسماء الله ﷻ الحسنى الثابتة له في القرآن أيضاً.

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، والحاكم (١ / ٤٩٧)، وفي سنده جعفر بن ميمون الأنماطي قال الحافظ: صدوق يخطئ. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٣٥)، وفي صحيح أبي داود (١٣٣٧)، وفي المشكاة (٢٢٤٤).

يقول الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾.

📖 قال السعدي (ص: ٩٤٦): الكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه، التي عم بها جميع الوجود، بحسب ما تقتضيه حكمته، وخص المؤمنين منها بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الآية. اهـ.

قوله: «يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ»: فيه إثبات صفة الحياء على ما يليق بجلاله .

وهذا من تفضل الله ﷻ على عباده.

يقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى

الَّتِي يَسْتَحِيءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِيءُ مِنَ الْحَقِّ﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِيءُ أَنْ يُضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا

الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ

﴿٣٦﴾.

وفي الصحيحين: من حديث أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: "جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِيءُ مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا

اِحْتَلَمَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ، إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ» فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ فَقَالَ: «تَرَبَّتْ يَدَاكَ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدَهَا»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩١)، ومسلم (٣١٣).

بيان حكم رفع الدين عند الدعاء:

قوله: «إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا».

فيه: دليل على أن من أسباب استجابة الدعاء رفع اليدين عند الدعاء.

وهذا الحديث وإن كان لا يثبت عن النبي ﷺ مرفوعاً.

فقد جاء ما يعني عنه في صحيح الإمام مسلم رحمته: من حديث أبي هريرة - رحمته -،

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى

السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَعُذِي بِالْحَرَامِ،

فَأَنِّي يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»^(١).

والله أعلم.



(٢) أخرجه مسلم (١٠١٥).

بيان حكم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء

١٥٦٧ - (وَعَنْ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ، لَمْ يَرُدَّهُمَا، حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ).
وَلَهُ شَوَاهِدٌ مِنْهَا:

١٥٦٨ - ^(٢) حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه -: عَنْ أَبِي دَاوُدَ ^(٣). وَمَجْمُوعُهَا يَقْتَضِي أَنَّهُ حَدِيثٌ حَسَنٌ^(٤).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان حكم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء.

وأحاديث الباب منكرة ضعيفة، لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد جاءت في الباب بعض الآثار؛ ولهذا ذهب بعض أهل العلم إلى مشروعية مسح الوجه باليدين بعد الانتهاء من الدعاء.

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٦) وفيه حماد بن عيسى تفرد به، وهو ضعيف، قال أبو داود: «ضعيف،

روى أحاديث مناكير». وضعفه الإمام الألباني رضي الله عنه في الإرواء (٤٣٣).

(٢) في المخطوط زيادة "من".

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٨٥) وضعفه بسند فيه مبهم بلفظ: «سلوا الله ببطون أكفكم، ولا تسألوه

بظهورها، فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم». وقال أبو داود: "روى هذا الحديث من غير وجه

عن محمد بن كعب، كلها واهية، وهذا الطريق أمثلها، وهو ضعيف - أيضا -". وقال أبو حاتم في:

«العلل» (٢/ ٣٥١): "هذا حديث منكر".

(٤) قال البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٢١٢): فأما مسح اليدين بالوجه عند الفراغ من الدعاء، فلست

أحفظه عن أحد من السلف في دعاء القنوت، وإن كان يروى عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة،

وقد روي فيه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث فيه ضعف، وقد أنكره الإمام مالك - أي:

مسح الوجه - وكرهه سفيان، ولم يسمع أحمد فيه بشيء.

بيان حكم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء

والصحيح أن فعل مثل هذا من البدع المحدثه التي ما أنزل الله ﷻ بها من سلطان .

بيان حكم تقبيل المصحف بعد الفراغ من التلاوة:

ومثل هذا الفعل تقبيل المصحف بعد الانتهاء من القراءة، فهذا أيضاً من البدع

المحدثه؛ لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة رضي الله عنهم .

ولو كان مستحباً، أو مندوباً؛ لفعله النبي ﷺ .

والصحابه رضي الله عنهم من بعده، والله الموفق .



بيان فضل الصلاة على النبي ﷺ

١٥٦٩ - (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ).

شرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان فضل الصلاة على النبي ﷺ.

وحديث الباب ضعيف في اسناده موسى بن يعقوب وهو ضعيف وعبدالله بن كيسان مجهول ويغني عنه الأحاديث الصحيحة .

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(٣).

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ

(١) أخرجه الترمذي (٤٨٤)، وابن حبان (٩١١)، وفي سننه عبد الله بن كيسان مجهول، وموسى بن

يعقوب سيئ الحفظ. وقد كان ضعفه الإمام الألباني رحمه الله في ضعيف الترمذي (٤٨٤)، وفي ضعيف

الجامع (١٨٢١)، ثم رجع إلى تحسينه كما في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٣) أخرجه مسلم (٤٠٨).

رَمَضَانَ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكَبِيرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ»^(١).

قال الترمذي: وَيُرَوَّى عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ: "إِذَا صَلَّى الرَّجُلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَرَّةً فِي الْمَجْلِسِ أَجْرًا عَنْهُ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ".

وفي سنن الإمام الترمذي ﷺ: من حديث حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(٢).

وأما ما جاء في سنن الإمام الترمذي ﷺ: من طريق الطُّفَيْلِ بْنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»، قَالَ أَبِي: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ». قَالَ: قُلْتُ: الرَّبْعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النُّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذَا تَكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفِرُ لَكَ ذَنْبَكَ»^(٣).

ثم قال ﷺ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

فالحديث في إسناده عبد الله بن محمد بن عقيل ضعيف .

والصلاة على النبي ﷺ من أسباب صلاة الله ﷻ على العبد، وإذا صَلَّى ﷺ على أحد

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وحسنه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف الترمذي، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي ﷺ (١٢٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٦)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف الترمذي. وهو في الصحيحة (٩٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧)، وحسنه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف الترمذي.

من عباده غفر له، ورحمه.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْسِبُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحَدِّثْ فِيهِ»^(١).

فالصلاة من الملائكة: هي الدعاء للمسلم بالمغفرة، وبالرحمة، وبالتوفيق للتوبة.

وقد تكلم الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه: "جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام".

وللإمام أسماعيل القاضي أحد أحفاد حماد بن زيد كتابًا في فضل الصلاة على النبي ﷺ.

وقد نقل منه الإمام ابن كثير رحمه الله في كتابه العظيم: "تفسير القرآن" عند قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

٥٦

والله الموفق.



(١) أخرجه البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩).

بيان سيد الاستغفار

١٥٧٠ - (وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ، أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان سيد الاستغفار .

والحديث بطوله في البخاري: من حديث شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

قوله: «وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: وليس لشداد بن أوس رحمه الله في صحيح

الإمام البخاري رحمه الله إلا هذا الحديث.

وكما أنه ليس له في صحيح الإمام مسلم رحمه الله إلا حديثاً واحداً فقط: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ

(١) زيادة عن المخطوط.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٦) وليس عنده لفظ: "العبد"، وإن كان عند غيره، وزاد: «من قالها من النهار، موقناً بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل، وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبغ، فهو من أهل الجنة»، و«أبوء»: أعترف.

الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِيُحَدِّثَ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»^(١).

وحديث سيد الاستغفار من أذكار الصباح والمساء .

📖 قال الحافظ في الفتح (١١ / ٩٩): قَوْلُهُ سَيِّدُ الإِسْتِغْفَارِ قَالَ الطَّبِيبِيُّ لَمَّا كَانَ هَذَا الدُّعَاءَ جَامِعًا لِمَعَانِي التَّوْبَةِ كُلِّهَا اسْتُعِيرَ لَهُ اسْمُ السَّيِّدِ وَهُوَ فِي الأَصْلِ الرَّئِيسُ الَّذِي يُقْصَدُ فِي الحَوَائِجِ وَيُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي الأُمُورِ.

قَوْلُهُ أَنْ يَقُولَ أَيُّ العَبْدُ وَتَبَّتْ فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيَّ (إِنَّ سَيِّدَ الإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ) وَلِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ شَدَّادٍ (أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى سَيِّدِ الإِسْتِغْفَارِ) وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ عِنْدَ النَّسَائِيِّ (تَعَلَّمُوا سَيِّدَ الإِسْتِغْفَارِ).

قَوْلُهُ (لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَنْتَ خَلَقْتَنِي) كَذَا فِي نُسخَةِ مُعْتَمَدَةِ بِنْتِ كَرِيمٍ أَنْتَ وَسَقَطَتِ الثَّانِيَةُ مِنْ مُعْظَمِ الرِّوَايَاتِ وَوَقَعَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ) وَالباقِي نَحْوُ حَدِيثِ شَدَّادٍ وَزَادَ فِيهِ (أَمَنْتُ لَكَ مُخْلِصًا لَكَ دِينِي).

قَوْلُهُ: (وَأَنَا عَبْدُكَ) قَالَ الطَّبِيبِيُّ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُؤَكَّدَةً وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُقَدَّرَةً أَيُّ أَنَا عَبْدُكَ لَكَ وَيُؤَيِّدُهُ عَطْفُ.

قَوْلُهُ (وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ) سَقَطَتِ الوَاوُ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ قَالَ الخَطَّابِيُّ يُرِيدُ أَنَا عَلَى مَا عَهَدْتُكَ عَلَيْهِ وَوَعَدْتُكَ مِنَ الإِيمَانِ بِكَ وَإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ لَكَ مَا اسْتَطَعْتُ مِنْ ذَلِكَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ أَنَا مُقِيمٌ عَلَى مَا عَهَدْتُ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِكَ وَمُتَمَسِّكٌ بِهِ وَمُتَّجِرٌ وَعَدُّكَ فِي المَثُوبَةِ وَالْأَجْرِ وَاسْتِطْرَاطُ الإِسْتِطَاعَةِ فِي ذَلِكَ مَعْنَاهُ الإِعْتِرَافُ بِالْعَجْزِ وَالقُصُورِ عَنْ كُنْهِ الوَاجِبِ مِنْ حَقِّهِ تَعَالَى وَقَالَ بن بَطَّالٍ قَوْلُهُ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥).

بيان سيد الاستغفار

يُرِيدُ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ حَيْثُ أَخْرَجَهُمْ أَمْثَالَ الذَّرِّ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فَأَقْرَأُوا لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَأَذَعْنَا لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَبِالْوَعْدِ مَا قَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ إِنَّ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا وَأَدَّى مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ قُلْتُ **وَقَوْلُهُ** وَأَدَّى مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ زِيَادَةٌ لَيْسَتْ بِشَرْطٍ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْمُرَادَ بِالْعَهْدِ الْمِيثَاقَ الْمَأْخُودَ فِي عَالَمِ الذَّرِّ وَهُوَ التَّوْحِيدُ خَاصَّةً فَالْوَعْدُ هُوَ إِدْخَالُ مَنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ قَالَ وَفِي قَوْلِهِ مَا اسْتَطَعْتُ إِعْلَامًا لِأُمَّتِهِ أَنَّ أَحَدًا لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِجَمِيعِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِلَّهِ وَلَا الْوَفَاءِ بِكَمَالِ الطَّاعَاتِ وَالشُّكْرِ عَلَى النِّعَمِ فَرَفَقَ اللَّهُ بِعِبَادِهِ فَلَمْ يُكَلِّفَهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وَسْعَهُمْ وَقَالَ الطَّبِيبِيُّ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ مَا فِي الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ كَذَا قَالَ وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ الْعَهْدِ وَالْوَعْدِ أَوْضَحُ.

قَوْلُهُ: (أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ) سَقَطَ لَفْظُ لَكَ مِنْ رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ وَأَبُوءُ بِالْمُوَحَّدَةِ وَالْهَمْزُ مَمْدُودٌ مَعْنَاهُ اعْتَرَفُ وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ شَدَّادٍ وَأَعْتَرَفُ بِذُنُوبِي وَأَصْلُهُ الْبُوءُ وَمَعْنَاهُ اللُّزُومُ وَمِنْهُ بَوَّأَهُ اللَّهُ مَنْزِلًا إِذَا أَسْكَنَهُ فَكَأَنَّهُ أَلْزَمَهُ بِهِ.

قَوْلُهُ: وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي أَيُّ اعْتَرَفُ أَيضًا وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَحْمِلُهُ بِرَغْمِي لَا اسْتَطِيعُ صَرْفَهُ عَنِّي وَقَالَ الطَّبِيبِيُّ اعْتَرَفَ أَوْلًا بِأَنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَلَمْ يُقَيِّدْهُ لِأَنَّهُ يَشْمَلُ أَنْوَاعَ الْإِنْعَامِ ثُمَّ اعْتَرَفَ بِالتَّقْصِيرِ وَأَنَّهُ لَمْ يَقُمْ بِإِدَاءِ شُكْرِهَا ثُمَّ بِالْعَفْوَ فَعَدَّهُ ذَنْبًا مُبَالَغَةً فِي التَّقْصِيرِ وَهَضَمَ النَّفْسِ قُلْتُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ، **قَوْلُهُ:** (أَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي) اعْتَرَفُ بِوُقُوعِ الذَّنْبِ مُطْلَقًا لِيَصِحَّ الْاسْتِغْفَارُ مِنْهُ لَا أَنَّهُ عَدَّ مَا قَصَرَ فِيهِ مِنْ أَدَاءِ شُكْرِ النِّعَمِ ذَنْبًا.

قَوْلُهُ: (فَاعْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ) يُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ مَنْ اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ غُفِرَ لَهُ وَقَدْ وَقَعَ صَرِيحًا فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ الطَّوِيلِ وَفِيهِ الْعَبْدُ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ وَتَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، **قَوْلُهُ:** (مَنْ قَالَهَا مُوقِنًا بِهَا أَيُّ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ مُصَدِّقًا بِثَوَابِهَا) وَقَالَ الدَّوْدِيُّ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ أَنَّ الْحَسَنَاتِ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ وَمِثْلُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي

بيان سيد الاستغفار

الْوُضوءَ وَغَيْرِهِ لِأَنَّهُ بُشِّرَ بِالثَّوَابِ ثُمَّ بُشِّرَ بِأَفْضَلِ مِنْهُ فَتَبَتِ الْأَوَّلُ وَمَا زِيدَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ يُبَشِّرُ بِالشَّيْءِ ثُمَّ يُبَشِّرُ بِأَقْلَ مِنْهُ مَعَ اِرْتِفَاعِ الْأَوَّلِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نَاسِخًا وَأَنْ يَكُونَ هَذَا فِيمَنْ قَالَهَا وَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَغْفِرُ لَهُ بِهِ ذُنُوبَهُ أَوْ يَكُونَ مَا فَعَلَهُ مِنَ الْوُضوءِ وَغَيْرِهِ لَمْ يَنْتَقِلْ مِنْهُ بِوَجْهِ مَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ كَذَا حَكَاهُ بِنِ التَّيْنِ عَنْهُ وَبَعْضُهُ يَحْتَاجُ إِلَى تَأْمُلٍ **قَوْلُهُ** وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ فَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ وَفِي رِوَايَةِ عَثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ لَا يَقُولُهَا أَحَدُكُمْ حِينَ يُمْسِي فَيَأْتِي عَلَيْهِ قَدْرٌ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ أَوْ حِينَ يُصْبِحُ فَيَأْتِي عَلَيْهِ قَدْرٌ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ **قَوْلُهُ** فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَفِي رِوَايَةِ عَثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ قَالَ بِنِ أَبِي جَمْرَةَ جَمَعَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ بَدِيعِ الْمَعَانِي وَحُسْنِ الْأَلْفَاظِ مَا يَحِقُّ لَهُ أَنَّهُ يُسَمَّى سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ فِيهِ الْإِقْرَارُ لِلَّهِ وَحُدَّةُ بِالْإِلَهِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ وَالْإِعْتِرَافُ بِأَنَّهُ الْخَالِقُ وَالْإِقْرَارُ بِالْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِ وَالرَّجَاءُ بِمَا وَعَدَهُ بِهِ وَالِاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرِّ مَا جَنَى الْعَبْدُ عَلَى نَفْسِهِ وَإِضَافَةُ النِّعَمَاءِ إِلَى مُوجِدِهَا وَإِضَافَةُ الذَّنْبِ إِلَى نَفْسِهِ وَرَغْبَتُهُ فِي الْمَغْفِرَةِ وَاعْتِرَافُهُ بِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا هُوَ وَفِي كُلِّ ذَلِكَ الْإِشَارَةُ إِلَى الْجَمْعِ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ فَإِنَّ تَكَالِيفَ الشَّرِيعَةِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَهَذَا الْقَدْرُ الَّذِي يُكْنَى عَنْهُ بِالْحَقِيقَةِ فَلَوْ اتَّفَقَ أَنَّ الْعَبْدَ خَالَفَ حَتَّى يَجْرِيَ عَلَيْهِ مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ وَقَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ بَيَانِ الْمُخَالَفَةِ لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَحَدُ أَمْرَيْنِ إِمَّا الْعُقُوبَةُ بِمُقْتَضَى الْعَدْلِ أَوْ الْعَفْوُ بِمُقْتَضَى الْفَضْلِ انْتَهَى مُلْخَصًا وَقَالَ أَيضًا مِنْ شُرُوطِ الْإِسْتِغْفَارِ صِحَّةُ النِّيَّةِ وَالتَّوَجُّهُ وَالأَدَبُ فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا حَصَلَ الشُّرُوطُ وَاسْتَغْفَرَ بِغَيْرِ هَذَا اللَّفْظِ الْوَارِدِ وَاسْتَغْفَرَ آخَرَ بِهَذَا اللَّفْظِ الْوَارِدِ لَكِنْ أَخَلَّ بِالشُّرُوطِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ فَالْجَوَابُ أَنَّ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ اللَّفْظَ الْمَذْكُورَ إِنَّمَا يَكُونُ سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ إِذَا جَمَعَ الشُّرُوطَ الْمَذْكُورَةَ وَاللَّهُ اعْلَمَ . اهـ



بيان ما يقال في الصباح والمساء من الأدعية والأذكار

١٥٧١ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه) - قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَدْعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ حِينَ يُمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» (١). أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان فضل هذا الذكر والدعاء في الصباح، وفي المساء.

وكان المصنف رضي الله عنه ساق هذا الحديث والذي قبله للدلالة وللإرشاد إلى تعلم أذكار الصباح، والمساء.

بيان بعض ما جاء في أذكار الصباح والمساء:

١ - منها حديث ابن عمر ت المذكور في الباب .

٢ - ما جاء في صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه :

من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، إِذَا أَمَسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمَسَى الْمَلِكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» قَالَ الْحَسَنُ: فَحَدَّثَنِي الزُّبَيْدُ أَنَّهُ حَفِظَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي هَذَا: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٦٦)، وابن ماجه (٣٨٧١)،

والحاكم (١٩٠٢). وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح السنن (٣٨٧١)،

وفي صحيح الترغيب والترهيب (٦٥٩)، والإمام الوادعي رضي الله عنه في الصحيح المسند (٧٦٥).

شَيْءٍ قَدِيرٍ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ
وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ»، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ»^(١).

٣- وما جاء في صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ
رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغْتَنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ:
«أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ»^(٢).

٤- وما جاء في السنن: من طريق أبان بن عثمان، عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه -، يَقُولُ
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي
الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٍ،
حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٍ حَتَّى
يُمْسِيَ».

وَقَالَ: فَأَصَابَ أَبَانَ بْنَ عُمَانَ، الْفَالِجُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ
إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ وَلَا كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي غَضِبْتُ فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهَا»^(٣).

٥- جاء في السنن الكبرى للإمام النسائي رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْتُ أُتْنِي عَلَيْكَ حَمْدًا،

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٨٨)، والترمذي (٣٣٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، وصححه الإمام الألباني

رضي الله عنه في صحيح السنن، وحسنه في صحيح الترمذي.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَلَاثًا، وَإِذَا أَمَسَى فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»^(١).

٦- جاء في السنن: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، وَإِذَا أَمَسَى فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»^(٢).

٧- ما جاء في صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةً مَرَّةً، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»^(٣).

٨- ما جاء شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ " قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمَسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

٩- ما جاء من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -، مُرِّنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: "قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٣٣١)، وحسنه الإمام الوادعي رضي الله عنه في الصحيح المسند (١٣٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦٨)، والترمذي في سننه (٣٣٩١)، وابن ماجه (٣٨٦٨)، وصححه الإمام

الألباني رضي الله عنه في صحيح السنن.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٢).

والأرض، عالم الغيب والشهادة، ربّ كلّ شيءٍ ومليكه، أشهد أن إله إلا أنت، أعود بك من شرّ نفسي، وشر الشيطان وشركه" أخرجه أحمد .

١٠- ما جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِّي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ " متفق عليه وهذا اللفظ لمسلم.

قوله: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَدْعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ» أي: أنه كان ﷺ يداوم عليهما، لعظيم نفعهما،

قوله: «حِينَ يُمَسِّي» أي: حين أن يأتي عليه المساء، وهو من بعد الظهر إلى الغروب.

وقيل: من بعد أذان العصر إلى غروب الشمس.

قوله: «وَحِينَ يُصْبِحُ» أي: من بعد طلوع الفجر الصادق إلى طلوع الشمس.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ» أي: كان النبي ﷺ يسأل الله ﷻ العافية، ونحن ينبغي لنا أن نفعل ما فعله النبي ﷺ.

فهذا من الأدعية المباركة، وهو من جوامع الكلم؛ لأنه يشمل العافية في كل أمور الدين، والدنيا، والآخرة.

قوله: «فِي دِينِي» أي: يسأل الله ﷻ العافية في دينه؛ فيسلم من الذنوب: من الشرك والكفر بالله ﷻ، ويسلم من البدع، والخرفات، والكبائر، وغيرها.

قوله: «وَدُنْيَايَ»: وسأل النبي ﷺ ربه العافية في دنياه.

حتى يسلمه من الآفات، ومن المصائب، والأحزان، والأمراض، والأسقام، وكل شيء يؤذي الإنسان في هذه الدنيا.

قوله: «وَأَهْلِي»: فيسلم من معرفتهم، ومن آذاهم، وما يلحق بسببهم .

قوله: «وَمَالِي»: حتى يسلم من السرقة، والضياع، والفساد، والكسب الحرام، وكل الآفات التي تصيب المال: من الربا، وغير ذلك.

قوله: «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي»: وسأل النبي ﷺ ربه أن يستر عوراته .
سواء كانت العورات الحسية: من القبل، والدبر، والآفات التي تلحق بهما .
أو العورات المعنوية: من الشرك، والبدع، والخرافات، والكبائر، وغير ذلك.

قوله: «وَأَمِنْ رَوْعَاتِي» أي: أمن مخاوفي؛ فيشمل كل ما يخافه الإنسان: من أمر دينه، أو دنياه، أو آخرته.

يقول الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفَلَاحِ مِنَ الْمَلَكِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ٩١٠]..

قوله: «وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ» أي: من أمامي.

قوله: «وَمِنْ خَلْفِي» أي: أن يأتيني عدوي من خلفي على غرة مني.

قوله: «وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي» أي: واحفظني من جهة يميني، ومن جهة شمالي.

قوله: «وَمِنْ فَوْقِي» أي: من جهة فوقي، وان يأتيني أمر لا أحتمله، ولا أطيقه، ويكون فوق قدرتي، وصبري.

ويكون الحفظ من الفوق: أي من الصواعق، والبرق، ومطر العذاب، وغير ذلك. ويشمل جميع الأسلحة التي تأتي من الفوق: كالطائرات، والصواريخ، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله ﷻ.

قوله: «وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» أي: ويتعوذ مما قد يحصل له من

ضرر وغيلة من تحته: كالألغام، وما يكون في الأرض: من لدغ الحيات، والعقارب،
والشعابين، وذوات السموم الأخرى، وغيرها مما يؤذي الإنسان.
فهذا الحديث عظيم، فمن دعا الله ﷻ بهذا الدعاء العظيم، واستجاب الله ﷻ له
دعائه هذا.

فإن الله ﷻ سيسلمه من جميع الآفات والمصائب والمعائب الدينية، والديوية؛
التي قد تصيب الإنسان، من كل الجهات المحيطة به،

وسؤال العافية من المتعينات على كل إنسان، في أمر دينه، ودنياه، وآخرته.
وفي سنن الإمام الترمذي ﷺ: من حديث العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه-، قال:
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهُ ﷻ، قَالَ: «سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ»، فَمَكَثْتُ أَيَّامًا ثُمَّ
جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهُ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ،
سَلِ اللَّهَ، الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١).

وفي الصحيحين: من طريق سالم أبي النضر، مولى عمر بن عبيد الله، وكان كاتباً
لَهُ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى ﷺ، فَقَرَأَتْهُ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ
الَّتِي لَقِيَ فِيهَا، أَنْتَظَرُ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ حَظِيْبًا قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا
تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ
ظِلَالِ السُّيُوفِ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلِ الْكِتَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمِ الْأَحْزَابِ،
اهْزِمْنَهُمْ وَأَنْصِرْنَا عَلَيْهِمْ»^(٢).

وفي سنن الإمام الترمذي ﷺ: من طريق معاذ بن رفاعه، أخبره عن أبيه، قال: قام
أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-، على المنبر ثم بكى فقال: قام رسول الله ﷺ عام الأول على

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٤)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٦٥، ٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢).

الْمُنْبِرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: «اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»^(١).

والله أعلم.



(١) أخرجه الترمذي في سنته (٣٥٥٨)، وحسنه الإمام الألباني رحمته الله في صحيح وضعيف الترمذي.

بيان استحباب الدعاء بجوامع الكلم

١٥٧٢ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفَجَاءِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» ^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان استحباب الدعاء بجوامع الكلم. وقد أوتي النبي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم في الدعاء، والخطابة، والموعظة، وجميع شأنه.

قال أبو الطيب في عون المعبود (٤ / ٤٠٥):

(وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ) : أَي نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيْمَانِ وَمِنْحَةِ الْإِحْسَانِ وَالْعِرْفَانِ بِضَمِّ الْوَاوِ الْمُشَدَّدَةِ أَيِ انْتِقَالِهَا مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَسَائِرِ الْأَعْضَاءِ .

(مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ) فَإِنْ قُلْتَ : مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الزَّوَالِ وَالتَّحَوُّلِ ؟ قُلْتَ : الزَّوَالُ يُقَالُ فِي شَيْءٍ كَانَ ثَابِتًا فِي شَيْءٍ ثُمَّ فَارَقَهُ ، وَالتَّحَوُّلُ تَغْيِيرُ الشَّيْءِ وَانْفِصَالُهُ عَنْ غَيْرِهِ ، فَمَعْنَى زَوَالِ النُّعْمَةِ ذَهَابُهَا مِنْ غَيْرِ بَدَلٍ ، وَتَحَوُّلُ الْعَافِيَةِ إِبْدَالُ الصَّحَّةِ بِالْمَرَضِ وَالْغِنَى بِالْفَقْرِ ، وَفِي بَعْضِ نُسَخِ الْكِتَابِ وَتَحْوِيلِ عَافِيَتِكَ مِنْ بَابِ التَّفْعِيلِ فَيَكُونُ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى مَفْعُولِهِ

(وَفَجَاءِ نِقْمَتِكَ) : بِضَمِّ الْفَاءِ وَالْمَدِّ ، وَفِي نُسْخَةٍ بَفَتْحِ الْفَاءِ وَسُكُونِ الْجِيمِ بِمَعْنَى الْبُغْتَةِ ، وَالنِّقْمَةِ بِكَسْرِ النُّونِ وَبِفَتْحِ مَعَ سُكُونِ الْقَافِ وَكَفْرَحَةِ الْمُكَافَأَةِ بِالْعُقُوبَةِ وَالِانْتِقَامِ بِالْغَضَبِ وَالْعَذَابِ ، وَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَشَدُّ

(وَجَمِيعِ سَخَطِكَ) : أَي مَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ أَوْ جَمِيعِ آثَارِ غَضَبِكَ . اهـ

والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٩).

الاستعاذة من غلبة الدين

١٥٧٣ - (وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنه) - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلْبَةِ الدِّينِ، وَغَلْبَةِ العَدُوِّ، وَشِمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»^(١). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان الاستعاذة من غلبة الدين وما في بابه.

وللحديث شواهد:

منها: ما جاء في صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ - رضي الله عنه -: «التَّمَسْ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرَجَ إِلَى حَبِيرٍ» فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ - رضي الله عنه - مُرْدِفِي، وَأَنَا غُلَامٌ رَاهَقْتُ الحُلْمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَصَلَعِ الدِّينِ، وَغَلْبَةِ الرِّجَالِ»^(٢).

ومنها: ما في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ البَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشِمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»^(٣).

قَالَ سُفْيَانُ: «الحَدِيثُ ثَلَاثٌ، زِدْتُ أَنَا وَاحِدَةً، لَا أَدْرِي أَيُّهُنَّ هِيَ».

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلْبَةِ الدِّينِ»: لأن الرجل إذا زاد دينه، وعجز عن

(١) أخرجه أحمد (٦٦١٨)، والنسائي (٥٤٧٥)، والحاكم (١٩٤٥)، بسند صحيح، وله شواهد في

الصحيحين. وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في الصحيحة (١٥٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧).

قضائه: حدث فكذب، ووعد فأخلف.

ففي الصحيحين: من حديث عائشة، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، - ﷺ - أَخْبَرَتْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ " فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»^(١).

وقد قيل: "لا هم إلا هم الدين، ولا وجع إلا وجع العين".

وقال بعضهم: "الدين هم في الليل، ومذلة في النهار".

قوله: «وَعَلَبَةُ الْعُدُوِّ».

وغلبة العدو: هو بمعنى قهر الرجال، وغلبة الرجال.

ففي لفظ الإمام الترمذي ﷺ في سننه: من حديث أنس بن مالك - ﷺ - قَالَ: كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو بِهِؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُحْلِ وَضَلَعِ الدِّينِ وَقَهْرِ الرَّجَالِ»^(٢).

وفي سنن أبي داود ﷺ: من حديث أبي موسى الأشعري - ﷺ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ»^(٣).

قوله: «وَشِمَاتَةُ الْأَعْدَاءِ» فيه: الاستعاذة من شماتة الأعداء.

(١) أخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٧، ٥٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٨٤)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف الترمذي.

(٣) أخرجه أبو داود (١٥٣٧)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف أبي داود ﷺ، وذكره

الإمام الوادعي ﷺ تعالى في كتابه أحاديث معلة ظاهرها الصحة (٢٨٩).

الاستعاذة من غلبة الدين

وقد قال الله ﷻ مخبراً عن هارون عليه السلام وهو يخاطب أخاه موسى عليه السلام: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.



الدعاء باسم الله ﷻ الأعظم من أسباب الاستجابة

١٥٧٤ - (وَعَنْ بُرَيْدَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - رَجُلًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ،^(١) الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ». فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أُجَابَ»^(٢). أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن الدعاء باسم الله ﷻ الأعظم من أسباب الاستجابة.

وفي الحديث أن أسماء الله ﷻ تتفاضل مع أن كلها حسنى .

واختلف أهل العلم في بيان الاسم الأعظم على أقوالاً كثيرة:

📖 قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١ / ٢٢٤-٢٢٥): وَقَدْ أَنْكَرَهُ قَوْمٌ

كَأَبِي جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ وَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَجَمَاعَةٌ بَعْدَهُمَا كَأَبِي حَاتِمِ بْنِ حِبَّانَ وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ.

فَقَالُوا: لَا يَجُوزُ تَفْضِيلُ بَعْضِ الْأَسْمَاءِ عَلَى بَعْضٍ.

وَسَبَّ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ لِمَالِكٍ؛ لِكِرَاهِيَّتِهِ أَنْ تُعَادَ سُورَةٌ أَوْ تُرَدَّدَ دُونَ غَيْرِهَا مِنْ

السُّورِ؛ لِتَلَا يُظَنَّ أَنَّ بَعْضَ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ فَيُؤْذَنُ ذَلِكَ بِاعْتِقَادِ نَقْصَانِ

(١) في المخطوط زيادة "أنت".

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٩٣)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦١٩)، والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه

(٣٨٥٧)، وابن حبان (٢٣٨٣)، وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة

(١٣٤١).

المفضُولِ عَنِ الْأَفْضَلِ.

وَحَمَلُوا مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ: عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَعْظَمِ الْعَظِيمُ، وَأَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ كُلَّهَا عَظِيمَةٌ.

وَعِبَارَةٌ أَبِي جَعْفَرٍ الطَّبْرِيِّ: اخْتَلَفَتِ الْأَثَارُ فِي تَعْيِينِ الْإِسْمِ الْأَعْظَمِ وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا صَحِيحَةٌ؛ إِذْ لَمْ يَرُدْ فِي خَبَرٍ مِنْهَا أَنَّ الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ، وَلَا شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْهُ.

فَكَانَهُ يَقُولُ: كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى يَجُوزُ وَصْفُهُ بِكَوْنِهِ أَعْظَمَ فَيَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى عَظِيمٍ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَقَالَ بَن حِبَّانَ: الْأَعْظَمِيَّةُ الْوَارِدَةُ فِي الْأَخْبَارِ إِنَّمَا يُرَادُ بِهَا مَزِيدُ ثَوَابِ الدَّاعِي بِذَلِكَ، كَمَا أُطْلِقَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ وَالْمُرَادُ بِهِ مَزِيدُ ثَوَابِ الْقَارِي.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْإِسْمِ الْأَعْظَمِ كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى دَعَا الْعَبْدُ بِهِ مُسْتَعْرِقًا بَحِيثٌ لَا يَكُونُ فِي فِكْرِهِ حَالْتِنْدٌ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ مَنْ تَأْتَى لَهُ ذَلِكَ اسْتَجِيبَ لَهُ.

وُقِيلَ مَعْنَى هَذَا عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَعَنِ الْجُنَيْدِ وَعَنْ غَيْرِهِمَا.

وَقَالَ آخَرُونَ: اسْتَأْتَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِ الْإِسْمِ الْأَعْظَمِ وَلَمْ يُطْلَعْ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ.

وَأَثَبَتْهُ آخَرُونَ مُعِينًا وَاضْطَرُّوا فِي ذَلِكَ وَجُمْلَةٌ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ

قَوْلًا:

الأوَّلُ: الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ هُوَ.

نَقَلَهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكَشْفِ.

وَاحْتَجَّ لَهُ بِأَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْبُرَ عَنْ كَلَامِ مُعْظَمِ بَحْضَرَتِهِ لَمْ يَقُلْ لَهُ أَنْتَ قُلْتَ كَذَا،

وَإِنَّمَا يَقُولُ هُوَ يَقُولُ تَأْدِبًا مَعَهُ.

الثَّانِي: اللَّهُ.

لِأَنَّهُ اسْمٌ لَمْ يُطْلَقْ عَلَى غَيْرِهِ، وَلِأَنَّهُ الْأَصْلُ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَمِنْ ثَمَّ أُضِيفَتْ إِلَيْهِ.

الثالث: الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

وَلَعَلَّ مُسْتَنَدَهُ مَا أَخْرَجَهُ بَنُ مَاجَةَ: عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «أَنَّهَا سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُعَلِّمَهَا الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ فَلَمْ يَفْعَلْ فَصَلَّتْ وَدَعَتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ اللَّهُ وَأَدْعُوكَ الرَّحْمَنَ وَأَدْعُوكَ الرَّحِيمَ وَأَدْعُوكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى كُلِّهَا مَا عَلِمْتَ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتَ بِهَا».

قلت: وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ وَفِي الْإِسْتِدْلَالِ بِهِ نَظَرٌ لَا يَخْفَى (١).

الرابع: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

لِمَا أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ: مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءِ بِنْتِ يَزِيدَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَاللَّهُكُمُّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١١٣)، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾»، أَخْرَجَهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ إِلَّا النَّسَائِيَّ وَحَسَنَهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي نُسْخَةٍ صَحِيحَةٍ، وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ.

الخامس: الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

أَخْرَجَ بَنُ مَاجَةَ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ فِي ثَلَاثِ سُورٍ: الْبَقْرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ وَطه»، قَالَ الْقَاسِمُ الرَّائِي عَنْ أَبِي أَمَامَةَ التَّمَسُّتُهُ مِنْهَا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَقَوَاهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ وَاحْتَجَّ بَأَنَّهُمَا يَدْلَانِ مِنْ صِفَاتِ الْعِظَمَةِ بِالرَّبُوبِيَةِ مَا

(١) في «الزوائد»: في إسناده مقال، وعبدالله بن عكيم وثقه الخطيب وعده من الصحابة، ولا يصح له سماع، وأبو شيبة لم أر من جرحه ولا من وثقه، وباقي رجال الإسناد ثقات. انتهى قلت: أبو شيبة كذبه أبو حاتم وقال البخاري في حديثه عن ابن عكيم نظر.

لا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُهُمَا كَدَلَايَتِهِمَا.

السَّادِسُ: الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

وَرَدَ ذَلِكَ مَجْمُوعًا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ - رضي الله عنه - عِنْدَ أَحْمَدَ وَالْحَاكِمِ وَأَصْلُهُ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ وَصَحَّحَهُ بَنُ حِبَّانَ.

السَّابِعُ: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى: مِنْ طَرِيقِ السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى عَنْ رَجُلٍ مِنْ طِيٍّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ قَالَ: "كُنْتُ أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُرِينِي الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ فَأَرَيْتُهُ مَكْتُوبًا فِي الْكَوَاكِبِ فِي السَّمَاءِ. الثَّامِنُ: ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

أَخْرَجَ لِلتِّرْمِذِيِّ: مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه - قَالَ: «سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا يَقُولُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَقَالَ قَدْ اسْتُجِيبَ لَكَ فَسَلْ».

وَاحْتَجَّ لَهُ الْفَخْرُ بِأَنَّهُ يَشْمَلُ جَمِيعَ الصِّفَاتِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي الْإِلَهِيَّةِ.

لِأَنَّ فِي الْجَلَالِ: إِشَارَةً إِلَى جَمِيعِ السُّلُوبِ.

وَفِي الْإِكْرَامِ: إِشَارَةً إِلَى جَمِيعِ الْإِضَافَاتِ.

التَّاسِعُ: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَبَنُ مَاجَةَ وَبَنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ: مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ - رضي الله عنها - وَهُوَ أَرْجَحُ مِنْ حَيْثُ السَّنَدُ مِنْ جَمِيعِ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ.

الْعَاشِرُ: رَبِّ رَبِّ.

أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَبَنُ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - بَلْفَظٍ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَكْبَرُ رَبِّ رَبِّ».

واخرج بن أبي الدنيا: عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ يَا رَبِّ يَا رَبَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَبَّيْكَ عَبْدِي سَلْ تُعْطَ»، رَوَاهُ مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا.

الْحَادِي عَشَرَ: دَعْوَةُ ذِي النُّونِ.

أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ: عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَفَعَهُ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ».

الثَّانِي عَشَرَ: نَقَلَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ أَنَّهُ سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُعَلِّمَهُ الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ فَرَأَى فِي النَّوْمِ: «هُوَ اللَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ».

الثَّلَاثَ عَشَرَ: هُوَ مَخْفِيٌّ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى.

وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - الْمُتَقَدِّمُ لَمَّا دَعَتْ بِبَعْضِ الْأَسْمَاءِ وَبِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى فَقَالَ لَهَا ﷺ: «إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتَ بِهَا».

الرَّابِعَ عَشَرَ: كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ.

نقله عِيَاض. اهـ.

❖ فالراجع من هذه الأقوال: أن الاسم الأعظم لله ﷻ هو اسم الله؛ لأنه اسم مختص بالله ﷻ، ولم يتسم به غيره، ولأنه تضاف إليه جميع الأسماء.

فنقول: الله الرحمن الرحيم الملك القدوس وهكذا.

ولا نقول: الرحمن الرحيم الله.

ولأنه الاسم الدال على ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، وذلك بالمطابقة،

والتضمن، والالتزام.

وفي حديث بريدة، وحديث أنس بن مالك، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - .

وقال النبي ﷺ: «لقد سألت الله ﷻ باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي

به أجاب».

قوله: «سَمِعَ النَّبِيُّ - ﷺ - رَجُلًا»: لم يذكر اسم الرجل؛ فهو مبهم ولكن لا يضر ذلك؛ لأنه من الصحابة رضي الله عنهم، وكلهم عدول ثقات.

والإبهام في المتن لا يضر.

قوله: «يَقُولُ» أي: يقول هذا الدعاء في آخر صلاته.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ»: اللهم: معناه يا الله.

قوله: «بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ اللَّهُ» أي: أقر وأعترف وأنقاد بأنك أنت الله الإله الذي يستحق أن يعبد.

قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» أي: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وغير الله ﷻ إن عبد لعبادته باطلة.

كما قال الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

قوله: «الْأَحَدُ»: الأحد والواحد: كلاهما من أسماء الله ﷻ.

ومعناهما: المنفرد فيما يختص به: من ألوهية، وربوبية، وأسماء وصفات.

يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ

﴿٣﴾ [الإخلاص: ١-٣]..

ويقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

قوله: «الصَّمَدُ»: من أسماء الله ﷻ الحسنی.

ومعناه: الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، فهم محتاجون ومفتقرون إليه.

وقيل: هو الذي لم يلد، ولم يولد، فسر.

وقيل: هو الذي لا جوف له.

وقيل: هو السيد الذي كمل في سؤدده، وكمل في أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

قوله: «الَّذِي لَمْ يَلِدْ»: لكماله، ولغناه، عن خلقه سبحانه وتعالى، يقول الله ﷻ:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۙ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۗ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۗ إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۗ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۗ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۗ﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

فحصول الولد للمخلوق يعتبر من الكمال في حقه؛ للمحافظة على الجنس البشري.

وأما حصول الولد في حق الخالق سبحانه وتعالى، فهو ممتنع.

فالله ﷻ هو الحي الذي لا يموت، والغني الذي لا يحتاج إلى أحد من خلقه، ولا يلحقه نقص بوجه من الوجوه سبحانه وتعالى.

قوله: «وَلَمْ يُولَدْ»: لأن الله ﷻ الخالق وما سواه مخلوق.

قوله: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» الكفاء: هو الشبيه، والمثيل، والند، والسمي.

فالله ﷻ لا مثيل، ولا شبيه، ولا ند، ولا سمي له؛ لا في ألوهيته، ولا في ربوبيته، ولا في أسمائه، وصفاته.

قوله: "فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»"

أي: لقد سأل الله ﷻ باسمه الأعظم كما جاء مصرحاً به.

ففي سنن الإمام الترمذي ﷺ: من حديث بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»، قَالَ: فَقَالَ: «وَالَّذِي

نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(١).
وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث أنس - رضي الله عنه -، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم
الْمَسْجِدَ وَرَجُلٌ قَدْ صَلَّى وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ
بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَتَدْرُونَ بِمَ دَعَا اللهُ؟
دَعَا اللهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(٢).

والتوسل بأسماء الله سبحانه وتعالى الحسنى، وصفاته العلاء، من أسباب استجابة الدعاء، والله
الموفق .



(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن،

وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٤)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٠١).

بعض أذكار الصباح

١٥٧٥ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا أَصْبَحَ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ». وَإِذَا أَمْسَى قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»^(١). أَخْرَجَهُ الْأَزْبَعَةُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رضي الله عنه الحديث لبيان ما يقال في أذكار الصباح وفي أذكار المساء. وقد تقدم معنا ذكر بعض الأحاديث في أحاديث سابقة.

قوله: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -» كان: تفيد اللزوم والاستمرار.

قوله: «إِذَا أَصْبَحَ» أي: من بعد الفجر إلى أن تطلع الشمس.

قوله: «يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا»» أي: أن صباحنا بك، أنت الذي أحيتنا في هذا الوقت، وأنت الذي سخرت لنا ما نحن فيه.

قوله: «وَبِكَ أَمْسَيْنَا» أي: أن مساءنا بك، فأنت الذي تعين، وتحفظ.

قوله: «وَبِكَ نَحْيَا» أي: أنت الذي خلقتنا وأوجدتنا من العدم بعد أن لم نكن شيئاً

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٦٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٦٤)، والترمذي (٣٣٩١)، وابن ماجه (٣٨٦٨). وعند أبي داود: «وإليك النشور» في دعاء الصباح والمساء، وأما النسائي فعنده في دعاء المساء: «وإليك النشور». قال ومرة أخرى: «وإليك المصير». وأما ابن ماجه والترمذي فروايتهما للحديث من أمره - صلى الله عليه وسلم - «إِذَا أَصْبَحْتُمْ فَقُولُوا...»، أو: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: ...»، وعند الترمذي في دعاء الصباح: «وإليك المصير». وفي دعاء المساء: «وإليك النشور!» وأما ابن ماجه ففي دعاء المساء كما قال الحافظ، إلا أنه في دعاء الصباح ليس عنده: «وإليك النشور». وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في الصحيحة (٢٦٢، ٢٦٣)، والإمام الوادعي رضي الله عنه في الصحيح المسند (١٤٠١).

بعض أذكار الصباح

مذكورًا.

فحياتنا كانت بك، فأنت الذي أحييتنا، وموتنا كذلك يكون بك، فأنت الذي تميتنا بأجلك الذي قدرته علينا.

يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

قوله: «وَبِكَ نَمُوتُ» أي: بأجلك الذي قدرته لنا للموت.

قوله: «وَالَيْكَ النُّشُورُ» أي: وإليك بعثنا ونشورنا من قبورنا يوم القيامة.

يقول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَيُبْعَثُنَّ ثُمَّ لِيُنَبِّئَنَّهُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَأَنْتُمْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾.

قوله: "وَأِذَا أَمْسَى قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «وَالَيْكَ الْمَصِيرُ»".

وكثيرًا من أذكار الصباح والمساء تجتمع، ويقع الخلاف في بعضها.

وقال بعض أهل العلم: فيها دققة.

وهي لما كان الليل محل إيواء، ونوم، ورجوع، وتقع فيه الوفاة الصغرى، جاء

النبي ﷺ بقوله: ﴿وَالَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

والمصير والنشور بمعنى واحد: وهو أن المرجع والمآل يوم القيامة إلى الله ﷻ،

فيجازي كل عامل بعمله سبحانه وتعالى.

ولهذا ينبغي على كل مؤمن، وعاقل، وبالأخص طالب العلم أن لا يترك أذكار

بعض أذكار الصباح

الصباح، والمساء، والنوم، والاستيقاظ، والدخول، والخروج: من البيت، والمسجد، والحمام، وكل ما ثبت عن النبي ﷺ في الأذكار.

وكذلك الأذكار التي تقال عقب الصلوات المكتوبة؛ لما فيها من الأجور العظيمة، ولما فيها من الخير، والبركة، والدفع والحفظ للإنسان من الشرور، والبليات: من ذوات السموم، وشياطين الإنس، والجن، ثم إن فيها التأسى بالنبي ﷺ.

﴿ بيان معنى قول الله ﷻ : (الذاكرين الله كثيراً والذاكرات):

قال بعض أهل العلم: أن من حافظ على الأذكار الثابتة عن النبي ﷺ: في الصباح، المساء، وأدبار الصلوات المكتوبة، والنوم، وعند الاستيقاظ، وعند الدخول والخروج: من المسجد، والبيت، والحمام، وغيرها من الأذكار، أنه يعتبر من الذاكرين الله ﷻ كثيراً ومن الذاكرات.

فإذا عجزنا عن ذكر الله ﷻ وشكره في كل وقت، كما كان النبي ﷺ يذكر الله ﷻ على كل أحيائه، فلا أقل من أن نذكر الله ﷻ في الأوقات التي شرعت لنا.

يقول الله ﷻ: ﴿ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ نُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ [الروم: ١٧١٨]..

ولقد رأينا بركة الدعاء، وما أصابنا ما أصابنا، ووقع بنا ما وقع من النقص العلمي والعملية، أو المالي، أو الديني، إلا حين فرطنا في الدعاء .

حيث يقسو القلب، وتزداد الهموم والغموم، وتقل البركات؛ لأن المرء إذا ذكر الله ﷻ ذكره الله ﷻ، وإذا ذكره الله ﷻ: أعانه، وغفر له، ووفقه لكل خير، ووقاه من كل شر وضير، وكان منصوراً على أعدائه، وكان محفوظاً من كل من يريد أن يوقع به الشر، وكان معاناً على كل أمر يريده من أمور: الدين، أو الدنيا، أو الآخرة.

فمن ذكر الله ﷻ في نفسه ذكره الله في نفسه، ومن جمع بين

بعض أذكار الصباح

ذكر الله في نفسه، وعند الملائكة؛ كان ذكر الله له في نفسه، وعند ملائكته.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً»^(١).

ففي سنن الإمام ابن ماجه رضي الله عنه: من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ، تُذَكَّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟»^(٢).



(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٩)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف ابن ماجه.

بيان جوامع الدعاء

١٥٧٦ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان عظم وبركة هذا الدعاء؛ لأنه اشتمل على خيري الدنيا والآخرة.

ففي الصحيحين: من حديث أنس - رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، عَادَ رَجُلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجَّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ، فَشَفَاهُ»^(٢).

قوله: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» وهذا معناه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له أدعية غير هذا الدعاء، ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم أكثر ما يلازم هذا الدعاء؛ لما اشتمل عليه من خيرى: الدنيا، والآخرة.

قوله: «رَبَّنَا» أي: يا ربنا، وأغلب أدعية القرآن أكثرها بهذا الاسم العظيم، وهو الرب.

ومما استنكر في حديث سرد الأسماء الحسنی في سنن الإمام الترمذی، الذي جاء من طريق الوليد بن مسلم، أن هذا الاسم مذكوراً فيه.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٨).

قوله: «آتِنَا» أي: اعطنا.

قوله: «فِي الدُّنْيَا» أي: في الحياة الدنيا .

قوله: «حَسَنَةً» قيل: التوحيد.

وقيل: العلم. وقيل: العمل بالعلم.

والدعاء بقولنا: ربنا آتينا في الدنيا حسنة، يشمل كل خير في الدنيا، والدين.

قوله: «وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً» قيل: الجنة.

وقيل: النظر إلى وجه الله ﷻ. وقيل: رضوان الله ﷻ.

وهذا الدعاء أيضًا يشمل كل خير في الآخرة: من دخول الجنة، ومن رضوان الله، والنظر إلى وجهه الكريم.

قوله: «وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ»: فإذا صرف الله ﷻ عن العبد عذاب النار، وسخطه، وعقابه، فقد وقاه شر الدنيا، وشر الآخرة.

وفي سنن الإمام الترمذي ﷺ: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ ادْخُلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَبَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ اجْرِهِ مِنَ النَّارِ»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٧٢)، والنسائي (٥٥٢١)، وابن ماجه (٤٣٤٠)، وصححه الإمام الألباني ﷺ

في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي ﷺ (١٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٥٨٨).

ويقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ

عَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ [الفرقان: ٦٥-٦٦]..

فالنار أعظم مصيبة على أهلها الخالدين فيها: فهم لا يهنئون فيها بشراب، ولا

بطعام، ولا بنوم، ولا لباس، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا

يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَيْنَنَا

رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَلَائِكَةٌ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرْتُمُ اللَّحَقَّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٨].

وزادهم على ذلك أن الله ﷻ يقول لهم: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا

ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾

إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾

فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا

صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١١﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١١١]، ويقول الله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَاكَ

حَدِيثُ الْغَدَشِيَّةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ

ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ [الغاشية: ١-٧]..

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا ﴿٢٢﴾ لِبِئْسَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا

يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ

حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا

عَذَابًا ﴿٣٠﴾ [النبا: ٢١٣٠]..

نسأل الله السلامة والعافية من عذاب النار، ومن عذاب القبر، ومن سخط الله ﷻ،

وعقابه، وعذابه.



بيان بعض أدعية النبي ﷺ التي فيها جوامع الكلم

١٥٧٧ - (وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - يَدْعُو: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي، وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَالْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان بركة هذا الدعاء الذي كان النبي ﷺ يدعو به.

قوله: «أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: هو عبد الله بن عيس الأشعري اليماني، وقد تقدم معا بيان ذلك.

قوله: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - يَدْعُو»: نفي اللزوم والاستمرار.

قوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي»: أي: اغفر لي وتجاوز عن ذنوبي.

وطلب المغفرة: هو ستر ما مضى، والتوفيق لما سيأتي، يقول الله ﷻ: ﴿وَلِي لَغَفَارٌ

لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٨٢)، وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي ذرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»^(٣).

قوله: «وَجَهْلِي»: يشمل كل ما فعله الإنسان عن جهل.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٨١٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

• وقد يراد بالجهل أمرين:

الأول: ما كان من غير علم بالحكم الشرعي.

الثاني: وقد يراد بالجهل ما كان فيه الخروج عن الطبيعة من الغضب وغير ذلك.

والنبي ﷺ بعيد عن هذه الأمور .

يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ

فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ

يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ

وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ [النساء: ١٧-١٨].

قوله: «وإسرافي في أمري»: وهذا يشمل الإسراف في كل شيء .

والإسراف: هو مجاوزة الحد الشرعي الذي أباحه الله ﷻ إلى غيره مما حرمه الله

ﷻ .

وقد يكون الإسراف في الكلام، وإضاعة الوقت؛ إذا حصل التجاوز من العبد للحد

الشرعي .

ففي الصحيحين: من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ: "ذَكَرَ رَجُلًا

فِيْمَنْ كَانَ سَلْفَ، أَوْ قَبْلَكُمْ، آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا - يَعْنِي أَعْطَاهُ - قَالَ: فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ

لِبَنِيهِ: أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرُ أَبٍ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَرِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا - فَسَرَّهَا

قَتَادَةُ: لَمْ يَدَّخِرْ - وَإِنْ يَقْدَمُ عَلَى اللَّهِ يُعَذِّبُهُ، فَانظُرُوا فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، حَتَّىٰ إِذَا

صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ: فَاسْهَكُونِي - ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي

فِيهَا، فَأَخَذَ مَوَائِقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ - وَرَبِّي - فَفَعَلُوا، فَقَالَ اللَّهُ: كُنْ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ، ثُمَّ

قَالَ: أَيُّ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتِكَ - أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ - فَمَا تَلَفَاهُ

أَنْ ﷻ "، فَحَدَّثْتُ أَبَا عَثْمَانَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ سَلْمَانَ، غَيْرَ أَنَّهُ زَادَ: «فَأَذْرُونِي فِي

البَحْرِ»^(١).

قوله: «وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي»: وهذا الدعاء هام جداً؛ فإن العبد لا يقتصر بالتوبة والاستغفار على ما يعلمه من الذنوب، والخطايا، والآثام، فقد يكون عنده من الذنوب، والخطايا، والآثام، ما الله ﷻ به عليم، وهو لا يعلم بذلك.

وقد يقع العبد في الذنوب، والمعاصي، وهو لا يعلم، ولهذا جاء في صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث عائشة -رضي الله عنها- عَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِ اللَّهُ، قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»^(٢).

قوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي»: فأعاد النبي ﷺ طلب المغفرة من الله ﷻ؛ لأن الله ﷻ يحب الإلحاح في الدعاء، ويحب من عبده التضرع بين يديه.

والجد: هو ما يفعله الإنسان عن عمد، وقصد.

قوله: «وَهَزَلِي» الهزل: ما يفعله في المزاح، ونحو ذلك.

قوله: «وَحَطَّيِي» أي: وما فعلته عن خطأ مني.

قوله: «وَعَمْدِي» أي: وما فعله الإنسان عن تعمد وقصد، وهو بمعنى الجدد.

قوله: «وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي»: فعم النبي ﷺ بعد ما خص بعض الأدعية، وهذا يفيد أن التكرار في الدعاء، مرغباً فيه سواء كان بلفظه أو معناه.

قوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ»: أي: اغفر لي ما قدمت من الذنوب، والمعاصي، والخطايا، والآثام فيما مضى من عمري.

قوله: «وَمَا أَخَّرْتُ»: أي: واغفر لي ما أخرت من الذنوب، والمعاصي، والخطايا،

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٦).

والآثام، فيما بقي لي من عمري.

قوله: «وَمَا أَسْرَرْتُ» أي: وما أسررت من الذنوب في خلوتي، ونفسي.

قوله: «وَمَا أَعْلَنْتُ» أي: في جلوتي .

قوله: «وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي»: كثر الدعاء بهذا حتى يفيدنا الإلحاح، وأن العبد ينبغي له أن يكرر مثل هذا الدعاء، الذي فيه التفويض لله ﷻ فيما يعلمه من ذنوب العبد، ومعاصيه؛ لأن العبد قد يذنب ويكثر من الذنوب وينسى ذلك.

قوله: «أَنْتَ الْمُقَدِّمُ»: يتوسل إلى الله ﷻ باسمه المقدم؛ فالله ﷻ يقدم من شاء من عباده: بالأعمال الصالحة، والتوفيق لها، والعلم، والجاه، والمنصب، والمال، وفق حكمته البالغة.

قوله: «وَالْمُؤَخَّرُ»: ويتوسل إلى الله ﷻ باسمه المؤخر.

إذ أنه يؤخر من يشاء من عباده بمعصيته.

فطاعة الله ﷻ والحرص عليها، والمسابقة إليها، والمسارة، والمبادرة سبب من أسباب تقديم الله ﷻ للعبد في الدين، والدنيا، والآخرة.

ومعصية الله ﷻ، والذنوب، من أسباب تأخير الله ﷻ لعبد في الدين، والدنيا،

والآخرة، يقول الله ﷻ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (٣٧).

فالتقدم من العبد: يكون بطاعة الله ﷻ: بفعل أو امره، واجتناب نواهيه .

والتأخر: يكون بمعصية الله ﷻ، والتساهل في ذلك .

قوله: «وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»: وذلك لكمال علمه وقدرته، يقول الله ﷻ :

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (٤٤).



الدعاء بصلاح الدين والدنيا

١٥٧٨ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح

والحديث أخرجه البزار رضي الله عنه: من حديث الزبير - رضي الله عنه -، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَفِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَصِيرِي وَفِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا بَلَاغِي، وَاجْعَلْ حَيَاتِي زِيَادَةً فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً مِنْ كُلِّ شَرٍّ»^(٢).

قال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٧١٦): تَصَمَّنَ الدُّعَاءُ بِخَيْرِ الدَّارَيْنِ وَلَيْسَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ الدُّعَاءِ بِالْمَوْتِ بَلْ إِنَّمَا دَلَّ عَلَى سُؤَالِ أَنْ يَجْعَلَ الْمَوْتَ فِي قَضَائِهِ عَلَيْهِ وَنُزُولِهِ بِهِ رَاحَةً مِنْ سُرُورِ الدُّنْيَا وَمِنْ سُرُورِ الْقَبْرِ لِعُمُومِ كُلِّ شَرٍّ أَيْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ. اهـ

قوله: «وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي» أي: وأصلح آخرتي التي إليها معادي يوم القيامة.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

يُظْلَمُونَ ﴿٣٨١﴾

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٠).

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٩٨٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رضي الله عنه (٣٣٨).

ولا تصلح الدنيا، والآخرة؛ بمثل تقوى الله ﷻ.

يقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِّن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

قوله: «وَأَجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِّي فِي كُلِّ خَيْرٍ»: لأن المؤمن لا يزيده عمره إلا خيراً، فكل يوم له في أجور عظيمة، وحسنات كثيرة، وحتى يأتيه الأجل. وقد نهى النبي ﷺ أن يدعو المرء على نفسه بالموت.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا»^(١). وفي سنن الإمام الترمذي ﷺ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ -رضي الله عنه-، أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرَ النَّاسِ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسَنَ عَمَلُهُ»^(٢).

قوله: «وَأَجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِّي مِنْ كُلِّ شَرٍّ».

كما جاء في الصحيحين: من حديث أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلِ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنَّيًّا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِّي، وَتَوَقَّفْنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِّي»^(٣)، والله أعلم.



(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٩)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف الترمذي.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٥١)، ومسلم (٢٦٨٠).

الدعاء بالعلم النافع

١٥٧٩ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي»^(١). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَالْحَاكِمُ).
 . ١٥٨٠ - (وَلِلْتَرْمِذِيِّ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - نَحْوَهُ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: «وَرَزَقْنِي عِلْمًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ»^(٢). وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ).

شرح الشرح:

قوله: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -» كان: تفيد اللزوم والاستمرار.

قوله: «يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي» " أي: اجعل علمي ينفعني من حيث العمل به.

وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أسألك علمًا نافعًا".

ففي سنن الإمام ابن ماجه رضي الله عنه: من حديث أم سلمة - رضي الله عنها - أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا»^(٣).

ففي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث زيد بن أرقم - رضي الله عنه -، قَالَ: "لَا أَقُولُ لَكُمْ

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٨١٩)، والحاكم (١٨٧٩)، ويشهد له ما بعده. وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في الصحيحة (٣١٥١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٩٩)، وابن ماجه (٣٨٣٣)، وفي سننه محمد بن ثابت مجهول، وموسى بن عبيدة الربذي متروك. وقال الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح السنن (٣٥٩٩): "صحيح دون قوله: "والحمد لله...".

(٣) أخرجه ابن ماجه (٩٢٥)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف ابن ماجه.

الدعاء بالعلم النافع

إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»^(١).

فالعلم النافع: هو العلم الذي يورث لصاحبه العمل: بالكتاب، وبالسنة النبوية. **والعلم الذي لا ينفَع:** هو العلم الذي لا يعمل به أو المأخوذ من غير الكتاب والسنة على فهم السلف رضوان الله عليهم .

﴿ بيان العلم الذي لا ينفَع صاحبه لا في الدنيا، ولا في الآخرة:

قوله: «وَعَلَّمَنِي مَا يَنْفَعُنِي»: لأن من العلم ما لا ينفَع .

فمن العلوم التي لا تنفع صاحبها، بل تضره، وربما أوصلته إلى الكفر والردة عن دينه: كعلم السحر، وعلم الشعوذة، وعلم الكهانة، والكلام، وغير ذلك من العلوم التي تتسبب لصاحبها الضرر العظيم في دينه.

﴿ بيان العلم النافع لصاحبه:

وهناك علوم تنفع صاحبها في الدنيا، والآخرة: وعلى رأسها علم التوحيد، وعلم ما يضاد التوحيد وينقصه: من الشرك، والبدع، والخرافات، والكبائر؛ حتى يحذرهما. وعلم الكتاب، والسنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ، هو أصل العلوم، وهو النافع لصاحبه في الدنيا، والآخرة.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

﴿ بيان العلم الذي ينفع صاحبه في الدنيا:

كعلم الطب، والهندسة، والحساب، وغير ذلك من العلوم التي قد ينال بها العبد في الدنيا المنفعة، وهي في أصلها ليست مخالفة للكتاب، والسنة. وربما انتفع بها في الآخرة؛ إذا احتسب فيها الأجر، وقصد منفعة الإسلام والمسلمين .

قوله: «وَأَرْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي» فيه: أن العلم النافع رزقاً من الله ﷻ يعطيه من شاء،

يقول الله ﷻ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١١٤).

وقد أحسن من قال:

قيمة الإنسان ما يحسنه أكثر الإنسان منه أو أقل

قوله: «وَلِلتَّرْمِذِيِّ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ نَحْوُهُ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: «وَزِدْنِي عِلْمًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ». وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.»

بل الحديث ضعيف جداً؛ في إسناده موسى بن عبيدة الربذي شديد الضعف، وشيخه محمد بن ثابت مجهول.

قوله: «وزدني علماً»: على ما تقدم .

قوله: «الحمد لله على كل حال»: إذ أن الله ﷻ يحمد على عدله وفضله، فالإنسان

المؤمن يحمد الله ﷻ على كل حال من أحواله .

ففي سنن الإمام أبي داود ﷺ: من حديث ابنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما-، أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانِي وَأَوَانِي، وَأَطْعَمَنِي وَسَقَانِي،

وَالَّذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ، وَالَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ اللَّهُمَّ رَبِّ

كُلُّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ وَإِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»^(١).

وفي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله: من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(٢).

وحين يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يحمد ربنا صلى الله عليه وسلم.

كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ

بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٧٥).

قوله: «وأعوذ بك من حال أهل النار»: فهو بئس الأحوال، عذاب مستمر ولا

ينقطع، وكلما مر عليهم وقتاً زادهم الله صلى الله عليه وسلم عذاباً إلى عذابهم.

كما قال الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾^(٣٠)، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾

[النساء: ٥٦].



(١) أخرجه أبو داود (٥٠٥٨)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٣)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف ابن ماجه.

الدعاء بخيري الدنيا والآخرة

١٥٨١ - (وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرٍ مَا سَأَلْتُكَ عَبْدُكَ وَنَبِيِّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَادَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيِّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا»^(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ).

شرح الشرح:

هذا الحديث عظيم، وهو من جوامع أدعية النبي ﷺ.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ»: إذ أنه دعاء عام يشمل كل خير: في أمور الدين، والدنيا والآخرة. وسواء كان الخير في الأمور الحسية، أو المعنوية.

فالخير كله بيد الله ﷻ؛ لأنه هو صاحب الفضل، والكرم، والعطاء، والإحسان. فالخير كله بيد الله ﷻ يعطيه من شاء، ويوفق له من شاء من عباده، سبحانه وتعالى أكرم الأكرمين، وخير الرازقين، وأرحم الراحمين. زد على ذلك أن النبي ﷺ علم عائشة ﷺ أن تقول: "ما علمت منه، وما لم أعلم". فالخير قد يعلمه بعض الناس، وبعضه قد لا يعلم، ولكن الله ﷻ بكل شيء عليم.

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٦) بسند صحيح، وابن حبان (٨٦٩)، والحاكم (١٩١٤)، وفي سند ابن

حبان سقط. وصححه الإمام الألباني ﷺ في الصحيحة (١٥٤٢).

قوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ».

وهذا أيضًا يشمل كل الشرور والآثام الحسية، والمعنوية.

سواء كانت في أمور الدين، أو الدنيا، أو الآخرة، فينبغي للمؤمن أن يستعيذ بالله ﷻ

من جميع الشرور .

ويدخل فيه أيضًا الاستعاذة من الأمراض، والأسقام، والابتلاءات، الحسية،

والمعنوية.

سواء ما كان منها بالشبهات، أو بالشهوات.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا

عَازٍ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ»: وهذا تمام لما تقدم.

وفيه: دليل على أن الإنسان إذا عجز عن الدعاء بما ثبت عن النبي ﷺ.

فيشرع له أن يدعو بما دعاه به النبي ﷺ على الإجمال.

ويشرع له أن يدعو بما دعا به الصالحون من الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، وأتباع

التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فإن في دعائهم الخير، والبركة، لما فيه

من البعد عن البدع والمحدثات .

وفيه: دليل على أن النبي ﷺ عبد لا يعبد، ونبي لا يكذب.

وفيه: رد على الغلاة في نبينا محمد ﷺ من الصوفية، ومن نحا نحوهم.

وفيه: رد على الجفافة في نبينا ﷺ: من اليهود، والنصارى، وسائر الكفار

والمشركين والملحدين والمجوس وغيرهم.

الذي كفروا بنبوة نبينا ﷺ، ولم يسلموا، أو ينقادوا لهذا الدين العظيم.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ».

فيه: تكرار للسؤال من الله ﷻ، وفيه الإلحاح على الله ﷻ بالدعاء.

فالجنة هي المقصد الذي يريده كل عبد صالح مؤمن بالله ﷻ، وبرسوله ﷺ.

قوله: «وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ» أي: وأسألك ما قرب إلى الجنة من الأعمال الصالحة، سواء كانت بالقلب، أو اللسان، أو الجوارح.

فالعبادات المتعلقة باللسان: كالذكر، والدعاء، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم العلم الشرعي، والموعظة، والتذكير، والنصح، والإرشاد، وغير ذلك من العبادات القولية.

والعبادات المتعلقة بالجوارح: كالصلاة، والصيام، والحج، والجهد في سبيل الله ﷻ، والزكاة، والصدقة، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الجيران، وبذل المعروف لكل مسلم، وغير ذلك من الأعمال المتعلقة بالجوارح.

والعبادات المتعلقة بالقلب: كالإخلاص، والرجاء، والخوف، والتوكل، والخشية، والرغبة، والخضوع، والاستكانة، والتذلل، والحب، والرغبة، وغير ذلك من العبادات القلبية.

قوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ» فيه: الاستعاذة من النار، ومن عذاب جهنم، لشدته، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

قوله: «وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ» أي: واستعيذ بك من الأعمال السيئة، والذنوب، والمعاصي، والخطايا، والآثام التي تقرب من النار وتكون سببا في دخولها.

وعلى رأسها الشرك، والكفر بالله ﷻ، والردة عن دين الإسلام؛ فإن هذه الأعمال تخلد صاحبها في نار جهنم.

قوله: «وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا».

إذ أنه لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، سبحانه وتعالى.

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ

وَتَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾.

مسألة: هل يرد الدعاء القضاء؟

قال الطيبي في شرح المشكاة (٥ / ١٧٠٩):

القضاء الأمر المقدر، في تأويل الحديث وجهان:

أحدهما: أن يراد بالقضاء ما يخافه العبد من نزول المكروه، ويتوقاه، فإذا وفق

للدعاء دفع الله عنه، فتكون تسميته بالقضاء علي المجاز، ويزيد توضيحه ما سئل عنه

((أرأيت رقى نسترقها- إلي قوله: قال ((هي من قدر الله)) فقد أمر الله تعالي بالدعاء

والتداوي، مع علم الخلق بأن المقدر كائن؛ لأن حقيقة المقدر وجودا أو عدما

مخفية عنهم،

وثانيهما: أن يراد به الحقيقة، فيكون معنى رد الدعاء القضاء، تهوينه وتيسير الأمر

فيه حتى يكون القضاء النازل كأنه لم ينزل به، ويؤيده الحديث التالي: ((إن الدعاء

ينفع مما نزل ومما لم ينزل)) أما نفعه مما نزل عليه، فصبره عليه، وتحمله له، رضاه

به، حتى لا يكون في نزوله متمنياً خلاف ما كان، وأما نفعه مما لم ينزل، فهو أن يصرفه

عنه، أو يمدد قبل النزول بتأييد من عنده، حتى تخف معه أعباء ذلك إذا نزل به.

قال أبو حامد الغزالي: فإن قيل: فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له؟ فاعلم

أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء، ووجود الرحمة، كما

أن الترس سبب لدفع السلاح، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن

الدعاء بخيريه الدنيا والآخرة

الترس يدفع السهم فيتدافعان، كذلك الدعاء والبلاء، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾. فقدّر الله تعالي الأمر وقدر سببه، وفي الدعاء من الفوائد ما ذكرنا من حضور القلب، والافتقار، وهما نهاية العبادة والمعرفة. اهـ



كفارة المجلس

١٥٨٢ - (وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١)).

الشرح:

ختم المصنف رضي الله عنه الكتاب الجليل بهذا الحديث العظيم، كما ختم الإمام البخاري رضي الله عنه كتابه الصحيح الجامع بهذا الحديث.

وقد جاء في معناه حديث عائشة، وأبي برزة الأسلمي وأبي هريرة رضي الله عنهم، في بيان كفارة المجلس وفي بعضها كلام لأهل العلم رحمهم الله تعالى.

ففي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رضي الله عنه -، أَنَّهُ قَالَ: «كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ، وَلَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسٍ خَيْرٍ وَمَجْلِسٍ ذَكَرٍ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ كَمَا يُخْتَمُ بِالْخَاتَمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(٢).

وفي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مثله.

وفي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ - رضي الله عنه -، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: بِأَخْرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٥٧)، وقال الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف أبي داود: صحيح دون

قوله: "ثلاث مرات".

كفارة المجلس

إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى، فَقَالَ: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ»^(١).

وفي سنن الإمام النسائي رحمه الله: من حديث عائشة - رضي الله عنها -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا أَوْ صَلَّى تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ عَنِ الْكَلِمَاتِ، فَقَالَ: «إِنْ تَكَلَّمْتَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمْتَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(٢).

وخرج طرق هذه الأحاديث مع ذكر شواهدا الإمام ابن كثير رحمه الله في آخر تفسير سورة الصافات.

وهكذا الحافظ ابن حجر رحمه الله في آخر شرح على صحيح البخاري .

والأحاديث المتقدمة تدل على مشروعية المعجىء بكفارة المجلس .

قوله: «كَلِمَتَانِ» أي: جملتان؛ لأن الكلمة تأتي بمعنى الجملة المفيدة.

يقول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا

تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

ويقال أفضل كلمة هي: لا إله إلا الله؛ لأنها كلمة التوحيد لله تعالى.

ويقال: أصدق كلمة قالها شاعر:

ألا كل شيء ما خلق الله باطل .

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ

قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَيْدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ ... وَكَأَدُ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٥٩)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود.

(٢) أخرجه النسائي (١٣٤٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف النسائي، وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٥٩٨).

يُسَلِّمُ^(١).

قوله: «حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ» فيه: إثبات صفة المحبة لله ﷻ، وهي من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله ﷻ.

فثبت ذلك على ما يليق به سبحانه وتعالى من غير تكيف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تحريف.

يقول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾.

فالله يُحِبُّ من عباده المؤمنين، ويُحِبُّ عباده المؤمنين، وعلى رأسهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قوله: «خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ» أي: عند النطق بهما في اللسان.

قوله: «ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ» أي: عند وزن صحائف الأعمال يوم القيامة تكون في الميزان ثقيلة.

وبهذا الحديث وغيره من الأدلة احتج أهل العلم على وزن الأعمال يوم القيامة. وقد تقدم أن الميزان حقيقي توزن به الأعمال، ويوزن به العامل، وتوزن به صحائف الأعمال.

وله كفتان، كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه في قصة البطاقة.

قوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» أي: تنزيه لله ﷻ عن كل نقص، و عيب، وما لا يليق به سبحانه وتعالى.

وبحمده: لكماله المقدس من كل وجه.

العظيم: الذي بلغ في العظمة منتهاها، فهو سبحانه وتعالى لا أعظم منه، ولا أكبر

(١) أخرجه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦).

كفارة المجلس

منه، ولا أجل منه، ولا أحد يوصف بصفاته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ

بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ [الحجر: ٩٨-٩٩].

وفي قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾.

وفي مسند الإمام أحمد ﷺ: من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه-، قال: «كُنَّا عِنْدَ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيحَانٍ مَزْرُورَةٌ بِالذَّبِيحِ، فَقَالَ:

أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ

فَارِسٍ، وَيَرْفَعُ كُلَّ رَاعٍ ابْنِ رَاعٍ قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ، وَقَالَ: " أَلَا

أَرَىٰ عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ " ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوْحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ

لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: أَمْرُكَ بِائْتِنِينَ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، أَمْرُكَ بِالْإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ،

فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ

كفارة المجلس

فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَكَ عَنِ الشَّرِكِ وَالْكَبْرِ " قَالَ: قُلْتُ أَوْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذَا الشَّرِكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: الْكِبْرُ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ لِهَمَّا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ قَالَ: " لَا " قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟ قَالَ: " لَا " قَالَ: الْكِبْرُ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا؟ قَالَ: " لَا " قَالَ: أَفَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: " لَا " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: " سَفَهُ الْحَقِّ، وَعَمَّصُ النَّاسِ " .^(١)

وفي مسلم: من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعُ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مَوْبِقُهَا»^(٢).

فسبحان الله: كلمة للتزنية وبحمده: كلمة للإثبات، فيجمع في وصف الله صلى الله عليه وسلم بين النفي، والإثبات، تنفي عن الله صلى الله عليه وسلم كل العيوب والنقائص، وثبت له كمال.

قال ابن رجب في الفتح (٣/ ٣٤٥): وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يختم مجالسه بكفارة المجلس، وأمر أن تختم المجالس به، وأخبر أنه إن كان المجلس لغوا كانت كفارة له، وروي ذلك عن جماعة من الصحابة، فإذا وقع اللغو في المساجد ثم ختم المجلس بكفارته، فهو شبيه بالبصاق في المسجد ودفنها بعده. اهـ

(١) أخرجه أحمد (٦٥٨٣)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رضي الله عنه (١٣٤)، وهو في الصحيح المسند

للإمام الوادي رضي الله عنه (٨٠١).

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

وسبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت
أستغفرك وأتوب إليك.
وكان الانتهاء من التعليق على هذا الكتاب
في السادس والعشرين من شهر شعبان
لعام واحد وأربعين وأربعمائة وألف
من الهجرة النبوية الشريفة
في مسجد الصحابة مدينة الغيضة
فنسأل الله ﷻ القبول والسداد
والحمد لله رب العالمين^(١)



(١) وكانت الانتهاء من المراجعة المفرغة في ليلة الجمعة ١/ صفر/١٤٤٣ هـ
وكان الانتهاء من مراجعة كتاب هبة السلام شرح بلوغ المرام ليلة الثلاثاء ١٨/ربيع
الأخر ١٤٤٣ ولله الحمد والمنة.

إجازة كل من حضر أو تابع درس بلوغ المرام

✽ قال أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الرُّعكري:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد:

فقد أجزت كل من حضر هذا المجلس، أو تابع هذا الدرس في مروياتي عن الحافظ ابن حجر شهاب الدين: "أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد ابن حجر بن أحمد العسقلاني".

وكانت حياته: بين سنة ثلاثة وسبعين وسبعمائة وسنة اثنين وخمسين وثمانمائة لله.

أرويه عن شيخنا العلامة المحدث محمد بن الشيخ العلامة علي بن آدم بن موسى الأثيوبي الولولي.

عن والده العلامة الجليل، والدرك النليل، الفقيه الأصولي، علي بن آدم الأثيوبي، يرويه عنه قراءة لكثير منه، وإجازة لباقيه.

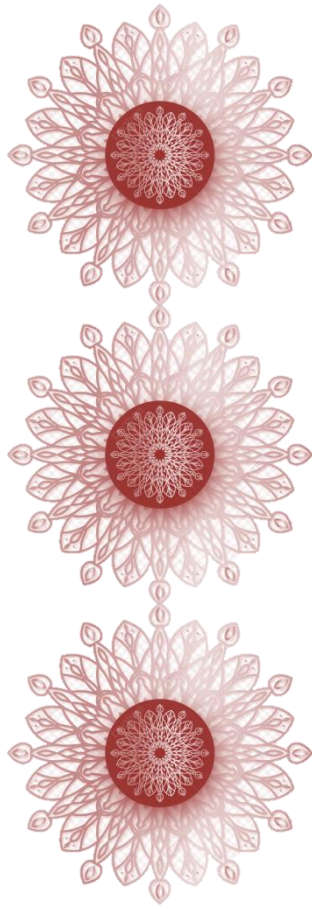
والعلامة محمد زين الثاني بن محمد ياسين، والشيخ عبد الباسط محمد بن حسن الأثيوبي البروني المناسي، والشيخ حياة بن علي الأثيوبي الدرري، أربعتهم عن العلامة المقرئ المحدث محيي السنة، وقامع البدعة، الشيخ كبير أحمد بن عبد الرحمن الحسيني العددي أبا العقيلي الدوي بلدًا، المتوفى في التاسع من الشهر الأول لعام تسعين وثلاثمائة وألف هجري، عن العلامة عبد الجليل بن يحيى الدلتي، عن والده يحيى بن بشير الدلتي، عن والده بشير الدلتي، عن المفتي داود بن أبي بكر الدوي، عن شيخه السيد سليمان بن يحيى مقبول الأهدل، عن عبد القادر ابن الخليل المدني، عن محمد بن أحمد بن سالم، عن عبد الغني وعبد الرحمن المجد، عن النجم

الغزّي، عن البدر، عن القاضي زكريا، وعن مؤلفها الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمته الله.

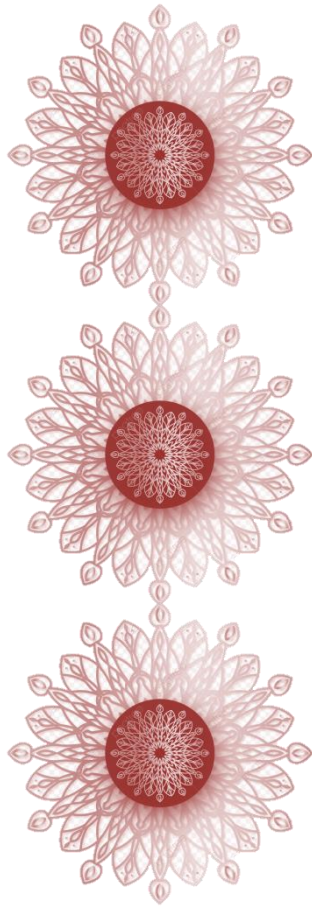
وبالله التوفيق^(١)



(١) وكان إتمام هذا السند والإجازة في ليلة السابع والعشرين من شعبان لعام واحد وأربعين وأربعمائة وألف، بين مغرب وعشاء من يوم الأحد الذي صبيحتها يوم الاثنين، في مسجد الصحابة مدينة الغيضة في محافظة المهرة في بلاد اليمن حرسها الله وجميع بلاد المسلمين .



الفهرس



الفهرس

- ١ [كتاب الجامع] - [باب الأدب] ١
- ٣ باب الآداب: ٣
- ٤ بيان بعض حقوق المسلم على أخيه المسلم ٤
- ٤ ساق المصنف ﷺ هذا الحديث لبيان بعض حقوق المسلم على أخيه المسلم ٤
- ٨ بيان حكم الابتداء بالسلام عند اللقاء بين المسلم وأخيه المسلم: ٨
- ٨ بيان أفضل صيغة للسلام: ٨
- ٩ بيان حكم زيادة: "ومغفرته"، على لفظ السلام: ٩
- ٩ بيان أن السلام من أحد المارة يجزئ عنهم: ٩
- ٩ بيان أن الصغير يسلم على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير: ٩
- ١٠ بيان أن الراكب يسلم على الماشي: ١٠
- ١٠ بيان حكم إجابة الدعوة: ١٠
- ١١ بيان حكم النصيحة لمن طلبها: ١١
- وقد كان النبي ﷺ يبايع أصحابه ﷺ على النصيحة، ففي الصحيحين: من حديث جرير بن عبد الله البجلي - ﷺ -، قال: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^{١٠}.
- ١١ ١١
- ١٢ حكم تشميت العاطس ١٢
- ١٢ ويحب الله ﷻ العطاس ويكره الثأوب: ١٢
- ١٣ بيان ما يقول من عطس، وكيف يشمت: ١٣
- ١٣ بيان أن من عطس فلم يحمد الله ﷻ فلا يشمت: ١٣
- ١٣ بيان حكم من عطس وهو من غير المسلمين: ١٣
- ١٤ بيان حكم عيادة المريض: ١٤

الفهرس

- ١٥ اتباع الجنائز:
- ١٦ بيان أن المرء ينظر إلى من هو دونه في أمور الدنيا حتى لا يحتقر نعمة الله عليه
- ١٨ بيان البر والإثم
- ١٩ بيان أقسام حسن الخلق:
- ١٩ بيان أن الصدق أساس البر
- ٢٠ بيان أن حسن الخلق من أثقل الأعمال يوم القيامة بعد توحيد الله ﷻ:
- ٢٠ بيان قرب مجلس صاحب الخلق الحسن من النبي ﷺ:
- ٢١ بيان أن صاحب الخلق الحسن من خيار الناس:
- ٢١ بيان أن أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق:
- ٢٣ بيان أنه لا يتناجى اثنان دون الثالث
- ٢٦ بيان النهي عن إقامة الرجل لأخيه من مجلسه الذي سبق إليه
- ٢٨ بيان بعض آداب الأكل
- ٢٨ بيان الحكمة من لعق الطعام قبل غسل اليد:
- ٢٨ والشاهد من الحديث:
- ٢٩ بيان حكم الأطعمة التي تكون جافة:
- ٢٩ بيان أن عادة النبي ﷺ أنه كان يأكل بثلاث أصابع:
- ٣١ بيان بعض آداب السلام
- ٣٤ بيان حكم السَّلَامِ حَالَ الْخُطْبَةِ فِي الْجُمُعَةِ:
- ٣٤ بيان حكم السَّلَامِ عَلَى الْمُشْتَغَلِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ:
- ٣٥ بيان حكم سَلَامٍ مَنْ دَخَلَ بَيْتًا لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ:
- ٣٥ بيان حكم المار إذا ظن أن القاعد لن يرد عليه السلام:
- ٣٦ بيان تحريم بدء اليهود والنصارى بالسلام
- ٣٩ بيان أقسام أمة النبي ﷺ:

الفهرس

- ٤٢ بيان بعض آداب العطاس
- ٤٤ بيان حكم من عطس ولم يحمد الله:
- ٤٤ وهل يذكر من عطس ولم يحمد الله؟
- ٤٥ بيان النهي عن الشرب قائمًا
- ٤٥ بيان حكم الشرب جالسًا:
- ٤٧ بيان بعض آداب اللبس
- ٤٧ بيان حكم البدء باليمين في التنعل، وبالشمال عند خلع النعال:
- ٤٨ بيان أن المتنعل كالراكب:
- ٤٨ بيان أن من لبس الخف ونحوه يلبسه وهو جالس:
- ٥١ حكم الإسبال والخيلاء
- ٥١ بيان حكم الإسبال:
- ٥٣ الرد على من استدل بحديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه:
- ٥٧ بيان بعض آداب الأكل
- ٥٨ بيان حكم من أكل بالشمال وشرب بالشمال لحاجة:
- ٦٠ بيان أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يأتي دليل على تحريمها
- ٦١ بيان الفرق بين الإسراف والتبذير:
- ٦٣ **باب البر والصلة**
- ٦٣ بيان أن البر والصلة من أعظم الأسباب في البركة في العمر:
- ٦٣ بيان وأعظم البر:
- ٦٤ بيان تحريم قطيعة الأرحام:
- ٦٥ بيان عظم حق الوالدين:
- ٦٦ بيان حق النبي صلى الله عليه وسلم:
- ٦٦ بيان وجوب طاعة الوالدين ولو كانا كافرين، أو مشركين في غير معصية:

الفهرس

- ٧٠ بيان فضيلة البر وصلة الأرحام
- ٧١ بيان الجواب عن الإشكال:
- ٧٣ بيان أن الواصل ليس بالمكافئ:
- ٧٤ بيان تحريم قطع الرحم وأنها من الكبائر للوعيد في حقه
- ٧٤ بيان معنى الحديث:
- ٧٦ بما تقع قطيعة الرحم
- ٧٨ بيان بعض المحرمات وبعض المكروهات
- ٧٩ الفرق بين المحرم والمكروه في اصطلاح الأصوليين:
- ٨٤ بيان التشديد في إضاعة المال:
- ٨٧ بيان أن رضاء الله في رضاء الوالد، وسخط الله في سخط الوالد
- ٨٧ بيان حكم طاعة الوالد:
- ٩١ بيان أن المؤمن لا يكمل إيمانه إلا إذا أحب لجاره وأخيه ما يحب لنفسه
- ٩٣ بيان أعظم الحقوق
- ٩٦ **باب الزهد والورع**
- ٩٩ بيان أقسام العلم:
- ٩٩ بيان أن تحريم ما أحل الله ﷻ ليس من الزهد:
- ١٠٠ بيان أن نبينا محمد ﷺ أعظم الناس زهدا وورعا زهدا:
- ١٠٢ بيان أن الأحوط اجتناب المشتبهات
- ١٠٨ بيان تعاسة عبد الدينار والدرهم
- ١١١ بيان كون الإنسان في الدنيا غريب، أو عابر سبيل
- ١١٥ بيان النهي عن التشبه بالكفار وبالمشركين
- ١١٩ بيان وجوب مراقبة الله ﷻ في السر وفي العلن
- ١٢٣ بيان جواز الاستعانة بالمخلوق:

الفهرس

- ١٢٥ بيان فضل الزهد في الدنيا
- ١٢٩ بيان بعض الذين يحبهم الله ﷺ
- ١٣٣ بيان أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه
- ١٣٦ بيان النهي عن كثرة الأكل
- ١٣٨ بيان الحث على التوبة من كل ذنب
- ١٤٠ بيان شروط التوبة النصوح:
- ١٤١ بيان كيفية التوبة من البدع ومن الضلال ومن الزيغ ومن الانحراف:
- ١٤٢ بيان كيفية التوبة من النفاق:
- ١٤٢ فتضمنت الآية شروط ثلاثة بعد شروط التوبة وهي:
- ١٤٣ بيان فضل الصمت
- ١٤٤ ومما يذكر عن لقمان الحكيم ﷺ:
- ١٤٥ وإذا لم يتبين للإنسان ولم يترجح له هل الكلام خير، أم غير خير؟
- ١٤٧ **باب الرَّهْب من مساوئ الأخلاق**
- ١٤٧ بيان معنى وحقيقة حسن الأخلاق:
- ١٤٨ بيان بدء دعوة النبي ﷺ للناس:
- ١٤٩ بيان أقسم الأخلاق الحسنة، أو محاسن الأخلاق:
- ١٥٢ بيان أنواع مساوئ الأخلاق:
- ١٥٣ بيان تحريم الحسد وأنها من الكبائر
- ١٥٥ بيان أن أصل الذنوب والمعاصي ترجع إلى الكبر والحسد:
- ١٥٦ بيان أفضل علاج للحسد:
- ١٥٨ بيان ذم الغضب
- ١٦٠ بيان تحريم الظلم
- ١٦٠ بيان أنواع الظلم:

الفهرس

- ١٦٣ بيان خطر الرياء
- ١٦٦ بيان هل الشرك الأصغر يغفره الله ﷻ لصاحبه؟
- ١٦٧ بيان علامات النفاق العملي الأصغر
- ١٦٧ بيان أقسام النفاق:
- ١٧٠ و وصف الله ﷻ بأنه: لا يخلف الميعاد.
- ١٧٢ بيان تحريم سباب المسلم
- ١٧٢ بيان أقسام الفسق:
- ١٧٣ بيان سبب تسمية القتل كفرًا:
- ١٧٦ بيان تحريم إساءة الظن بالمسلمين
- ١٧٧ بيان أن أسوأ الظن على الإطلاق هو سوء الظن بالله ﷻ:
- ١٨٠ بيان تحريم غش المسلمين
- ١٨٣ بيان وجوب الرفق بالرعية
- ١٨٥ بيان تحريم الضرب في الوجه
- ١٨٥ وقد نهى النبي ﷺ عن الوسم في الوجه.
- ١٨٧ التحذير من الغضب
- ١٨٩ بيان تحريم التخوض في مال الله ﷻ بغير حق
- ١٩٢ بيان تحريم الظلم
- ١٩٣ بيان معنى الظلم:
- ١٩٤ بيان هل يجوز لله ﷻ أن يعذب بغير ذنب؟
- ١٩٥ بيان أن دعوة المظلوم مستجابة:
- ١٩٦ والمظالم إن لم تؤد إلى أصحابها في الدنيا؛ فإنها ستؤدى إليه في الآخرة.
- ١٩٩ بيان تحريم الغيبة
- ٢٠٠ بيان أن الغيب محرمة بالكتاب وبالسنة وبالإجماع:

الفهرس

- ٢٠٢ بيان حكم النميمة:
- ٢٠٣ والقتات: هو النمام.
- ٢٠٣ والنميمة من أسباب عذاب القبر:
- ٢٠٤ بيان تحريم الحسد والنجش والتباغض والتدابير.
- ٢٠٥ بيان حكم النجش:
- ٢٠٥ بيان الفرق بين التحسس والتجسس:
- ٢٠٥ بيان حكم التجسس والتحسس:
- ٢٠٥ بيان حكم التجسس على المسلمين للكفار وللمشركين:
- ٢٠٧ بيان حكم التنافس:
- ٢١٢ الاستعاذة من منكرات الأخلاق
- ٢١٦ بيان النهي عن المراء والجدال وخلف الوعد
- ٢١٦ بيان حكم المراء بين الأخوة:
- ٢١٩ ذم البخل وسوء الخلق
- ٢٢١ بيان النهي عن سب، وعن الاعتداء على المسلمين
- ٢٢٣ بيان تحريم إدخال الضرر والمشقة على المسلمين
- ٢٢٥ بيان تحريم الفحش في الكلام والبذاءة واللعن
- ٢٢٨ بيان حكم اللعن بالتعيين:
- ٢٢٨ بيان حكم اللعن بالوصف:
- ٢٣٢ بيان تحريم سب الأموات لغير مقصد شرعي
- ٢٣٢ بيان سبب نهي النبي ﷺ عن سب الأموات:
- ٢٣٣ بيان حكم السب:
- ٢٣٣ بيان أن الجرح والتعديل ليس فيه سب، ولا شتم، لا للأموات، ولا للأحياء:
- ٢٣٥ بيان تحريم النميمة وأنها من الكبائر

الفهرس

- ٢٣٥ بيان أن الغيبة أهون من النيمة:
- ٢٣٧ بيان فضل كف الغضب.
- ٢٣٩ بيان الزجر الشديد للخب، وللبلخ، ولسوء الملكة.
- ٢٤٠ بيان تحريم التجسس على المسلمين.
- ٢٤١ بيان أن الإنسان يجب عليه أن ينشغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره.
- ٢٤٣ بيان تحريم التعاضم، والاختيال.
- ٢٤٣ وقد أمر المؤمن بالتواضع.
- ٢٤٦ بيان أن العجلة في الأمور الدنيوية من الشيطان.
- ٢٤٩ بيان أن من أعظم أسباب الشؤم هو سوء الخلق.
- ٢٤٩ بيان الشؤم الحقيقي:
- ٢٥١ بيان النهي عن كثرة اللعن.
- ٢٥٣ بيان النهي عن تعبير العاصي بذنبه.
- ٢٥٣ بيان ما يقال عند رؤية المبتلى؟
- ٢٥٦ بيان النهي عن الكذب في المزاح.
- ٢٥٦ بيان بعض ما جاء عن النبي ﷺ في مزاحه وهو حق.
- ٢٦٠ بيان كفارة الغيبة.
- ٢٦١ بيان تحريم الخصومة الشديدة بين المسلمين.
- ٢٦٣ **باب الترغيب في مكارم الأخلاق**
- ٢٦٤ الأمر بلزوم الصدق.
- ٢٦٥ بيان أعظم الصدق:
- ٢٦٨ بيان أن سوء الظن أكذب الحديث.
- ٢٦٩ بيان حق الطريق.
- ٢٧٢ بيان فضيلة العلم ومنزلة الرفيعة.

الفهرس

- ٢٧٥ بيان فضل حسن الخلق
- ٢٧٦ بيان الموزون يوم القيامة:
- ٢٧٨ بيان أن الميزان يوم القيامة هو واحد فقط:
- ٢٧٩ بيان من أنكر الميزان:
- ٢٨٠ بيان فضيلة الحياء، وأنه من الإيمان
- ٢٨٣ بيان سوء قلة الحياء
- ٢٨٤ بيان قوي الإيمان من ضعفه
- ٢٨٤ بيان أن الإيمان يزداد بالطاعة وينقص بالمعصية:
- ٢٨٦ بيان أن الإيمان أركان وحدود وسنن:
- ٢٨٦ بيان إن اجتماع القوة البدنية مع القوة الإيمانية من أعلى المراتب:
- ٢٨٧ بيان طريقة معرفة زيادة الإيمان:
- ٢٩١ الحث على التواضع
- ٢٩٢ بيان أنواع التواضع:
- ٢٩٢ والتواضع سبب لرفعة العبد في الدنيا وفي الآخرة:
- ٢٩٣ بيان أن الجزاء من جنس العمل:
- ٢٩٣ بيان معنى التواضع:
- ٢٩٧ فضيلة من رد عن عرض المسلم
- ٢٩٩ فضل الصدقة
- ٢٩٩ بيان أن البركة تنقسم إلى قسمين:
- ٣٠٠ بيان أن العفو يزيد صاحبه عند الله ﷻ عزاً:
- ٣٠١ فضل إفشاء السلام، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام
- ٣٠٥ الدين النصيحة
- ٣٠٦ بيان أن النصيحة لها عام، وخاص:

الفهرس

- ٣١٠ فضل التقوى وحسن الخلق
- ٣١١ وحسن الخلق كما سبق قسمين:
- ٣١٢ بيان فضل حسن الخلق وبسط الوجه للناس
- ٣١٣ بيان أن المؤمن مرآة أخيه المؤمن
- ٣١٤ بيان فضل خلطة الناس والصبر عليهم
- ٣١٧ الدعاء بحسن الخلق
- ٣١٨ وكما كان النبي ﷺ في أحسن خلقه، فقد كان أيضًا أحسن الناس
- ٣١٨ بيان مراتب خلقة الإنسان وخلقته:
- ٣٢١ **باب الذكر والدعاء**
- ٣٢١ بيان الفرق بين الذكر والدعاء:
- ٣٢٢ بيان أقسام الذكر:
- الأول: الذكر والدعاء المطلق. ٣٢٢
- الثاني: الذكر والدعاء المقيد. ٣٢٢
- ٣٢٣ بيان أوقات الاستجابة:
- ٣٢٩ بيان حكم رفع اليدين عند الدعاء:
- ٣٣٠ بيان بعض موانع استجابة الدعاء:
- ٣٣٢ بيان تعيين النطق بالذكر
- ٣٣٣ بيان أقسام معية الله ﷻ لعباده:
- ٣٣٤ بيان أن ذكر الله مما ينجي من عذاب الله ﷻ
- ٣٣٧ بيان فضل ذكر الله ﷻ
- ٣٤٠ بيان الفرق بين الرحمة والمغفرة:
- ٣٤١ ذم مجالس الغفلة
- ٣٤٣ والصلاة على النبي ﷺ سبب لصلاة الله ﷻ على العبد عشرة مرات.

الفهرس

- ٣٤٣ بيان معنى صلاة الله ﷻ على عبده:
- ٣٤٦ بيان فضل التهليل
- ٣٤٧ بيان أن حمد الله ﷻ يكون على أمرين:
- ٣٤٩ بيان فضل التسبيح
- ٣٤٩ بيان بعض الأذكار المطلقة:
- ٣٥٤ بيان فضل ذكر الله ﷻ المضاعف
- ٣٥٨ بيان الباقيات الصالحات
- ٣٦٢ بيان أحب الكلام إلى الله ﷻ
- ٣٦٦ بيان أن كلمة: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، كنز من كنوز الجنة
- ٣٦٨ الدعاء هو العبادة
- ٣٦٨ بيان حكم صرف الدعاء لغير الله في شيء لا يقدر عليه إلا الله:
- ٣٧٠ بيان أن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد
- ٣٧١ بيان استحباب رفع اليدين في الدعاء
- ٣٧٣ بيان حكم رفع الدين عند الدعاء:
- ٣٧٤ بيان حكم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء
- ٣٧٥ بيان حكم تقبيل المصحف بعد الفراغ من التلاوة:
- ٣٧٦ بيان فضل الصلاة على النبي ﷺ
- ٣٧٩ بيان سيد الاستغفار
- ٣٨٣ بيان ما يقال في الصباح والمساء من الأدعية والأذكار
- ٣٨٣ بيان بعض ما جاء في أذكار الصباح والمساء:
- ٣٩٠ بيان استحباب الدعاء بجوامع الكلم
- ٣٩١ الاستعاذة من غلبة الدين
- ٣٩٤ الدعاء باسم الله ﷻ الأعظم من أسباب الاستجابة

الفهرس

- ٤٠٢ بعض أذكار الصباح
- ٤٠٤ بيان معنى قول الله ﷻ: (الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات):
- ٤٠٦ بيان جوامع الدعاء
- ٤٠٩ بيان بعض أدعية النبي ﷺ التي فيها جوامع الكلم
- ٤١٣ الدعاء بصلاح الدين والدنيا
- ٤١٥ الدعاء بالعلم النافع
- ٤١٦ بيان العلم الذي لا ينفع صاحبه لا في الدنيا، ولا في الآخرة:
- ٤١٦ بيان العلم النافع لصاحبه:
- ٤١٧ بيان العلم الذي ينفع صاحبه في الدنيا:
- ٤١٩ الدعاء بخيري الدنيا والآخرة
- ٤٢٢ مسألة: هل يرد الدعاء القضاء؟
- ٤٢٤ كفارة المجلس
- ٤٣٠ إجازة كل من حضر أو تابع درس بلوغ المرام
- ٤٣٥ الفهرس